دراسات لغوية

في القرآن الكريم وقراءاته

الدكتور أحمد مختار عمر





دراسات لغوية

في القرآن الكريم وقراءاته

دراسات لغوية

في القرآن الكريم وقراءاته

الدكتور أحمد مختار عمر

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الناشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة ت: ٣٩٢٦٤٠١

القرآن الكريم

عمر ، أحمد مختار

دراسات لغوية في القرآن وقراءاته / أحمد مختار عمر ـ
القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠١ .

٢٤٢ ص ، ٢٤ سم .

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢)

تدمك : 1 - 233 - 232 - 977

١ ـ العنوان أ ـ رأس الموضوع

(٢٢٠)

عالم الكتب

الإدارة : ١٦ شارع جواد حسني-القاهرة ت : ٣٩٢٤٦٢٦ فاكس:٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة : ٣٨ شارع عبد الخالق ثروت-القاهرة ت : ٣٩٥٩٥٣٤-٣٩٢٦٤٠١

E.mail: alamalkotob59@hotmail. com


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

المقدمة (١١-١٢)

(الفصل الأول) *صور من الإدغام الوارد في القرآن الكريم وقراءاته* (١٥-٤٣)

الإدغام بين المتماثلين ١٥- في كلمة واحدة:أول المتماثلين ساكن متبوع بحركة قصيرة ١٥- في أكثر من كلمة: أول المتماثلين ساكن ١٦- أول المتماثلين متبوع بحركة قصيرة١٦- أول المتماثلين متبوع بحركة طويلة١٨- الإدغام بين المتقاربين: في كلمة واحدة ١٩- فعل+ ضمير ٢٢- أكثر من كلمة ٢٢- قواعد الإدغام: حسن الإدغام ٢٦- قوة الصوت ٢٦- اتحاد المخارج أو تقاربها ٢٦- أصوات يحسن الإدغام فيما بينها ٢٦- إفناء الأول في الثاني ٢٧- قوة الإدغام فيما كان في كلمة واحدة ٢٧- جدول يبين المخارج وصفات القوة في الأصوات ٢٧- جدول يبين الأصوات التي وقع الإدغام بينها، والأصوات التي أدغمت مع كل صوت، وعدد مرات الورود ٣١- جدول يرتب الأصوات تنازليا بحسب ما تحويه من صفات القوة ٣٢- نتائج الجداول: أكثر الأصوات ترددا في الموقع الأول ٣٢- نوعية الأصوات التي أدغمت فيها التاء ٣٣- وقوع التاء كثان ٣٣- الأصوات الأسنانية اللثوية ٣٤- الإدغام بين الراء واللام ٣٥- قد يدغم الصوت فيه ولا يدغم أو العكس ٣٦- ندرة وقوع الأصوات القوية كأول ٣٦- الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله ٣٧- الإدغام الشائع هو الإدغام الرجعي ٣٧- إدغام الضاد في الطاء ٣٨- إدغام الدال في السين ٣٩- إدغام التاء في الصاد والزاي والذال ٣٩- حذف حركة الحرف المدغم الأول ٤١- جلب حركة قبل الحرف المدغم الأول ٤١- حالات خاصة ٤٢.

(الفصل الثاني) *إعراب القرآن للنحاس: عرض ونقد* (٤٧-٦٩)

إضاءة ٤٧- طلاب الدراسات العليا وتحقيق النصوص ٤٨- تحقيق إعراب القرآن للنحاس كرسالة للحصول على درجة الدكتوراه ٤٨- سوء تحقيق الكتاب ٤٩ - ملاحظات على قسم الدراسة: مفهوم كلمتي "إعراب" و"قرآن"عند النحاس ٥٠- كثرة الأحكام الصوتية والصرفية في الكتاب ٥١- وهم عدم استشهاد القدماء بالحديث النبوي ٥١- النحاس بصري وليس جامعا للمذهبين ٥٣- نسبة معاني

اللامـــات للنحـــاس ٥٦- إسقـــاط المحقق نسخـــا مـــن المخطوطـــة ٥٧- ملاحظات على النص المحقق: عدم الاعتماد على النسخة السالمة دائما ٥٨- كيفية التعـــامل مع زيـــادات النسخ ٥٩- تحريفات النـص ٥٩- إهمـال التعليـق ٦١- أخطاء الضبط ٦٤- ترك كلمات بدون ضبط ٦٥- التصحيفـات والأخطـاء المطبعيـة ٦٦.

(**الفصل الثالث**)*الفاصلة القرآنية بين ملاءمة اللفظ ومراعاة المعنى* (٧٣-٩٨)

مفهـوم الفاصلة ٧٣- مراعاة متطلبـات الإيقـاع في الفواصـل ٧٣- الوقـف علـى الأواخر ٧٣- تفضيل أصوات معينـة ٧٤- التقديـم والتأخـير ٧٤- زيـادة حـرف ٧٥- حذف ياء العلة ٧٥- صرف الممنوع ٧٥- حذف كاف الضمـير ٧٦- إفـراد ما أصله الجمع ٧٦-العـدول عـن صيغـة المـاضي ٧٦- إبـدال حـرف بـآخر٧٦- تفضيل لفظ على آخر ٧٦- الفاصلة المتجانسة ٧٦- الفاصلة المتقاربة ٧٧- أنـواع أخرى ٧٧- مراعاة الفاصلة للمعنى ٧٨- المراعاة الخفية للمعنى ٧٩- الـرد علـى دائـرة المعارف البريطانية ٧٩- سر ختم بعض الفواصل بألفـاظ معينـة مـن أسـماء الله الحسنى ٨٣.

(**الفصل الرابع**)*الترادف وأشباه الترادف في القرآن الكريم* (١٠١-١٣٤)

وقوع الترادف في اللغات ١٠١- اتساع مفهوم الترادف ليشمل شبه الـترادف والتكـافؤ ١٠١- التطابق في المعنى الأساسي ١٠٢- اختلاف اللهجات من أسـباب الـترادف ١٠٢- الفروق الدقيقة بين كلمات الترادف١٠٢- ليس من الصواب المبالغـة في تنزيـه القـرآن باعتبار الكلمات المتمـاثلة في المعنى من باب الآحاد ١٠٢- أمثلة الـترادف التـام في القرآن: آثر وفضل ١٠٣- أرسل وبعث ١٠٤- ذلة واستكانة ١٠٥- يئس وقنـط ١٠٦- سكب وصب وأفرغ ١٠٧- آتى وأعطى ١٠٨- ائتلى وأقسم وحلف ١٠٩- أتى وجاء وحضـر ١١٠- سنة وعام وحول ١١٠- اقترب ودنا ١١١- الكلمات المعتمة: خلف ووراء ١١٢- أسفل وتحت ١١٣- غرفة وحجرة ١١٣- شبه الترادف:الحلم والرؤيا ١١٣- الغيث والمطـر ١١٤- الـهمز واللمـز ١١٥- الوالـدة والأم ١١٦- أكمـل وأتـم ١١٧-التكـافؤ: أسماء الأسد ١١٨- أسماء الله الحسنى ١١٨- أسماء القيامـة ١١٨- أسـماء جـهنم ١١٨- أسـماء الريـح ١١٨- أسـماء القـرآن ١١٩- الـترادف في أسـماء اللـه الحسنى:حميـد وشكـور ١١٩- حفيظ ورقيب ومـهيمن١٢٠-عفـو وغفـور١٢٠- قـادر وقهار١٢٠- خالق وبارئ ومصـور ١٢٠- عالم وعليم وعلام ١٢١-حـافظ وحفيـظ ١٢١-

خالق وخلاق ١٢١-رحمن ورحيم ١٢١- رازق ورزاق ١٢١- غافر وغفور وغفار وذو المغفرة وأهل المغفرة ١٢٢- قادر وقدير ومقتدر١٢٢-قاهر وقهار١٢٢-أكرم وكريم وذو الإكرام١٢٢-بعض الصفات السابقة بتفصيل١٢٣- الخلاصة ١٢٩.

(الفصل الخامس)الاستدلال بالقراءات القرآنية على صحة العديد من الاستخدامات اللغوية الشائعة (١٣٧-١٦٨)

مفهوم القراءة ١٣٧- الحكمة في تعدد القراءات ١٣٧- نزول القرآن على سبعة أحرف١٣٧- المراد بالأحرف السبعة ١٣٨- الأحرف السبعة غير القراءات السبع ١٣٩- شروط القراءة الصحيحة ١٣٩- شروط اللغوي لصحة القراءة ١٤٠- القراءة الشاذة من زاوية الاستشهاد اللغوي قراءة صحيحة ١٤١- مما رمي بالشذوذ قراءات نسبت لأبي بن كعب،وابن مسعود، وبعضها وصف بأنه قراءة للنبي ١٤١-دخول جميع القراءات في الاستشهاد اللغوي ١٤٢- مسائل تصححها القراءات القرآنية: فتح همزة إن بعد القول ١٤٣- المؤنث المجازي ١٤٩- ضم ما قبل واو الجماعة وكسر ما قبل ياء المخاطبة ١٥٤- تَوَفَّى وتُوُفِّي ١٥٩- يَهْرع ويُهْرع ١٦٠-التقدير بمعنى التعظيم والاحترام ١٦١-رَجَع وأرجع ١٦٢-تذكير العدد وتأنيثه إذا وقع صفة ١٦٣- أمنيَة وأمنيَّة ١٦٤- الطالبات يتفوقن وتتفوقن ١٦٥- قراءات أخرى تؤيد النطق الحديث ١٦٧.

(الفصل السادس)ضبط عين المضارع من الماضي الثلاثي المجرد المفتوح العين: نظرة جديدة في ضوء القراءات القرآنية (١٧١-١٩٢)

تشعيبات المسألة ١٧١- مناقشة القضية في دورتين للمجمع اللغوي ١٧١- تقعيد الصحيح من الأفعال ١٧٢- أمثلة من اللغة المعاصرة ١٧٢- الانتقال بين الكسر والضم ١٧٣- شيوع التبادل بين الكسر والضم في القراءات القرآنية ١٧٤- مما جاء من القراءات السبعية ١٧٥- مما قرئ بالوجهين في غير السبعة ١٧٦- انعكاس الكسر والضم في أسماء الزمان والمكان ١٨١- أمثلة التبادل في القراءات السبعية ١٨١- أمثلة التبادل في القراءات الشاذة ١٨٢- مجموع ما ورد من بابي ضرب ونصر يبلغ خمسين فعلا في القراءات القرآنية١٨٣-اقتراح بتعميم الكسر والضم في كل فعل صحيح جاء ماضيه مفتوح العين ١٨٣- تأييد كلامنا بنصوص عن ابن خالويه والرضي والفيروزابادي ١٨٤- اتخاذ التعدي واللزوم مقياسا للترجيح بين الكسر والضم ١٨٤- الخلاصة ١٨٦- مرفقات البحث: بحث للمرحوم محمد شوقي أمين١٨٨-قرار لجنة الأصول بمجمع اللغة العربية ١٩٢.

(الفصل السابع)تعدد الجموع للمفرد الواحد في القرآن (١٩٥-٢٤٢)
كثرة الألفـــاظ الدالة على الجمعية في القرآن الكريم وتنوعها ١٩٥- كـثرة المفـردات التي تعددت جمـــوعها في القــرآن الكريـم ١٩٥- قائمـة بمفـردات تعـددت جموعـها ١٩٦- لا يمكن أن ينســب تعدد الجموع في القرآن الكريم إلى تعدد اللغات وحـــده ٢٠٣- ملاحظات سابقة في الموضوع ٢٠٣- أسباب تعدد الجمــوع: التعبيــر عن القلـة أو الكثرة ٢٠٤- التعبير بجمع القلة في مقابـــل جمـع الكـثرة: أنعـم ونعـم ٢٠٥- آلاف وألوف ٢٠٥- أبحر وبحـار ٢٠٥- أشهر وشهور ٢٠٦- فتية وفتيان ٢٠٦- ذكران وذكـور ٢٠٦- التعبير بالجمع مقابل جمع الجمع: أسـورة وأســاور ٢٠٨- أسرى وأســارى ٢٠٨- نسوة ونساء ٢١٠- التعبير بالجمع السالم مقابل جمع التكسـير:سـنبلات وسـنابل ٢١١- خطيئات وخطايــا ٢١١- غرفات وغـرف ٢١٢- تخصيـص معنـى المفـرد: دلالـــة المفرد على أكثر من معنى باعتباره مـن المشـترك اللفظي :أعيـــن وعيـون ٢١٣-عبـاد وعبيد ٢١٤-أشياع وشيع ٢١٥-دلالـــة المفـرد علـى أكـثر مـن معنـى نتيجـة تخصيـص المعنـى العـام للفظ في اتجاهين مختلفين: حمير وحمــر ٢١٦- أشـداء وشـداد ٢١٧- العمـوم والخصوص:إخوة وإخوان ٢١٧- أنفس ونفوس ٢١٨- ضعاف وضعفـا ء ٢١٩- إرادة الاسـمية أو الوصفيـــة: رواس وراسيــات ٢٢٠- خزنـة وخـــازنون ٢٢٠- زراع وزارعـــون ٢٢٠- جـــوار وجاريـات ٢٢١- حكـام وحـاكمون ٢٢١- رعـــاء وراعـون ٢٢١-إرادة التذكير أو التأنيث:قواعـد وقعـود وقاعدون ٢٢٢- كوافر وكفار وكـــافرون ٢٢٢- عُلَـي وأعلـــون ٢٢٣- صـوافّ وصافــات وصـــافون٢٢٣- المواءمــة اللفظيــة والمعنوية: أنبياء ونبيون ٢٢٤- كفرة وكــافرون ٢٢٤- بحـار وأبحـر ٢٢٥-حمـر وحمـير ٢٢٥- أشداء وشـداد ٢٢٥- عُمـــي وعميــان وعَمـون ٢٢٦- إرادة العـاقل أو غـير العاقل: أخر وآخرون ٢٢٧- عُلَى وأعلون ٢٢٧-خبائث وخبيثات ٢٢٧-كـبر وأكـابر ٢٢٨- كبراء وكبائر ٢٢٨- إثبـات مجرد الصفة أو المبـالغة فيها: فُجّار وفجــرة ٢٢٩- سُجّد وسجود ٢٢٩- خُشّــع وخاشـعون ٢٢٩-رُكّع وراكعون ٢٢٩-كُفّار وكفــرة ٢٣٠- حالات خاصة: شهـداء وشهود وأشهاد وشاهـدون ٢٣٠- أمـوات وموتـــى وميتـــون ٢٣٢- أبـرار وبـررة ٢٣٤- أنصـار ونصارى وناصرون ٢٣٥.

كتب أخرى للمؤلف (٢٤٤)

المقدمة

يرجع اهتمامي بالقرآن الكريم لفترة تمتد لأكثر من خمسين عاما، حينما أتممت حفظه قبل أن أكمل الثانية عشرة، ثم واصلت مسيرتي التعليمية في معهد القاهرة الديني، ثم في كلية دار العلوم.

وقد كان افتناني بالنص القرآني، ومحاولة اكتناه أسراره البيانية حافزا لي على مداومة الاتصال به، والنهل من معينه، وكانت تتكشف لي بعض أسراره فأحاول أن أقدمها للقارئ تارة في شكل مقال، وتارة ثانية في شكل بحث أشارك به في مؤتمر أو ندوة علمية، وتارة ثالثة في شكل كتاب، أو بحث مطوّل.

وقد لاقت الكتب التي نشرتها حول القرآن الكريم اهتماما كبيرا، وترحيبا وفيرا، أذكر منها "لغة القرآن"، "معجم القراءات القرآنية"، و"مدخل قاموس القرآن الكريم"[(١)]، وهو ما لم يتح لكثير من البحوث والمقالات التي أعددتها إما لعدم اشتهار المجلة التي نشرتها، أو لصعوبة الحصول عليها، أو لعدم قيام الجهة المنظمة للمؤتمر بنشرها، فرأيت من المفيد أن أجمعها في كتاب، فذلك أدعى لسيرورتها، وأوجب لانتشارها، والاستفادة منها.

وقد اخترت البحوث الآتية ليضمها هذا الكتاب، أملا في مجموعة أخرى يتم نشرها في المستقبل وهي:

١- صور من الإدغام الوارد في القرآن الكريم وقراءاته.

٢- إعراب القرآن للنحاس: عرض ونقد.

٣- الفاصلة القرآنية بين ملاءمة اللفظ ومراعاة المعنى.

٤- الترادف وأشباه الترادف في القرآن الكريم.

---

(١) وفي المطبعة الآن: معجم ألفاظ الحضارة في القرآن الكريم (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي)- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته (شركة سطور).

٥- الاستدلال بالقراءات القرآنية على صحة العديد من الاستخدامات اللغوية الشائعة.

٦- ضبط عين المضارع من الماضي المفتوح العين: نظرة جديدة في ضوء القراءات القرآنية.

٧- تعدد الجموع للمفرد الواحد في القرآن الكريم.

المؤلف

الفصل الأول

صور من الإدغام الوارد
في القرآن الكريم وقراءاته

الفصـــل الأول

صـور من الإدغـــام الـوارد في القـرآن الكريـم وقـراءاتـه [1]

ورد الإدغام في القرآن الكريم وقراءاته بأشكال متعددة:

١ – فورد بين المتماثلين:

أ- في كلمة واحدة.

ب- في أكثر من كلمة.

٢ – وورد بين المتقاربين:

أ- في كلمة واحدة.

ب- في فعل + ضمير.

ج- في أكثر من كلمة.

وسنتناول الآن هذه الظاهرة على هذا النحو من الترتيب:

أولا – الإدغام بين المتماثلين:

يدغم الصوتان المتماثلان حين يتواليان في كلمة واحدة إذا كان الصوت الأول مشكَّلا بالسكون، والثاني محركا، كقوله تعالى:

١ – وهي تمرُّ مَرَّ السحاب.. (النمل ٨٨).

---

(١) صورة معدّلة من بحث سبق نشره ضمن كتاب "قضايا الأدب واللغة" تأليف نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية بجامعة الكويت.

٢ - فأزلَّهما الشيطان.. (البقرة ٣٦).

وهناك تفصيلات وتقسيمات يذكرها النحاة لهذا النوع من الإدغام لم ترد معظم أمثلتها في القرآن الكريم .

أما إذا كان المتماثلان في أكثر من كلمة فتحته ثلاث صور:

أ- أن يكون أول المتماثلين ساكنا.

ب- أن يكون أول المتماثلين متبوعا بحركة قصيرة.

ج- أن يكون أول المتماثلين متبوعا بحركة طويلة (ألف - واو - ياء).

أ- أول المتماثلين ساكن: لا خلاف على صحة الإدغام في هذا النوع (مع بعض تفصيلات توردها كتب النحو) مثل:

١- بل لا تكرمون اليتيم.. (الفجر ١٧).

٢- قل لا أقول لكم عندي خزائن الله.. (الأنعام ٥٠).

٣- أم من يجيب المضطر إذا دعاه.. (النمل ٦٢).

إلا إذا كان أول المثلين هاء السكت فلا يتم الإدغام. لأن الوقف على الهاء منوي الثبوت. ومع ذلك روي عن بعض القراء الإدغام في قوله تعالى: "ماليه هلك عني سلطانيه"(الحاقة ٢٨،٢٩)[١].

ب - أول المتماثلين متبوع بحركة قصيرة: أما إذا كان أول المتماثلين متبوعا بحركة قصيرة فقد جاء من أمثلته القرآنية ما يأتي:

١ - ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ...(البقرة ٣٠).

٢- سيقول لك المخلفون من الأعراب ...(الفتح ١١).

(١) غيث النفع ٣٧٣.

٣- ومن يبتغ غير الإسلام دينا...(آل عمران ٨٥).

وقد قرئت الآيتان الثانية والثالثة بالإدغام دون الأولى، نظرا لعدم سبق الصوتين المتماثلين بحركة فيها[١] . ورحب أبو جعفر النحاس بالإدغام في المثال الثاني لأن صوتيه المتماثلين قد سبقا بحركة طويلة [٢] . وقد ورد الإدغام كثيرا بعد الحركة الطويلة حتى بين الصوتين المتقاربين كما سيأتي فيما بعد.

وأما المثال الثالث فلم يقرأه جمهور القراء بالإدغام على الرغم مما يبدو من إمكان ذلك، فكل ما سيترتب عليه حذف الكسرة القصيرة التي تفصل بين الصوتين المتماثلين، وهو جائز. وقد قرأه أبو عمرو والأعمش بالإدغام فعلا[٣]. ولكن أبا جعفر النحاس يضع القضية في صورة أخرى إذ يعتبر الآية من الإدغام الممتنع. ويعلل ذلك بوجود الكسرة التي تفصل بين الصوتين المتماثلين[٤] . ويعلق العكبري على قراءة أبي عمرو بقوله: "وهو ضعيف لأن كسرة الغين الأولى تدل على الياء المحذوفة "[٥] .

وتعليل العكبري - في نظرنا - أولى من تعليل النحاس. لأن العكبري يعتبر الكسرة في هذا المثال في قوة الحركة الطويلة ومشيرة إليها. ولذا تأخذ حكمها. وإلا فليس هناك من فرق بين الكسرة والضمة. فحيث قبل النحاس الإدغام في قوله تعالى: سيقول لك المخلفون من الأعراب.. مع وجود الضمة الفاصلة، فلا وجه لمنع الإدغام مع

---

(١) قال النحاس: لئلا يلتقي ساكنان (إعراب القرآن ٢٠٨/١).

(٢) السابق ١٩٨/٤.

(٣) معجم القراءات القرآنية ١/ ٤٢٨. وذكر صاحب غيث النفع أنه ليس في القرآن إدغام غين في غين إلا هذا (ص١٨٠).

(٤) إعراب القرآن ٣٩٣/١.

(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٨٣/١.

وجود الكسرة.

وقد يكون هناك سبب آخر لمنع الإدغام في هذه الآية. وهو طبيعة الصوت الساكن، وليس وجود الحركة بعده. فالصوت الساكن المراد إدغامه هنا هو صوت الغين. وقد صرح سيبويه بأن أصوات الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها [١]. وقلة شيوع الصوت – كما يقول الدكتور أنيس – تجعله أقل تعرضا لظاهرة الفناء في غيره[٢].

ومن الممكن أن نؤيد رأي سيبويه بالحقائق الآتية:

١- أن صوت اللام في أداة التعريف لا يدغم في أي صوت حلقي.

٢- أن النون الساكنة والتنوين اللذين يدغمان في كثير من الأصوات اللاحقة لا يدغمان في أصوات الحلق.

٣-أن أمثلة الإدغام التي وردت في القراءات القرآنية متعلقة بأصوات الحلق نادرة جدا. وقد ذكر الدكتور أنيس أنه لا يوجد إلا مثال ثان هو قوله تعالى : "فمن زحزح عن النار" (آل عمران ١٨٥) أباح الإدغام فيه بعض القراء[٣] .

جـ أول المتماثلين متبوع بحركة طويلة: أما إذا كان أول المتماثلين متبوعا بحركة طويلة فقد ورد منه قوله تعالى: "إنه هو التواب الرحيم"(البقرة ٣٧، ٥٤). فهناك ضمة طويلة (واو) تفصل بين الهاءين. وقد قرأ الآية بالإدغام- بعد تقصير الحركة الطويلة أولا ثم حذفها – كل من أبي عمرو وعيسى وطلحة وغيرهم. وقد أثار ذلك خلافا بين

---

(١) الكتاب ٤/٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١.

(٢) الأصوات اللغوية ١٨٩.

(٣) الأصوات اللغوية ١٨٩، وانظر معجم القراءات القرآنية الذي نقل عن الإتحاف إسناد القراءة لأبي عمرو ويعقوب (٤٦٨/١).

العلماء. فأبو حاتم – مثلا – يرفض هذه القراءة، ويحتم فك الإدغام على الأصل. أما أبو جعفر النحاس فيقبلها ويخرجها على تقصير الضمة الطويلة أولا (إسقاط الواو على طريقة قدامى النحاة في التعبير). وتقصير الحركة الطويلة قد أجازه سيبويه واستشهد عليه بقول الشاعر:

له زجل كأنهُ صوت حاد   إذا طلب الوسيقة أو زمير [(١)]

ومعنى هذا أن من أجاز الإدغام في حالة الفصل بحركة طويلة شرطه بهذا الموقع المعين الذي يجوز فيه تقصيرها. ومفهوم هذا أنها لو كانت في موقع لايسمح فيه بتقصيرها لم يصح الإدغام.

ثانيا- الإدغام بين المتقاربين:

يعد هذا النوع من الإدغام أكثر تشعبا وأوسع خلافا سواء بين القراء أو بين اللغويين. وهو إلى جانب ذلك في حاجة إلى كثير من الأمثلة ومزيد من الشرح. ولذا وجدنا من الأفضل أن نبدأ بتقديم الأمثلة، ثم نعقبها بالشرح والمناقشة. مع ملاحظة أن : س = ساكن.

ع ط = علة طويلة.

ع ق = علة قصيرة.

أ – في كلمة واحدة:

مسلسل	المثال قبل الإدغام وبعده	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
١	تدارك – ادّارك	لا شيء	ع ق	ت	د	الثانى

(١) إعراب القرآن ٢١٥/١، وانظر الكتاب ٣٠/١، ولكن فات النحاس أن سيبويه ذكره تحت العنوان: هذا باب ما يحتمل الشعر.

مسلسل	المثال قبل الإدغام وبعده	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
٢	تعتدوا – تَعَدُّوا	س	ع ق	ت	د	الثاني
٣	يهتدي – يَهِدِّي	س	ع ق		د	"
٤	يتذكر – يَذَّكَّر	ع ق	ع ق		ذ	"
٥	تتزاور– تزّاور[١]	ع ق	ع ق		ز	"
٦	يتزكى – يَزَّكَّى	ع ق	ع ق		ز	"
٧	يتسمعون – يسّمّعون	ع ق	ع ق		س	"
٨	تتساقط– تسّاقط[٢]	ع ق	ع ق		س	"
٩	تتشقق- تشّقّق[٣]	ع ق	ع ق		ش	"
١٠	يتصدعون – يصّدّعون	ع ق	ع ق		ص	"
١١	يختصمون – يخِصِّمون	ع ق	ع ق		ص	"
١٢	يتصالحا – يصّالحا[٤]	ع ق	ع ق		ص	"
١٣	تتصدقوا – تصّدّقوا[٥]	ع ق	ع ق		ص	"
١٤	تتصدى – تصّدّى[٦]	ع ق	ع ق		ص	"
١٥	يتصعّد – يصّعّد	ع ق	ع ق		ص	"

(١) في قوله تعالى:"وترى الشمس إذا طلعت تزاور" (الكهف ١٧). وقد قرأ بالإدغام ثلاثة من السبعة.

(٢) في قوله تعالى:"تساقط عليك رطبا جنيا" (مريم ٢٥). وقد قرأ بالإدغام معظم السبعة.

(٣) في قوله تعالى:"ويوم تشقق السماء بالغمام" (الفرقان ٢٥). وقد قرأ بالإدغام أربعة من السبعة.

(٤) في قوله تعالى:"يُصلحا بينهما صلحا" (النساء ١٢٨). وقد قرأ بالإدغام أربعة من السبعة.

(٥) في قوله تعالى: "وأن تصدقوا خير" (البقرة ٢٨٠). وقد قرأ بالإدغام ستة من السبعة.

(٦) في قوله تعالى:" فأنت له تصدى" (عبس ٦). وقد قرأ بالإدغام ثلاثة من السبعة.

مسلسل	المثال قبل الإدغام وبعده	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
١٦	المتصدقين- المصّدّقين	ع ق	ع ق	ت	ص	الثانى
١٧	المتصدقات- المصّدّقات	ع ق	ع ق		ص	"
١٨	تطيرنا – اطّيّرنا	لا شيء	ع ق		ط	"
١٩	يتطهرن – يطّهّرن[1]	ع ق	ع ق		ط	"
٢٠	استطاعوا- اسطّاعوا[2]	س	ع ق		ط	"
٢١	اختطف – خَطِّفَ[3]	س	ع ق		ط	"
٢٢	فاتطلع – فاطّلع	ع ق	لا شيء		ط	"
٢٣	تتظاهرون- تظّاهرون[4]	ع ق	ع ق		ظ	"
٢٤	تتظاهرا – تظّاهرا[5]	ع ق	ع ق		ظ	"
٢٥	مدتخل- مدّخل	ع ق	لا شيء	د	ت	الأول
٢٦	تذتخرون – تدّخرون	ع ق	لا شيء		ت	الثاني
٢٧	اضْطُرَّ – اضُّرَّ	ع ق	لا شيء	ض	ط	الأول
٢٨	أضطره – أطّرّه	ع ق	لا شيء		ط	الثاني

---

(١) في قوله تعالى:"ولا تقربوهن حتى يَطْهرن" (البقرة ٢٢٢). وقد قرأ بالإدغام حمزة والكسائي.

(٢) في قوله تعالى: "فما اسطاعوا أن يظهروه" (الكهف ٩٧). وقد قرأ بالإدغام حمزة.

(٣) في قوله تعالى: إلا من خطف الخطفة" (الصافات ١٠). وقد قرأ بالإدغام الحسن وقتادة وعيسى. وأصلها اختطف، نقلت حركة الطاء إلى الخاء، وحذفت ألف الوصل، ثم قلبت التاء طاء،وأدغمت في الطاء، وحركت الطاء بالكسر على أصل التقاء الساكنين (انظر حاشية معجم القراءات القرآنية ٤/١٩٦).

(٤) في قوله تعالى: "تَظَاهرون عليهم" (البقرة ٨٥). وقد قرأ بالإدغام أربعة من السبعة.

(٥) في قوله تعالى:"وإن تظاهرا عليه" (التحريم ٤). وقد قرأ بالإدغام أربعة من السبعة.

ب - فعل + ضمير:

مسلسل	المثال قبل الإدغام وبعده	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
٢٩	لبثتم - لبتُّم	ع ق	لا شيء	ث	ت	الثاني
٣٠	أورثتموها - أورتُّموها	ع ق	لا شيء		ت	"
٣١	عُذْت - عُتُّ	ع ق	لا شيء	ذ	ت	"
٣٢	أخذتم - أختُّم	ع ق	لا شيء		ت	"
٣٣	فنبذْتُها- فنبتُّها	ع ق	لا شيء		ت	"
٣٤	أحطت - أحطُّ	ع ق	لا شيء	ط	ت	الأول
٣٥	أحطت - أحتُّ	ع ق	لا شيء		ت	الثاني
٣٦	بورِقِكُمْ - بورِكُّم	ع ق	ع ق	ق	ك	"
٣٧	بِوَرِقِكُمْ - بورِقُّم	ع ق	ع ق		ك	الأول
٣٨	خَلَقَكُم - خَلَكُّم (١)	ع ق	ع ق		ك	الثاني

ج - أكثر من كلمة:

مسلسل	المثـــــال	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
٣٩	تعجبْ فعجب	ع ق	لا شيء	ب	ف	الثاني
٤٠	اذهبْ فمن	ع ق	لا شيء		ف	"
٤١	يغلبْ فسوف	ع ق	لا شيء		ف	"
٤٢	اذهبْ فإن	ع ق	لا شيء		ف	"

(١) بإدغام القاف في الكاف، وهي قراءة أبي عمرو.

مسلسل	المثـــال	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
٤٣	يتبْ فأولئك	ع ق	لا شيء	ب	ف	الثاني
٤٤	اركبْ معنا	ع ق	لا شيء		م	"
٤٥	يعذبْ من يشاء	ع ق	لا شيء		م	"
٤٦	بعدتْ ثمود	ع ق	لا شيء	ت	ث	"
٤٧	كذبتْ ثمود	ع ق	لا شيء		ث	"
٤٨	نضجتْ جلودهم	ع ق	لا شيء		ج	"
٤٩	أثقلتْ دعوا	ع ق	لا شيء		د	"
٥٠	السيئات ذلك	ع ط	ع ق		ذ	"
٥١	فالتاليات ذكرا	ع ط	ع ق		ذ	"
٥٢	خبتْ زدناهم	ع ق	لا شيء		ز	"
٥٣	فالزاجرات زجرا	ع ط	ع ق		ز	"
٥٤	جاءت سيارة	ع ق	لا شيء		س	"
٥٥	بأربعة شهداء	ع ق	ع ق		ش	"
٥٦	حصرتْ صدورهم	ع ق	لا شيء		ص	"
٥٧	والصافات صفا	ع ط	ع ق		ص	"
٥٨	والعاديات ضبحا	ع ط	ع ق		ض	"
٥٩	قالت طائفة	ع ق	ع ق		ط	"
٦٠	ودت طائفة	ع ق	ع ق		ط	"
٦١	الصالحاتِ طوبى	ع ط	ع ق		ط	"
٦٢	حملت ظهورهما	ع ق	لا شيء		ظ	"

مسلسل	المثـــال	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
٦٣	يلهثْ ذلك	ع ق	لا شيء	ث	ذ	الثاني
٦٤	ورث سليمان	ع ق	ع ق		س	"
٦٥	حيث شئتما	س	ع ق		ش	"
٦٦	حديث ضيف	ع ط	ع ق		ض	"
٦٧	المعارِج تعرج	ع ق	ع ق	ج	ت	"
٦٨	أخرج شطئه	ع ق	ع ق		ش	"
٦٩	زحزح عن النار	ع ق	ع ق	ح	ع	"
٧٠	كاد تزيغ	ع ط	ع ق	د	ت	"
٧١	يردْ ثواب	ع ق	لا شيء		ث	"
٧٢	لقد جاءكم	ع ق	لا شيء		ج	"
٧٣	فقد جعلنا	ع ق	لا شيء		ج	"
٧٤	لقد ذرأنا	ع ق	لا شيء		ذ	"
٧٥	صادْ ذكر	ع ط	لا شيء		ذ	"
٧٦	لقد زيّنا	ع ق	لا شيء		ز	"
٧٧	قد سمع	ع ق	لا شيء		س	"
٧٨	قد سألها	ع ق	لا شيء		س	"
٧٩	قد شغفها	ع ق	لا شيء		ش	"
٨٠	لقد صرفنا	ع ق	لا شيء	د	ص	"
٨١	قد ضلوا	ع ق	لا شيء		ض	"
٨٢	فقد ظلم	ع ق	لا شيء		ظ	"
٨٣	إذ تأذن	ع ق	لا شيء	ذ	ت	"

مسلسل	المثـــال	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
٨٤	إذ جاء	ع ق	لا شيء	ذ	ج	الثاني
٨٥	إذ دخلت	ع ق	لا شيء		د	"
٨٦	إذ زين	ع ق	لا شيء		ز	"
٨٧	إذ سمعتموه	ع ق	لا شيء		س	"
٨٨	إذ صرفنا	ع ق	لا شيء		ص	"
٨٩	إذ ظلموا	ع ق	لا شيء		ظ	"
٩٠	ويغفرْ لكم	ع ق	لا شيء	ر	ل	"
٩١	النفوسُ زوجت	ع ط	ع ق	س	ز	"
٩٢	الرأسُ شيبا	س	ع ق	س	ش	"
٩٣	نخسفْ بهم	ع ق	لا شيء	ف	ب	"
٩٤	كذلك قال	ع ق	ع ق	ك	ق	"
٩٥	بل تؤثرون	ع ق	لا شيء	ل	ت	
٩٦	هل تنقمون	ع ق	لا شيء		ت	"
٩٧	هل ترى	ع ق	لا شيء		ت	"
٩٨	هل تعلم	ع ق	لا شيء		ت	"
٩٩	فهل ترى	ع ق	لا شيء		ت	"
١٠٠	هل ثُوِّب	ع ق	لا شيء		ث	"
١٠١	يفعلْ ذلك	ع ق	لا شيء		ذ	"
١٠٢	بلْ رفعه	ع ق	لا شيء		ر	"
١٠٣	بل ران	ع ق	لا شيء		ر	"
١٠٤	رسلُ ربك	ع ق	ع ق		ر	"
١٠٥	قال رجلان	ع ط	ع ق	ل	ر	"
١٠٦	بل زُيِّن	ع ق	لا شيء		ز	"
١٠٧	بل سولت	ع ق	لا شيء		س	"

مسلسل	المثـــال	ما قبل الصوت الأول	الفاصل بين صوتي الإدغام	الصوت الأول	الصوت الثاني	الصوت الغالب
١٠٨	بل ضلوا	ع ق	لا شيء	ل	ض	الثاني
١٠٩	بل طبع	ع ق	لا شيء		ط	"
١١٠	بل ظننتم	ع ق	لا شيء		ظ	"
١١١	بل نقذف	ع ق	لا شيء		ن	" (١)

فإذا أردنا أن نضع قواعد تحكم الإدغام في الأمثلة السابقة نجدها تتلخص فيما يأتي:

١-أن حسن الإدغام يتحقق بضعف الصوت الأول وقوة الصوت الثاني(٢)

٢-أن قوة الصوت تتحقق بصفات الجهر والشدة والتفخيم والتكرير والصفير والتفشي والغنة(٣). أما الضعف فيتحقق بغياب هذه الصفات.

٣-أن الإدغام يحسن إذا اتحدت المخارج أو تقاربت. ولذا تدغم الأصوات الفموية في بعضها والشفوية في بعضها والحلقية في بعضها (وإن كان النوع الأخير نادر الوقوع). ويمتنع الإدغام بين الأصوات المتباعدة المخارج(٤) .

٤- الأصوات التي تشترك في إدغام لام التعريف فيها يحسن الإدغام بينها(٥). ومن المعروف أن لام التعريف تدغم في أربعة عشر صوتا هي : التاء والثاء والدال

---

(١) جمعنا هذه الأمثلة من إعراب القرآن للنحاس، والحجة لابن خالويه، والكشف لمكي القيسي ، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس.

(٢) الكشف ١/١٣٨.

(٣) السابق ١/١٣٧.

(٤) السابق ١/١٣٩، ١٤٠ وإعراب القرآن في مواضع متعددة.

(٥) الكشف ١/١٤١

والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والنون (واللام)[١].

٥- أن القاعدة العامة في الإدغام هي إفناء الصوت الأول في الثاني. ولا يعدل عن هذه القاعدة إلا لسبب.

٦- أن إدغام ما كان في كلمة واحدة أقوى من إدغام ما كان في كلمتين؛ لأن الصوتين في الحالة الأولى لا ينفصل أحدهما عن الآخر[٢] . ويشبه ما كان في كلمة واحدة الإدغام الحاصل بين فعل وضمير متصل.

ولتسهيل تطبيق هذه الأحكام. ولإمكان المقارنة أعددنا الجداول الثلاثة الآتية وهي :

١-جدول يبين المخارج وصفات القوة في الأصوات.

٢-جدول يبين الأصوات التي وقع الإدغام بينها، والأصوات التي أدغمت مع كل صوت، وعدد مرات الورود.

٣- جدول يرتب الأصوات تنازليا حسب ما تحويه من صفات القوة:

---

(١) الكشف ١٤١/١.

(٢) الكشف ١٥٩/١.

الجـــدول الأول

الأصوات	المخارج								صفات القوّة								مجموع صفات القوة الموجودة في كل صوت
	أصوات الشفتين		أصوات الفم					أصوات الحلق									
	الشفتان	الشفة والأسنان	الأسنان	الأسنان واللثة	اللثة	الغار	الطبق واللهاة		الجهر	الشدة	التفخيم	التكرير	الصفير	التفشي	الغنة	الاستطالة	
ب	+								+	+							٢
م	+								+						+		٢
ف		+												+			١
ذ			+						+								١
ث			+														–
ظ			+						+		+						٢
د				+					+	+							٢
ت				+						+							١
ط				+					+	+	+						٣
ز				+					+				+				٢
س				+									+				١
ص				+							+		+				٢
ض				+					+	+	+					+	٤
ن					+				+						+		٢

تابع الجدول الأول

الأصوات	المخارج								صفات القوّة								مجموع صفات القوة الموجودة في كل صوت
	أصوات الشفتين		أصوات الفم					أصوات الحلق	الجهر	الشدة	التفخيم	التكرير	الصفير	التفشي	الغنة	الاستطالة	
	الشفتان	الشفة والأسنان	الأسنان	الأسنان واللثة	اللثة	الغار	الطبق واللهاة										
ل					+				+								١
ر					+				+			+					٢
ج						+			+								١
ش						+								+			١
ك							+			+							١
ق							+		+	+							٢
غ								+	+								١
خ								+									–
ع								+	+								١
ح								+									–
هـ								+									–

الجدول الثاني

الصوت الأول	ب	م	ف	ذ	ث	ظ	د	ت	ط	ز	س	ص	ض	ن	ل	ر	ج	ش	ك	ق	ع	عدد الأصوات التي أدغمت معها	عدد مرات الورود
	الصوت الثاني																						
ب	٦	٢	٥																			٢	٧
ف	١																					١	١
ذ						١	١	٤		١	١	١					١					٧	١٠
ث				١				٢			١		١					١				٥	٦
د				٢	١	١		٢		١	٢	١	١				٢	١				١٠	١٤
ت				٤	٢	٣	٣		٨	٤	٣	١	١				١	٢				١١	٤١
ط								١														١	١
س										١								١				٢	٢
ض									٢													١	٢

تابع الجدول الثاني

الصوت الأول \ الصوت الثاني	ب	م	ف	ذ	ث	ظ	د	ت	ط	ز	س	ص	ض	ن	ل	ر	ج	ش	ك	ق	ع	عدد الأصوات التي أدغمت معها	عدد مرات الورود
ل				١	١	١		٥	١	١	١		١	١		٤						١٠	١٧
ر															١							١	١
ج								١										١				٢	٢
ك																				١		١	١
ق																			٣			١	٣
ح																					١	١	١
عدد الأصوات التي أدغمت معها	١	١	١	٤	٣	٤	٢	٦	٣	٥	٥	٣	٤	١	١	١	٣	٥	١	١	١	٥٦	
عدد مرات الورود	١	٢	٥	٨	٤	٦	٤	١٥	١١	٨	٨	١٢	٤	١	١	٤	٤	٦	٣	١	١		١٠٩

ملاحظة: يلاحظ أن الأمثلة قد بلغت ١١١ مثالا فيما سبق وبلغت ١٠٩ في الجدول وذلك نتيجة احتساب بورقكم بكلمتين (٣٦،٣٧) وأحطت بكلمتين (٣٤، ٣٥).

الجدول الثالث

ترتيب الأصوات تنازليا بحسب صفات القوة		
ترتيب المجموعات	الأصوات	العدد الكلي للأصوات
المجموعة الأولى ٤ صفات قوية	الضـــاد	١
المجموعة الثانية ٣ صفات قوية	الطـــاء	١
المجموعة الثالثة صفتان قويتان	الباء – الميم – الظاء– الدال – الزاي– الصاد – النون – الراء- القاف	٩
المجموعة الرابعة صفة واحدة قوية	الفاء – الذال – التاء – السين– اللام– الجيم – الشين– الكاف– الغين – العين	١٠
المجموعة الخامسة الضعيفة	الثاء – الخاء – الحاء - الهاء	٤

فإذا قمنا باستخلاص النتائج من هذه الجداول وأجرينا مقارنات بينها وبين أحكام الإدغام التي ذكرها النحاة وعلماء القراءات نخرج بما يأتي:

١- أكثر الأصوات ترددا في الموقع الأول هو التاء. فقد ترددت ٤١ مرة من ١٠٩، وأدغمت مع أحد عشر صوتا.

وهذه النتيجة تنسجم مع القاعدة العامة التي تقول: إن الصوت الضعيف يدغم في القوي (الأول في الثاني) عادة، أو يدغم النظير في النظير.

وإذا نظرنا إلى الجدول الثالث نجد التاء في المرتبة الرابعة من حيث

القــوة.

٢- جميع الأصوات التي أدغمت فيها التاء إما مـن درجتـها (مثـل الـذال= ٤مـرات، والسين= ٣مرات ، والجيم= مرة واحـدة ، والشـين= مرتيـن . أو أعلـى منـها فـي الدرجة (مثل الظاء= ٣مرات ، والدال= ٣مرات، والزاي= ٤ مرات ، والصاد= ١٠ مرات ، والطاء = ٨ مرات، والضاد = مرة واحدة).

وأدغمت في صوت واحد أضعف منها، وهو الثاء (مرتين).

٣- لم تقع التاء كثان إلا ١٥ مرة مـع ٦ أصـوات. وهـذه النتيجـة تنسـجم كذلـك مـع القاعدة السابقة الإشارة إليها في رقم (١).

ومن بين الأصوات الستة التي وقعت كأول مع صوت التاء نجد:

أ - أصواتا في درجة التاء، وهي: الـذال = ٤ مـرات، والـلام = ٥ مـرات، والجيم= مرة واحدة.

ب - أصواتا أضعف من التاء، وهي الثاء = ٢ مرتين.

ج - أصواتا أقوى من التاء، وهي الدال = ٢مرتين، والطـاء= مـرة واحـدة.

ولخروج رقم (ج) على القاعدة المشار إليها وجدنا من القراء من يقلب صورة الإدغـام المطرد الذي يؤثر فيه الثاني على الأول وهو المسمى بالإدغام الرجعي، ويحولونـه إلـى إدغام تقدمي يؤثر فيه الأول على الثاني. ولذلك نجد :

أ - مدتخل تتحول إلى مدّخل وليس متّخل.

ب - أحطت تتحول إلى أحطّ[1].

---

(١) في قراءة السبعة جميعا (انظر الغيث ٣١١).

ومنهم من احتفظ بالإدغام الرجعي فقرأها: أحتّ[١] مغلبا التاء في هذا الموقع لأنها قويت بعلة خارجية وهي كونها كلمة مستقلة ، لأنها تاء الضمير.

ج – ولا يبقى إلا المثال "كاد تزيغ"[٢] الذي ترك كما هو، ويكون الإدغام فيه قبيحا بناء على قوة الدال وضعف التاء لأن "حسن الإدغام وقبحه يبنى على الضعف والقوة"[٣] .

٤- ويلاحظ كذلك أن جميع الأصوات التي أدغمت فيها التاء هي من مجموعة أصوات الفم التي تنتمي إليها التاء، مما يعني اتحاد المخرج أو قربه. ومن بين هذه الأصوات تحتل أصوات الأسنان واللثة (التي تتحد مع التاء في المخرج) المرتبة العليا إذ استخدمت كلها كثان مع التاء وبلغ مجموع ترددها ٢٩ مرة من مجموع ٤١.

٥- من النتائج اللافتة للنظر كذلك أن الأصوات الأسنانية اللثوية (وهي التاء والدال والطاء والزاي والسين والصاد والضاد) هي أكثر الأصوات ترددا في أمثلة الإدغام، سواء كصوت أول أو كصوت ثان، فقد وقعت كصوت أول ٦٠ مرة من ١٠٩، وكصوت ثان ٦١ مرة من ١٠٩ فالتوازن واضح في كلتا الحالتين. وكثرة التردد يمكن عزوه بسهولة إلى اعتدال أصوات هذه المجموعة، وتوسطها بين أصوات الفم. فقبلها ثلاثة مخارج (الشفتان – الشفة والأسنان – الأسنان)، وبعدها ثلاثة مخارج أيضا (اللثة – الغار – الطبق واللهاة)، وهي خاصية تنفرد بها من بين سائر الأصوات، مما جعلها بالإضافة إلى

---

(١) في قراءة غير منسوبة (انظر القرطبي ١٨١/١٣، والكشاف ١٤٣/٣ وغيرهما).

(٢) في قراءة معظم السبعة (معجم القراءات القرآنية ٣٢٥/٢).

(٣) الكشاف ١٣٨/١.

إمكان تبادلها مع أخواتها في المخرج تتمتع بإمكان تبادلها مع سائر أصوات الفم.

ولا نجد التاء – سواء كأول أو كثان – تظهر في أمثلة الإدغام مع الكاف والقاف (الطبق واللهاة)، ولا مع أصوات الحلق الستة، نظرا لتباعد المخرج مع هذه الأصوات بالنسبة لمخرج التاء.

٦- يلاحظ كذلك من الأمثلة أن صوت اللام أدغم في الراء ٤ مرات ولكن لم تدغم الراء في اللام إلا مرة واحدة.

وتعليل ذلك سهل؛ لأن الراء تقع في المجموعة الثالثة من حيث القوة في حين تقع اللام في المجموعة الرابعة. وأهم مايميز الراء عن اللام – كما يقول النحاس – صفة التكرار التي ستضيع حتما لو أدغمت في اللام [١]. ونفس التعليل يقدمه سيبويه وإن كان يضيف إلى التكرار صفة التفشي كذلك، وبذا تتفوق الراء على اللام بصفتين، إذ يقول: "والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة، وهي تتفشى إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم مثلها ولا يكرر"[٢].

وإدغام الراء في اللام منقول عن أبي عمرو بن العلاء في قوله تعالى: "ويغفر لكم"[٣] وما شاكله في القرآن . قال ابن خالويه: " وهو ضعيف عند البصريين". وقد حاول أبو جعفر النحاس تخريجه عن طريق تأويل هذه القراءة فقال: إن أبا عمرو لم يكن يدغم، وإنما كان يقلل حركة اللسان مع الراء، أو يخفيها. وكأنه يعني بذلك ما

(١) إعراب القرآن ٣٦٧/١.

(٢) الكتاب ٤٤٨/٤.

(٣) آل عمران ٣١، وانظر معجم القراءات القرآنية ٣٩٧/١.

يقوله علماء اللغة المحدثون عن وجود ما يسمى باللام الاستلالية أو اللمسية التي يقتصر الصوت فيها على ضربة واحدة في سقف الحلق . ومعنى هذا أن هذه القراءة خارجة عن أمثلة الإدغام كلية. واحتج ابن خالويه لقراءة الإدغام بقوله: "لما كانت اللام تدغم في الراء في : قل رب – بل ران.. كانت الراء بهذه المشابهة تدغم في اللام [(١)]. ونسي ابن خالويه أن الصوت قد يصح أن يدغم فيه ولا يصح أن يدغم أو العكس إذ المدغم طبيعته الضعف والمدغم فيه طبيعته القوة.

٧- تنبه سيبويه إلى القاعدة التي ذكرناها آنفا وهي أن الصوت قد يصح أن يدغم فيه ولا يصح أن يدغم أو العكس. وقد ذكر في الكتاب ما نصه: "من الحروف حروف لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها. وتلك الحروف: الميم والراء والفاء والشين [(٢)].

وبمراجعة الجدول الأول نجد صحة ما ذكره سيبويه. فالميم والشين لم يردا كأول مطلقا، في حين وردت الراء كأول مدغمة في اللام في قراءة أبي عمرو وحده (وقد سبق الحديث عن ذلك). أما الفاء فلم ترد كأول إلا مرة واحدة مدغمة في الباء.

ولكننا نجد الميم كثان قد وردت مدغما فيها الباء (مرتين)، والراء مدغما فيها اللام (٤ مرات) والفاء مدغما فيها الباء (٥ مرات) والشين مدغما فيها الثاء (مرة) والدال (مرة) والتاء (مرتين) والسين (مرة) والجيم (مرة).

٨- يلاحظ كذلك – بالنظر إلى الجدول الأول – أن أقوى الأصوات (الضاد والطاء) قد ندر وقوعها كأول (الضاد مع الطاء فقط، والطاء مع التاء فقط). وأن هناك أصواتا

---

(١) الحجة ١٨٠.

(٢) الكتاب ٤/٤٤٧.

اختفت كأول وهي: الميم والظاء والزاي والصاد والنون والشين. وقد سبق الحديث عن الميم. وتعليل عدم ورودها كأول - هي والنون - اتصاف كل منهما بالغنة. وهي صفة لا توجد في غيرهما، وسيؤدي الإدغام إلى اختفاء هذه الصفة. أما عدم ورود الظاء كأول فيرجع إلى أنها أقوى الأصوات الأسنانية (مع الذال والثاء)، وعدم ورود الزاي والصاد كأول لأنهما أقوى أصوات الصفير (مع السين). أما الشين فلم ترد كأول لاتصافها بالتفشي وهي صفة مقتصرة عليها دون بقية أصوات الفم.

٩- ذكر سيبويه قاعدة نجد لها تحقيقا في أمثلة الإدغام التي أوردناها. هذه القاعدة هي قوله: "الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله" [١]. واللافت للنظر حقا أن جميع حروف الفم - حتى ما دخلت الأسنان في نطقه - لم تدغم في أحد أصوات المخرجين الشفويين، حتى مخرج الشفة والأسنان الذي تعد الأسنانية جزءا منه.

وبالإضافة إلى هذا فالملاحظ - بالنظر إلى الجدول - أن الإدغام بين أصوات الشفتين، والشفة والأسنان قليل الوقوع. وقد سبق أن لاحظ سيبويه ذلك وعلله قائلا : "وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف" [٢] .

١٠ - وردت معظم أمثلة الإدغام من النوع الرجعي الذي يؤثر فيه الثاني على الأول، أو بعبارة أخرى يفنى فيه الأول في الثاني. ولم ترد سوى أمثلة أربعة من بين الأمثلة التي ذكرناها فني فيها الثاني في الأول، منها مثالان رويا بوجه واحد فني فيه الثاني في الأول وهما:

أ - مُدّخل في مُدتخل (التوبة ٥٧).

---

(١) الكتاب ٤/٤٤٩.

(٢) المرجع السابق ٤٤٨.

ب – واضُّرّ في اضطر (البقرة ١٧٣).

ومثالان رويا بوجهين أعني بإفناء الثاني في الأول وبإفناء الأول في الثاني وهما :

أ – بِوَرِقُّم أو بَورِكُّم بدلا من بورقكم.

ب – أحطّ أو أحتّ بدلا من أحطت.

ويمكن اعتبار المثال الأول من النوع الأول (الإدغام بين المتماثلين) إذا افترضنا جهر التاء أولا تحت تأثير السابق المجهور. ويكون حينئذ من إفناء الأول في الثاني على القاعدة المطردة. أما المثال الثاني فقد خرّجه سيبويه قائلا : إن في الضاد القديمة استطالة تعطيها قوة على الطاء والصاد والسين والزاي... "ويكرهون أن يدغموها يعني الضاد فيما أدغم فيها من هذه الحروف" [1] . فلخوف ضياع هذه الاستطالة لو أفنيت الضاد في الطاء خولفت قاعدة الإدغام. أما المثال الثالث فقد غلبت فيه القاف على الكاف في القراءة الأولى لقوتها، حيث توجد فيها صفتان بخلاف الكاف التي لا يوجد بها إلا صفة واحدة. أما المثال الرابع فقد سبق تخريجه (انظر رقم ٣ فيما سبق).

١١- ورد مثال واحد بإدغام الضاد في الطاء وهو رقم (٢٨): أَطّرّه في: "أضطره" (البقرة ١٢٦) وهي قراءة المطوعي وابن محيصن[2]، وبما أن الضاد أقوى من الطاء (انظر الجدول الثاني)، فقد أثارت هذه القراءة الاضطراب عند بعض اللغويين مثل أبي جعفر النحاس :

أ – فقد روى عن ابن محيصن أنه كان يدغم الضاد في الطاء في "أضطره" ثم

---

(١) المرجع السابق ٤٦٦.

(٢) انظر معجم القراءات القرآنية ٢٥٧/١.

عقب برفضه هذه القراءة لأن الضاد متفشية (يعني بالتفشي الاستطاله عند سيبويه) ولا يصح أن تدغم في أي صوت آخر. ولكن من الممكن إفناء الطاء في الضاد كما في قراءة اضُّرّ [١].

ب- ولكن النحاس جاء في موضع آخر وذكر أن من الممكن إحلال الطاء محل الضاد وإدغامها فيها[٢].

١٢- ويثير الإدغام في قوله تعالى: "قد سمع" (المثال ٧٧) بعض الشبهات، لأن الدال أقوى في الصفة من السين . فكان من المتوقع إما أن تجهر السين لتكون في قوة الدال حتى يتم الادغام= قزّمع، أو يفنى الصوت الثاني في الأول= قدّمع. وإنه وإن كان من المعقول استبعاد الصورة الثانية لأمن اللبس[٣] فلا اعتراض يمكن أن يوجه إلى الصورة الأولى. ولكن الغريب أن نجد النحاس يجيز [٤] إفناء الدال في السين ونطقها قَسَّمع غير مدرك أن هذا يخل بقاعدة القوة والضعف. وعلل القيسي الإدغام هنا بأن السين تقوى بالصفير فتتعادل مع الدال [٥]. ونسي أن الدال قوية بصفتين والسين بالصفير تقوى بصفة واحدة.

١٣- أما الإدغام في الأمثلة: والصافات صفا- فالزاجرات زجرا- فالتاليات ذكرا (الصافات١،٢،٣) (أرقام ٥١، ٥٣، ٥٧) فلم يرحب به النحاس على الرغم من أنها قراءة

---

(١) إعراب القرآن ٢٦١/١، ٧/٢.

(٢) ٢٧٩/١، وذلك في قوله: ويجوز أن تقلب الضاد طاء من غير إدغام، ثم تدغم الطاء في الطاء.

(٣) مما امتنع إدغامه مخافة اللبس رغم موافقته لقواعد الإدغام كلمة (ألسنة) فلو أدغمت اللام في السين لأشبه قولك السنة، وهي، النوم (الكشف ١٤٢/١).

(٤) بل كان الكسائي يقول: إدغامها أكثر وأفصح وأشهر وإظهارها لُكنة ولحن (الحجة ١١٧).

(٥) الكشف ١٤٥/١ ، ١٤٦.

حمزة، وأبي عمرو ويعقوب والأعمش وغيرهم، واعتبره شاذا وخارجا عن القواعد العربية لأسباب ثلاثة :

أ – مخرج التاء مختلف عن مخرج الصاد والزاي والذال وغير قريب منه.

ب – التاء في كلمة والأصوات الأخرى في كلمة أخرى.

ج – مع الإدغام يلتقي ساكنان في كلمتين.

ولكن من الممكن الرد على اعتراضات النحاس بما يأتي:

أ – أن النحاس نفسه قد قبل إدغام التاء في الصاد والزاي والسين إذا وقعت في كلمة واحدة، ولا يبدو أي فرق بين الحالتين.

ب – سمح سيبويه بالإدغام في هذه الحالة دون استثناءات [١] .

ج – التقارب بين هذه الأصوات قد أشار إليه سيبويه. ويقره عليه علم اللغة الحديث.

د – قبل النحاس- كغيره من القدماء- الإدغام بين الأصوات المتقاربة المخارج حتى لو كانت في أكثر من كلمة.

هـ – قبل النحاس أسبقية الحركة الطويلة وأعطاها حكم الحركة القصيرة. وبالإضافة إلى هذا فهو قد قبل الإدغام في المثال: "قال رجلان" [٢] مع سبق الصوتين المدغمين فيه بفتحة طويلة. وقد قبل سيبويه الإدغام في مثل "فلا تتناجوا" فقال: "فإن شئت أسكنت الأول للمد وإن شئت أخفيت"[٣].

---

(١) انظر باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا ٤/٤٦٠ وما بعدها.

(٢) المثال رقم ١٠٥.

(٣) ٤/٤٤٠.

١٤- يلاحظ – من الأمثلة – أن الحالات التي يتلو فيها الصوت المدغم الأول حركة تحذف هذه الحركة لتحقيق الإدغام مثل:

أ – تظّاهرون بدلا من تتظاهرون.

ب – حتى يطّهرن بدلا من يتطهرن.

ج – وأن تصّدّقوا بدلا من تتصدقوا.

د – يذّكر بدلا من يتذكر [١].

(وكذلك جميع الأمثلة التي وردت وأمامها [ع ق] في العمود الرابع من أمثلة الإدغام الواقع في كلمة واحدة).

١٥- كذلك يلاحظ أن الحالات التي لم يسبق فيها الصوت المدغم الأول حركة تجتلب فيها حركة عند الإدغام للتخلص من التقاء الساكنين مثل:

أ - "لا تعتدوا في السبت" قرئت بالإدغام: لا تَعَدُّوا.. بنقل حركة التاء إلى العين وإدغام التاء في الدال [٢].

ب – " يهتدي " قرئت: يـهِدّي و يَـهَدّي بجلب كسرة للتخلص من التقاء الساكنين في الأولى، وبنقل فتحة التاء إلى الهاء في الثانية [٣].

ج – وقد تجتلب همزة الوصل كما في "ادّارك" فأصلها: تدارك ثم أسكنت التاء وأدغمت في الدال وأتي بهمزة الوصل ليقع بها الابتداء [٤].

---

(١) الحجة ٨٤ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤.

(٢) الحجة ١٢٨.

(٣) الحجة ١٨١ ، ١٨٢.

(٤) الحجة ٢٧٣.

وقد وردت بعض القراءات بالإدغام مع بقاء الساكن كما هو أي بالتقاء ساكنين مثل:

أ – وهم يخصمون، فقد قرئت بتشديد الصاد مع سكون الخاء [١] .

ب – قراءة حمزة: فما اسْطّاعوا.

وقد دافع ابن خالويه عن قراءة حمزة قائلا : "وليس في ذلك عليه عيب لأن القراء قد قرأوا بالتشديد قوله: لا تعْـدّوا فـي السـبت (النسـاء ١٥٤) وأَمَّـن لا يـهْدّى (يونس ٣٥) ونعْمّا يعظكم (النساء ٥٨) [٢] .

١٦- وتبقى بعض الحالات التي تبدو خارجة على قواعد الإدغام مثل:

أ- إدغام الباء في الفاء مثل : تعجبْ فعجب – يغلب فسوف. ففي الباء صفتان قويتان، وفي الفاء صفة واحدة. فالإدغام هنا يفنى صوتا قويا في صوت ضعيف، وهـو خلاف القاعدة.

لكن يمكن أن يقال إن الباء همست أولا تحت تأثير الفاء المهموسـة ثـم تـم الإدغام بين المتماثلين في القوة.

ب – إدغام الدال في الثاء مثل : يُرد ثواب.

ففي الدال صفتا قوة في حين تخلو الثاء من أي صفة. ولهذا قال القيسي:"علـة الإدغام ضعيفة"[٣]

ج – إدغام الذال في التاء في مثل: اتخذتم – عذت ..

---

(١) الحجة ٢٩٩.

(٢) الحجة ٢٣٣.

(٣) الكشف ١٥٧/١.

ولا مخالفة في هذين المثالين لقواعد الإدغام لأن الذال والتاء متوازنتان من حيث القوة. لكنّ نافعا أدغم "اتخذتم" وأظهر "عذت". قال القيسي: "لأن الأخيرة فعل حذف عينه للاعتلال فلو غير لامه لأخلّ به. وليس ذلك في أخذتم" [(١)].

وفي رأيي أن العلة في إظهار "عذت" هو خوف التباسها بالفعل عدت فالفعلان بالإدغام يصيران على صورة واحدة.

د – إدغام الفاء في الباء في قوله تعالى: نخسف بهم ..(سبأ ٩) لم يرد إلا عن الكسائي وحده[(٢)] – وقد أظهر باقي القراء الفاء " لأن في الفاء تفشيا يبطل الإدغام[(٣)] وقراءة الكسائي – طبقا لقواعد الإدغام – لا غبار عليها ، لأن الفاء قوية بصفة واحدة والباء بصفتين اثنتين، فإدغام الفاء في الباء من إدغام الضعيف في القوي. ومن العجيب أن نجد ابن خالويه يقول معقبا: "فأما إدغام الباء في الفاء فصواب". وكان الأولى أن يقبل – إذ قبل إدغام الباء في الفاء – إدغام الفاء في الباء.

١٧- وأخيرا فقد أخطأ النحاس في تعليله إدغام الذال في التاء في "أخذتم" – "عذت" بقوله: لأن التاء مهموسة والمهموس أخف [(٤)] .

ووجه خطئه أن الهمس في باب الإدغام يعد ضعفا في الصوت لا قوة - كما سبق أن ذكرنا. أما العلة الحقيقية في غلبة التاء هنا فهي أنها كلمة كاملة مستقلة، فغلبت بذلك الذال التي تقف معها في درجة واحدة من حيث القوة.

---

(١) الكشف ١٥٩/١ ، ١٦٠.

(٢) انظر معجم القراءات القرآنية ١١١/٤. وقد وصف الزمخشري القراءة بأنها ليست بقوية.

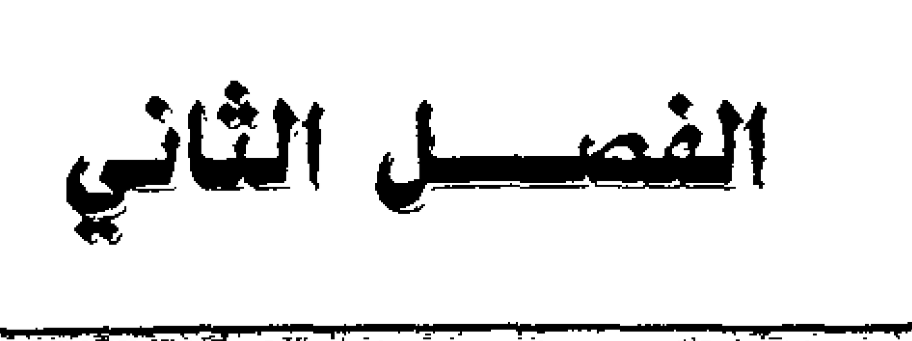
(٣) الحجة ٢٩٣.

(٤) إعراب القرآن ١٩٧/٢، ١٢٨/٤.

الفصل الثاني

إعراب القرآن للنحاس:

عرض ونقد



الفصل الثاني

إعراب القرآن للنحاس - عرض ونقد[1]

إضاءة:

حين نشرت هذا المقال بمناسبة بلوغ المرحوم الأستاذ محمود شاكر عامه السبعين لم يكن لي من هدف سوى أن أدل صغار المحققين إلى مواطن الزلل لديهم، وأن أهديهم سواء السبيل، وأن ألفت نظرهم إلى أن التحقيق ليس بضاعة من لا بضاعة لديه.

وإذا كان المقال قد اشتمل على بعض الألفاظ والعبارات القاسية على من لان جلده وهشّ عظمه، فهي لم تخرج أبدا عن حدود النقد المباح،ولم تتجاوز التعبير عن الانطباع السيئ الذي تركه تحقيق الكتاب في نفسي،خاصة وأنه كان يقدم نموذجا صارخا لما آل إليه مستوى التحقيق بين طلاب الدراسات العليا.

ثم فوجئت بالمحقق الناشئ — بعد أن اشتد عوده — يخصص مقدمة طبعته الثالثة للهجوم على شخصي واتهامي بأنني "لا يرضيني نجاح الآخرين"، وأن مقالي "يملؤه الحقد والحسد" وأنني "فقدت رزانة أهل العلم وموضوعيتهم". كما وصفني بأنني "أخوض في غير مائي"، وأنني "لم أحسن من العلم إلا الترجمة"، وأنني "ليس لي في التحقيق باع ولا بوع" إلى آخر كلمات المحقق التي اشتملت على سباب صريح من مثل الحماقة، والسذاجة، والبذاءة..

وأسأل السيد المحقق الذي كتب مقدمته هذه بعد خمسة عشر عاما من ظهور نقدي- كان من المفروض أن يكون قد نضج فيها فكريا، وتجاوز مرحلة المراهقة العلمية — أينا فقد رزانة أهل العلم وموضوعيتهم؟ وأينا تتصف كتابته بالحمق والسذاجة والحقد والبذاءة؟

وإذا كانت مقدمة الباحث قد كشفت عن معدنه فقد كشفت كذلك عن تطاول غريب على أساتذته. فهو حين أخرج الطبعة الأولى من الكتاب لم يكن سوى خريج حديث حاصل على الدكتوراه، في حين كنت أشغل منصب الأستاذية منذ سنوات، ولو كنت قد شاركت في فحص الرسالة لرددتها على صاحبها حتى يتعلم مبادئ التحقيق وأصوله.

وإذا كان الباحث ينفي عني خبرتي بالتحقيق فهو يثبت بذلك جهله الفاضح بالباحثين في مجال تخصصه. فقد قمت بتحقيق "ديوان الأدب" للفارابي في خمسة أجزاء، وهو بعدُ طالب يحبو للحصول على الماجستير، واشتركت مع زميل لي في تحقيق معجم "المنجد" لكراع، كما نلت جائزتين في التحقيق إحداهما من مكتب تنسيق التعريب بالرباط، والأخرى من مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ثم أي حقد هذا يمكن أن يتدنى إليه أستاذ حقق من السمعة العلمية ما يحلم به كبار الباحثين بله صغارهم؟ وكيف يصور له خياله المريض أن يتوجه الحقد من أستاذ إلى طالب ناشئ لم تقو قدماه على حمله إلا بمساعدة أستاذه المشرف على الدكتوراه وأساتذته من أعضاء لجنة المناقشة؟

هذه إضاءة ضرورية رأيت أن أقدم بها لهذا البحث. وكم كنت أتمنى أن يناقش المحقق ملاحظاتي ويرد عليها بأسلوب العلماء، ولكنه آثر العناد والمكابرة على الرغم من اعترافه بأنه وجد بعض ملاحظاتي مقبولا فأفاد منها.

---

(١) نشر هذا المقال في الكتاب التذكاري بمناسبة بلوغ الأستاذ محمود شاكر السبعين، الذي نشر عام ١٩٨٢ بعنوان "دراسات عربية وإسلامية".

حينما اتجهت الجامعات العربية والأوربية إلى تشجيع طلاب الدراسات العليا في حقل الدراسات الإنسانية على تحقيق النصوص ضمن رسائلهم للماجستير والدكتوراه تفاءلت خيرا،وتمنيت أن تستمر خطوات هذه المسيرة حتى يضاف إلى مكتبتنا العربية - في كل عام – عدد من الكتب والنصوص المحققة التي لم تر النور من قبل.

ولقد تابعت بعض هذه النصوص بعد نشرها، واشتركت في تقويم بعضها الآخر سواء ما تم تحقيقه في جامعة القاهرة أو الكويت أو بغداد. وكثيرا ما كنت أشعر بالأسى والأسف للمصير الذي آل إليه أمر التحقيق حينما كنت أفرغ من قراءة النص المحقق، أو حتى حينما كنت أمضي قليلا في قراءته؛ إذ كنت أكتشف أن نسبة كبيرة ممن شغلوا أنفسهم بالتحقيق لم يفهموا معنى التحقيق العلمي، ولم يعالجوا النص الذي اختاروه بمناهج تحقيق النصوص المعروفة الآن، ولم يكن عندهم من الخبرة والمرانة والدقة ما يؤهلهم لحمل هذه الأمانة، وأنهم إنما اختاروا التحقيق تخففا واستسهالا، ولذا جاء عملهم معيبا، وتحقيقهم ناقصا.

وكان آخر ما وقع في يدي من هذه النصوص المحققة كتاب "إعراب القرآن" لأبي جعفر النحاس المصري المتوفى عام ٣٣٨هـ، وقد نال به صاحبه درجة الدكتوراه من كلية الآداب – جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الأولى، مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها مع الجامعات. ثم قام المحقق، وهو الدكتور زهير غازي زاهد المدرس بكلية الآداب – جامعة البصرة بنشر الجزء الأول منه عام ١٩٧٨ في ٦٩٠ صفحة تتناول سور القرآن الكريم حتى آخر سورة الأنفال.

ولما كنت من المهتمين بأبي جعفر النحاس وبإنتاجه العلمي[1] فقد انكببت على الكتاب منذ حصلت عليه وأقبلت على قراءته بشغف ونهم، لم يلبثا أن تضاءلا ثم تبددا بعد المضي في قراءة الكتاب. وكنت أمسك بالقلم في يدي وأسجل ملاحظاتي في كل صفحة حتى تذكرت ما قاله ابن جني في معجم الجمهرة لابن دريد: "وأما كتاب الجمهرة ففيه ..من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر. ولما كتبته وقّعت في متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته. ثم إنه لما طال عليّ أومأت إلى بعضه وأضربت البتة عن بعضه"، فصنعت مثل صنيع ابن جني بل أكثر من صنيعه حين توقفت عن القراءة، ووضعت القلم، وأمسكت عن التعليق. وأخذت بعد هذا أسائل نفسي: أهذا المستوى من التحقيق خدمة للتراث، أم جناية على التراث؟ وإذا كان من الممكن أن يظهر عمل فردي بهذا المستوى المتدني، فكيف سمح له أن يمر من تحت أيدي أساتذة كبار، منهم من أشرف على رسالة الطالب، ومنهم من اشترك في مناقشتها وتقويمها؟ ثم كيف – أخيرا – توصي اللجنة بطبع هذا العمل وبتبادله مع الجامعات، وقد كان أولى بها أن ترفضه، وترده، وتمهل الطالب أو تؤجله حتى يستكمل عدة البحث، ويتحلى بصفات العلماء التي أهمها القراءة المستديمة ، ومعايشة التراث، بالإضافة إلى الأمانة العلمية، والتسلح بالصبر عند التحقيق والتدقيق. وكل هذا غاب أو كاد في هذه الرسالة أو النشرة المحققة.

وزاد الطين بلة أن الكتاب قد جمع إلى جانب السطحية في كتابة المقدمة

---

(١) سبق أن كتبت مقالا عن "إعراب القرآن" للنحاس ظهر في العدد الأول من مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي (مكة ١٣٩٨هـ)، كما نشرت بمجلة البيان الكويتية (مارس ١٩٧٤) مقالا نقدت فيه تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر لشرح القصائد التسع المشهورات للنحاس.

ودراسة الكتاب، وإلى جانب تجاوزات التحقيق وقصور التعليق -جمع إلى هذا وذاك -رداءة الحرف المستخدم، وأخطاء الطباعة، وسوء الضبط بالشكل.

ولست أحب أن أرسل القول على عواهنه، كما لا أريد أن أظهر بمظهر من يتجنى على المحقق، أو ينتقص من قيمة عمله دون وجه حق، ولذا أضع بين يدي القارئ ملاحظاتي على النص المنشور آملا أن يستفيد المحقق منها في تقويمه للجزء المنشور، وحين يفكر في نشر بقية الأجزاء.

وقد قسمت هذه الملاحظات قسمين:

- ملاحظات على الدراسة.
- ملاحظات على النص المحقق.

١-ملاحظات على الدراسة

قدم المحقق لتحقيقه بدراسة في ثلاثة فصول تناولت على الترتيب:

١- أبو جعفر النحاس– حياته وآثاره.

٢- مصادر إعراب القرآن.

٣- القضايا النحوية والشواهد.

ورغم سطحية هذه الدراسة، وغلبة طابع السرد عليها دون تمحيص أو تحليل فقد عابها ما يأتي:

أولا: أن المحقق لم يبين مراد النحاس من كلمتي "إعراب" و"قرآن" مع حاجة ذلك إلى البيان، لأن النحاس أراد بكل منهما معنى أعم من معناه الخاص المشهور.

فقد أراد بالإعراب التحليل اللغوي العامّ الذي يغطي مشاكل ومسائل تدخل تحت مباحث اللغة والأدب والقراءات والحديث والتفسير وغيرها من الفروع التي

تساعد على فهم النص والإعراب عن مضمونه ومراميه. ويدخل تحت المباحث اللغوية وحدها مشكلات تتعلق بالأصوات العربية مجتمعة أو منفردة، وتأثير الأصوات المتجاورة بعضها على بعض، وإبدال الأصوات، وقلبها، وتشكيل أبنية الكلمات، واشتقاقاتها، وتجميع الكلمات في عبارات، وبيان المعنى المراد من الكلمة أو العبارة.

كما أنه أراد بالقرآن – إلى جانب النص المصحفي – أوجه القراءات المختلفة التي رويت عن مشاهير القرّاء دون تحديد لعدد معين منها، وهو معنى عام قد يختلف معه فيه الكثيرون. يقول الزركشي في البرهان (١: ٢١٨): "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان. فالقرآن هو الوحي المنزل على محمدﷺ للبيان والإعجاز. والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتْبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما".

ثانيا: أن المحقق لعدم تمكنه من فروع الدراسات اللغوية المختلفة –القديم منها والحديث – أهمل الإشارة إلى الأحكام الصوتية والصرفية مع أنها كثيرة في القراءات القرآنية وشائعة في "إعراب القرآن"، واكتفى بالقضايا النحوية وأوجه الخلاف بين البصريين والكوفيين، وهي أيسر القضايا وأظهرها، فضلا عن أنه لا يستطيع أن يقدم فيها شيئا ذا بال بعد أن سبقه الأستاذ وهبة متولي بإعداد رسالة ماجستير بعنوان "أبو جعفر النحاس وأثره في الدراسات النحوية".

ثالثا: ردد المحقق (ص ٨٢) مع المرددين أن قدامى اللغويين قد امتنعوا عن الاستشهاد بالحديث، وذلك لإجازة المحدّثين نقل الحديث بالمعنى دون التقيد باللفظ، ولأن المحدّثين لم يكونوا جميعا من العرب، ولا من المعنيين بصناعة النحو.

وهذا الذي ذكره المحقق يعد من باب الأقاويل أو الاتهامات التي شاع رمي القدماء بها دون تمحيص أو تدقيق. وأتحدى أي واحد من هؤلاء المدّعين أن يبرز نصا واحدا للغوي أو نحوي (قبل أبي حيان وابن الضائع) ناقش مبدأ الاحتجاج

بالحديث فضلا عن أن يكون قد صرح برفض الاستشهاد به. وكل هــذه الزوبعـة أثارهـا بعض المتأخرين الذين لاحظوا — خطأ — أن القدماء لم يستشــهدوا بـالحديث، فبنـوا على ذلك أنهم يرفضون الاستشهاد به ثم حاولوا تعليل ذلـك. ولا أريـد أن أدخـل فـي حجـاج أو جـدل حـول روايـة الحديـث بـاللفظ أو المعنـى، وحـول عروبـة الـرواة أو عجمتهم، وحول تدوين الحديث أو نقله الشفهي، ولكن يكفي أن أقول إن كل القدامى من اللغويين والنحاة قد استشهدوا بالحديث النبوي، وامتلأت معاجم اللغة بخاصة بهذه الشواهد. وإذن فالدعوى ساقطة، والمعركة مختلقة، والخلاف لا وجود له.

ولعل مما يؤكد دعواي هذا النص الذي ورد فـي شـرح كفايـة المتحفـظ لابـن الطيب الفاسي والذي يقول: "على أنا لا نعلم أحدا من علماء العربية خالف في هــذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان في شرح التسهيل، وأبو الحســن بـن الضـائع فـي شرح الجمل وتابعهما . . .السيوطي".

وربما كان منشأ تلك الفكرة الخاطئة هو أن القدماء لم ينصوا على الاستشهاد بالحديث، واكتفوا بدخوله تحت المعنى العام لكلمة "النثر العربي الفصيح"، ثـم حيـن جاء من تلوهم، ودونوا هذه الفكرة كـانوا يفـهمون ذلـك فلـم يخصـوا الحديـث بنـص مستقل. فلما جاء ابن الضائع وأبــو حيـان وغيرهمـا ولـم يجـدوا نصـا مسـتقلا يعـد الحديث من مصادر اللغة ظنوا أن القدماء لم يكونوا يستشهدون به، وسجلوا هذا الظـن على أنه حقيقة واقعة. وجاء من بعدهم فنقلوا عنهم دون تمحيـص، وتـابعوهم مـن غـير بحث. ويؤيد هذا الافتراض أن السيوطي (الاقتراح ص ١٨) اسـتنبط مـن قـول بعضـهم: "النحو علم يستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى وكلام فصحاء العرب" أن اللغويين لم يكونوا يستشهدون بالحديث، فعقب على ذلك بقوله: "فقصره عليـهما ولـم يذكر الحديث"، كأن السيوطي لا يعلـم أن كـلام الرسـولﷺ يدخـل تحـت "كـلام فصحاء العرب" ولم يسمع بقوله ﷺ: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" !!

والغريب أن السيوطي ينقل في المزهر (١: ٨٨) نصا يناقض كلامه السابق، إذ يقول: "قال أبو الحسن الشاري: ومذهبي ومذهب شيخيّ أبي ذر الخشني وأبي الحسن ابن خروف أن الزبيدي أخل بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب منه .. ولما علم بذلك الإمام ابن التياني عمل كتابه "فتح العين" وأتى فيه بما في العين من صحيح اللغة .. دون إخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث".

أما ما حاول أن يوحي به المحقق من أن النحاس قد رفض الاستشهاد ببعض الأحاديث فليس صحيحا. والمثال الذي ذكره هو ردّ النحاس الاستشهاد بحديث "اشترطي الولاء لهم" على أن اللام فيه بمعنى على. وحقا رفض النحاس هذا الاستدلال، ولكن لا على سبيل التشكيك في الأحاديث النبوية، وإنما لأن له رواية أخرى. وحتى "على الرواية التي معنا فالمعنى: اشترطي الولاء من أجلهم، كما تقول: أنا أكرم فلانا لك"[١].

رابعا: زعم المحقق أن النحاس "من النحويين الذين حاولوا أن يجمعوا بين المذهبين البصري والكوفي"، وذكر أنه كان "يقف من النحاة مواقف مستقلة في كثير من المسائل فكان يذكر في المسألة أقوالا لعلماء المذهبين، ثم يختار أو يفضل قولا بصريا أو كوفيا أو يقبلهما جميعا" (ص٦١).

وعلى الرغم من الأمثلة القليلة التي ذكرها المحقق لاختيار النحاس رأيا كوفيا، أو رفضه رأيا بصريا فإن جمع تعليقات النحاس واختياراته، ووضعها جنبا إلى

---

(١) لاحظ أن القول بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض هو قول الكوفيين أعداء النحاس الألداء. ولاحظ أيضا أن النحاس – رغم عدائه الشديد للكوفيين – لم يستطع أن ينعى على أبي عبيد (وهو كوفي) استشهاده على أن العرب تزيد التاء في أول الألفاظ "حين" و "أوان" و "الآن" بحديث عبدالله بن عمر: "اذهب بها تلآن إلى أصحابك"، ولم ينكر عليه أو يناقشه في مبدأ الاستشهاد بالحديث، وإنما أثار فقط مشكلة وجود روايتين أخريين لهذا الحديث.

جنب يؤكد أن النحاس كان بصري النزعة، وأنه كان يميل لمنهج البصريين وفلسفتهم وطريقتهم في الجدل، وأنه كان كثير الغمز لمرويات الكوفيين والطعن في شواهدهم، مما ينفي عنه صفة الحياد أو الاستقلال كما حاول المحقق أن يثبت.

فالنحاس يتبع خطى البصريين في منعهم الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف ويعتبر ذلك — مثلهم — من قبيل اللحن الذي لا يجوز. وهو لهذا يخطئ ابن عامر في قراءته: "وكذلك زُين لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم". وهو يخطئ قراءة: "وقولوا للناس حُسْنَى " بغير تنوين لأن سيبويه يقول إن العرب لا تنطق بمثل هذا إلا بالألف واللام نحو الكبرى والفضلى والحسنى . وغير ذلك كثير.

ولا أدل على تعصبه ضد الكوفيين مما يأتي:

١- تلك الألفاظ العنيفة التي كان يستعملها أثناء مناقشاته للفراء كقوله: "والغلط في هذا بيّن جدا .. ولست أدري كيف وقع هذا حتى ذكره في كتاب المعاني" (مخطوطة إعراب القرآن رقم ٤٨ تفسير بدار الكتب المصرية ص ٢٦٣). وقوله: "وقال الفراء في كتابه المعاني: اجتمع القراء على نصب يوم لا تملك. وهذا غلط قبيح" (مخطوطة إعراب القرآن ص ٢٥٧). وقوله "وأجاز الفراء والكسائي: إنّا كلا فيها .. وهذا من عظيم الخطأ" (المرجع ص ١٨٠). وأمثال هذه العبارات كثيرة.

٢- تلك الأحكام القاسية التي أصدرها النحاس على مرويات الكوفيين وسماعهم بقصد التشكيك في سلامتها. يقول النحاس: "وواحد الآناء إنيٌ لا يعرف البصريون غيره. وحكى الفراء أن واحد الآناء إنًى مثل مِعى مقصور ... وللفراء في هذا الباب في كتاب المقصور والممدود أشياء قد جاء بها.. قد أنكرت عليه، وردها الأصمعي وابن السكيت. والمتقنون من أهل اللغة على خلاف ما روى.. والذي يقال في هذا إنه

مأمون على ما رواه، غير أن سماع الكوفيين أكثره عن غير الفصحاء". وفي موضع آخر يروي أشياء عن الفراء ثم يتشكك في صحتها متهما إياه بأنه أخذها من ألفاظ العامة.

٣- تخطئته بعض الآراء الكوفية رغم وجود الحق معها. ومن ذلك أنه بعد أن حكى قول الكوفيين أنهم يجيزون في كل ما كان فيه حرف من حروف الحلق أن يسكن ويفتح مثل نَعْل ونَعَل قال: "وهذا خطأ. إنما يرجع في هذا إلى اللغة.. ولا فرق بين حروف الحلق وغيرها في هذا".

وعلاقة حروف الحلق بالفتحة وردت في كتب القدماء ويقرهم عليها علم اللغة الحديث فلا معنى لإنكارها. والسماع كذلك يؤيد قول الكوفيين. يقول ابن جني في كتابه "المحتسب" في توجيه قراءة "جَهَرَة": "مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النحو مما فيه حرف حلقي ساكن بعد حرف مفتوح أنه لا يحرك إلا على لغة فيه.. ومذهب الكوفيين أنه يحرك الثاني لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه كالبَحْر والبَحَر، والصَّخْر والصَّخَر. وما أرى القول من بعدُ إلا معهم والحق فيه إلا في أيديهم وذلك أنني سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه".

٤- والنحاس بعد هذا كان كثيرا ما يستعير في مناقشاته اللغوية ألفاظ الفلاسفة ويلجأ إلى الأقيسة العقلية والتعليلات المنطقية، وهو اتجاه اشتهرت به المدرسة البصرية وبرعت فيه دون المدرسة الكوفية. وأمثلة ذلك شائعة وكثيرة في كتابه"إعراب القرآن" ومنها:

أ - تعليله عمل الباء وأخواتها الجر بقوله: "إن هذه الحروف ليس لها معنى إلا في الأسماء، ولم تضارع الأفعال فتعمل عملها فأعطيت مالا يكون إلا في الأسماء وهو الخفض".

ب- ويعلل قول النحويين إن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بأن "الاستفهام معنى، وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه لدخل بعض المعاني على بعض". كأن تقديم الاستفهام يمنع تداخل المعاني!!

ج- ويفسر همزة بين بين قائلا: "وهمزة بين بين متحرك.. كذا قال سيبويه فأما قول من قال هي لا ساكنة ولا متحركة[١] فمحال. لأنها إذا لم تكن ساكنة فهي متحركة وإذا لم تكن متحركة فهي ساكنة فوجب على قوله أن تكون ساكنة متحركة".

خامسا: تشكك المحقق (ص٣٣) في نسبة "رسالة في معاني اللامات" للنحاس. وقد تشكك في النسبة أخ له من قبل هو الدكتور أحمد خطاب العمر[٢]، وذكر احتمال نسبتها إلى إسماعيل بن عبد الله النحاس (شيخ مصر في القراءات- توفي نحوا من عام ٢٨٠ هـ).

وقد سبق لي أن ناقشت هذه القضية، وبينت ترجيحي لنسبة هذه الرسالة لأبي جعفر النحاس، لما يأتي:

١- أن إسماعيل بن النحاس لم يترجم له بين اللغويين أو النحاة، وإنما بين القراء فقط. والكتاب أو الرسالة دراسة متخصصة لأنواع اللامات في اللغة العربية لا يمكن أن يعالجها إلا نحوي متخصص.

٢- أن إسماعيل بن النحاس لم تنسب له أي مؤلفات في أي نوع من أنواع العلم حتى في القراءات القرآنية التي هي من تخصصه.

٣-لا أحد من كتاب التراجم قد نسب لإسماعيل بن النحاس كتابا بهذا العنوان في حين أن ابن الجزري قد نسب لأبي جعفر النحاس هذا الكتاب، ونقل عن عمر بن

---

(١) القائل بهذا هو ثعلب (كوفي) ويريد به أن حركتها رَوْم.

(٢) شرح القصائد التسع المشهورات ص ٢٦، ٢٧.

محمد ابن عراك أحد تلامذة أبي جعفر النحاس قوله: "أنا كنت السبب في تأليف أبي جعفر النحاس كتاب اللامات".

٤- أن كنية المؤلف قد وردت في صلب الرسالة، وهي "أبو جعفر"، وتلك كنية النحاس النحوي المصري، في حين أن كنية القارئ هي أبو الحسن.

٥- على الرغم من أن اسم المؤلف قد صرح به في صدر المخطوطة على أنه: إسماعيل ابن عبد الله النحاس، وفي آخرها على أنه: إسماعيل بن النحاس، فإنه لا ينبغي أن ننسى أن جد أبي جعفر النحاس كان اسمه إسماعيل. ومن أجل هذا فنحن نفترض أن الاسم كان قد كتب أول الأمر كاملا: أحمد بن إسماعيل بن النحاس، ثم لسبب أو لآخر طمس جزؤه الأول، فبقي الاسم: إسماعيل بن النحاس، كما جاء في آخر المخطوطة. ثم حاول بعضهم أن يكمل الاسم تخمينا فأضاف: عبد الله، ظانا أنه القارئ وليس النحوي.

سادسا: ترك المحقق نسخا من مخطوطات "إعراب القرآن" لم يذكرها في مقدمته، وقد ذكرتها فهارس المخطوطات. ولم يذكر لنا لماذا أغفلها أو أسقطها حين التحقيق لو كان قد فعل ذلك عامدا.

سابعا: من أخطاء اللغة والضبط وجدت:

١- قول المحقق: من إحدى وثلاثين بابا، وصحتها من واحد وثلاثين بابا (ص٣١ سطر٤).

٢- ضبط اسم النسائي بكسر النون، والصواب بفتحها نسبة إلى "نَسَا" مدينة بخراسان (ص ١٧ سطر٦).

٢-ملاحظات على النص المحقق

أما ملاحظاتي على النص المحقق فتتلخص فيما يأتي:

أولا: من المعروف في ميدان التحقيق أن المحقق لا يصح أن يلتزم بعبارة الأصل إذا كانت معتلة من جانب اللغة أو النحو أو المعنى، وأن رواية النسخة السالمة من هذه العيوب هي الأحق بالإثبات.

ولكن المحقق لم يلتزم بذلك، وكان كثيرا ما يثبت رواية الأصل في المتن حتى لو كانت غالطة، ويضع الروايات الأخرى في الحاشية، حتى لو كان من بينها الرواية الصحيحة.

ومن أمثلة ذلك:

١- أثبت المحقق في المتن (ص ١٣٢ سطر ٤،٣) ما يأتي:

"الصلاة.. جمعها صلوات وصلاءة وصلاوة.." وذكر في الحاشية أن رواية النسخة (ب) هي: "جمعها صلوات وصلا".

وواضح أن رواية (ب) هي الصواب، فكانت الأحق بالإثبات في المتن. وذلك لأن "صلا" تعد جمعا لصلاة (أو اسم جنس جمعيا على وجه الدقة) بحذف التاء. وقد أطلق النحاس على اسم الجنس الجمعي لفظ الجمع في ص ١٣٦ كذلك حين اعتبر "غشاء" جمعا لـ"غشاوة".

٢- أثبت المحقق في المتن (ص ١٤٢ سطر ٣) العبارة الآتية:

"بكسر الواو على الأصل لالتقاء الساكنين"، وترك للحاشية عبارة (ب) مع أنها هي الصواب، وهي قولها: "على أصل التقاء الساكنين".

٣- أثبت في المتن (ص ١٧٩ سطر ٩) العبارة الآتية:

"فتقول خَطَاءَى. وقد كان هذا البدل يجوز في هذا القول عذارى". ولا معنى لهذه العبارة، والصواب عبارة (ب) و(د) التي استبعدها إلى الحاشية وهي: "..يجوز في غير هذا فتقول عذارى".

٤- يجب إسقاط السطر الأول من (ص ٢٠٧)، لأنه لا معنى لـه، وهـو يخـل بتسلسـل العبارة. وهذا السطر لم يرد في النسخة (ب) – التي أملك نسخة منها. ولـم يشـر المحقق إلى ذلك.

ثانيا: كنت أفضل أن يضع المحقق في المتن زيادات النسخ الأخرى بين جزأي العلامة الطباعية الحديثة [ ]. ولكن المحقق لم يلتزم ذلك. ومن أمثلته شـطر البيـت الوارد (في ص ٢١٧) وهو:

فقلنا أسلموا إنّا أخوكم

وقد وردت تكملته في النسخة (ب) وهي:

فقد برئت من الإحن الصدور

فكان حقه أن يثبت التكملة في المتن بين قوسين معقوفين.

ثالثا: وقعت تحريفات كثيرة في النص، وربما كـان مردهـا السـرعة، أو عـدم التمرس بقراءة المخطوطات. ومن ذلك:

١- وردت العبارة الآتية في ص ١٢١(سطر ٧ وما بعده):"أنه يقال على التكثير: ريّاه وريّه وريّبه. وشرحه أن الأصل ريّبه ثم تبدل من الباء ياء، كما يقال: قصّيـت أظفـاري، وتقصّيت. ثم تبدل من الصاد ياء كما تبدل من الواو في تالله".

والعبارة مليئة بالنقص والتحريف وصحة قراءتها:"ربّاه وربّبه وربّتـه. وشـرحه أن الأصل ربّبه ثم تبدل من الباء ياء كما يقال قصّيت أظـافري وتقصيـت، ثـم تبـدل مـن الياء تاء كما تبدل منَ الواو تاء في تالله".

٢-وردت العبارة الآتية (ص ١٣٨ سطر ٨،٩): لما خففت الهمزة فحذفها وبـدل منـها لاما. وصحتها: أبدل – بدون الواو – كما يدل السياق، وكما ورد في النسخة ب (ص٧).

٣- في ص ١٩٠ (سطر٧) ضبط قول الشاعر هكذا:

وهل يُرجع التسليم أو يكسف العَمِا

وصوابه: وهل يَرجع ... العَما.

٤- ورد في ص ١٩١ (سطر ٢،١) ما نصه: "قل أتّخذتم (مدغما). وقرأ عاصم (أَتَخذتُم) بغير إدغام.."

وواضح أن المحقق لم يفهم العبارة فأخطأ ضبط قراءة عاصم. فقد فهم المحقق أن معنى بغير إدغام: بغير تشديد، فوضع فتحة على التاء دون شدة. وليس هذا هو المراد. إذ المراد بغير إدغام الذال في التاء. ويؤيد هذا الفهم بقية عبارة النحاس وهي "لأن الثاني بمنزلة المنفصل فحسن الإظهار" ويعني بالثاني تاء الضمير.

٥-في ص ١٩٦ (سطر ٨) وردت الآية محرفة هكذا: "وقال الذين كفروا لهذا القرآن والغوا فيه". وصوابها:"وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن...".

٦-في ص ٢١٢ (سطر٣) وردت العبارة: "وروى ابن محيصن"، وصحتها: "وروي عن ابن محيصن".

٧-في ص ٢١٥ (سطر ٩ وما بعده): "ولم يجز أن تدغم الصاد لأنها لا تدغم إلا في اختيار الزاي والسين، لما فيهن من التصغير. ولكن يجوز أن تدغم التاء فيها في غير القرآن فتقول اصّفيناه قبل". وصحة العبارة: "لأنها لا تدغم إلا في أختيها.. لما فيهن من الصفير... ولكن يجوز أن تدغم الطاء..".

٨- في ص ٢٢٢ (سطر١٧) وردت العبارة الآتية: "ما نفع إلا ما ضَرّ وما زاد نقص". وصحتها: "وما زاد إلا ما نقص".

٩- في ص ٢٣٢ (سطر٨) وردت العبارة الآتية: "وفي قراءة عبد الله (والموفين والصابرين)، قال أبو جعفر: يكون منسوقَيْن.." وصوابها "يكونان منسوقين"، وهو الموجود في النسخة (ب).

١٠- في ص ٢٤٢ (سطر١١) وردت العبارة: "(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام) نهي. وهو الأمر بهذا النساء والصبيان.." والعبارة مكررة ومضطربة وصحتها (كما في النسخة ب): "(ولا تعتدوا): ولا تقتلوا من لم تؤمروا بقتله. ويدخل في الأمر بهذا النساء والصبيان".

١١- في ص ٢٥٢ (سطر١١) وردت العبارة: "قال أبو إسحاق: التقدير: في ظُلل ومن الملائكة". وصحتها كما في النسخة (ب): "التقدير في ظُلل من الغمام ومن الملائكة".

١٢- العبارة في ص ٢٦٣ (سطر٣) تقرأ هكذا: "يقال لغا يَلْغُو ويَلْغَى لَغْواً، ولغِيَ يَلْغَى.." وقد وردت في التحقيق محرفة تحريفا شديدا، وتحتوي على خمسة أخطاء.

١٣- في ص ٢٩٥ (سطر١٤) كتبت الآية "وقال رب فأنظرني". ولما كانت الواو زائدة وليست من الآية فقد كان يجب كتابتها هكذا: و "قال رب فأنظرني".

رابعا: ترك المحقق كثيرا من العبارات الواردة في النص المحقق دون تعليق أو توضيح مع شدة حاجتها إلى ذلك. والأمثلة كثيرة، ولكننا نقتضب منها ما يأتي:

١-عدم رجوع المحقق إلى معاني القرآن للنحاس حينما يحيل المؤلف إليه. وأهمية الرجوع إليه أن المؤلف كان كثير الإشارة إليه، ولمّح في مقدمته إلى تركه بعض القضايا لسبق علاجها في هذا الكتاب، وذلك في قوله: "ولعله يمر الشيء غير مشبع فيتوهم متصفحه أن ذلك لإغفال، وإنما هو لأن له موضعا غير ذلك". ومن الإحالات إلى معاني القرآن قول النحاس (ص ١٥٩): "وقد ذكرنا عرضهم في الكتاب الذي قبل هذا". ولم يرجع المحقق إلى معاني القرآن ليرى ما ذكره النحاس هناك. كذلك لم يرجع إليه في قول النحاس: "وقد ذكرنا الهمز في النبيئين في الكتاب الذي قبل هذا" (ص ١٨٢). وغير ذلك كثير.

٢- عدم ذكر رقم الصفحة التي يحيل المؤلف إلى شيء سبق ذكره فيها.

ومن أمثلة ذلك قول النحاس: "وقد ذكرنا رفع فيكـون" (ص ٢٠٨) ولـم يتتبـع المحقق أين ذكر ذلك. وقوله: "بالصبر، أي عن المعاصي. قال أبو جعفر: وقد ذكرناه". ولم يذكر المحقق في أي صفحة.

٣- كان على المحقق أن يعلق على عبارة قطرب: "إذا كان بعد السين في نفـس الكلمـة طاء أو قاف أو خاء أو غين فلك أن تقلبـها صـادا" (ص ١٢٤) بمـا يوضحـها، ويبيـن مغزى الاقتصار على هذه الأحرف الأربعة دون غيرها من حروف الاستعلاء.

ويمكن تلخيص التعليق الضروري فيما يأتي:

أ-خص هذه الأحرف لأنها هي الموجودة من بين أحرف الاستعلاء كثـان حيـن تقع السين كأول. ولم يرد كثان: ص – ض – ظ.

ب-لابد من اشتراط التوالي دون فاصل حتى مـن حركـة، مثـل يسـقط، بخـلاف سقط.

ج- لم ترد ص – ض – ظ كثالث مع سين كأول، أو مع سين كثان.

٤- ترك المحقق قول النحاس (ص١٣٠) "أن حروف الحلق ليست أصـلا فـي الإدغـام" دون تعليق، وكان حقه أن يفسر ذلك، خصوصا وأن قريبا من هذه العبـارة قـد ورد فـي كلام سيبويه. يقول سيبويه في الكتـاب (٤: ٤٥٠): "ولـم تكـن حـروف الحلـق أصـلا للإدغام". وعدم أصالتها يرجع إلى قلة شيوعها. وقلـة الشـيوع – كمـا يقـول علمـاء اللغة المحدثون – تجعل الصوت أقل تعرضا لظاهرة الفناء في غـيره (إبراهيـم أنيـس: أصوات ١٨٩).

ومن الممكن أن نؤيد رأي سيبويه والنحاس بما يأتي:

أ - أن صوت اللام في أداة التعريف لا يدغم في أي صوت حلقي.

ب- أن النون الساكنة والتنوين اللذين يدغمان في كثير من الأصوات اللاحقة لا يدغمان في أصوات الحلق.

ج- أن أمثلة الإدغام التي وردت في القراءات القرآنية متعلقة بأصوات الحلق تعد من قبيل القليل أو النادر[1].

٥- قال النحاس (ص١٤٦) ما نصه: "من قال يخطف كسر الياء لأن الألف في اختطف مكسورة. فأما ما حكاه الفراء عن أهل المدينة من إسكان الخاء والإدغام (يعني تاء الافتعال في الطاء) فلا يعرف ولا يجوز لأنه جمع بين ساكنين".

وعبارة النحاس تحتاج إلى تعليق لأن بعض القراءات قد ورد بالإدغام مع بقاء الساكن كما هو، أي بالتقاء الساكنين. ومن ذلك قوله تعالى: "وهم يخِصِّمون" الذي قرئ بتشديد الصاد مع سكون الخاء (الحجة لابن خالويه ٢٩٩). ومنه قراءة حمزة: فما اسْطّاعوا. وقد دافع ابن خالويه عن قراءة حمزة قائلا: "وليس في ذلك عليه عيب، لأن القراء قد قرءوا بالتشديد قوله تعالى: "لا تعْدّوا في السبت" (النساء ١٥٤)، و"أمّن لا يهْدّي" (يونس ٣٥)، و "نعْمّا يعظكم" (النساء ٥٨).

٦- تناقض النحاس مع نفسه حين ذكر في ص ٢١٢ ما نصه: "وروي عن ابن محيصن أنه كان يدغم الضاد في الطاء. قال أبو جعفر: وذا لا يجوز لأن في الضاد تفشيا، فلا تدغم في شيء"، ثم جاء في ص ٢٣٠ وذكر ما نصه تعقيبا على الآية "فمن اضطر.." "ويجوز أن تقلب الضاد طاء من غير إدغام ثم تدغم الطاء في الطاء فتقول فمن اطّر. وهذا في غير القرآن".

وترك المحقق عبارتي النحاس المتعارضتين دون إشارة أو تعليق.

٧-أخطأ النحاس من جانب اللغة في قوله "ثلاث ألفات" (ص ١٧٩) ولم ينبه المحقق على خطأ العبارة. وصوابها: ثلاثة ألفات.

---

(١) انظر الفصل الأول: صور من الإدغام الوارد في القرآن الكريم وقراءاته.

خامسا: أغفل المحقق استخدام علامات الترقيم مع أهمية استخدامها وبخاصة في المواضع التي تحتمل اللبس. كما أهمل وضع الـهمزات التحتية والفوقية وعلامة المد. ولم يميز في كثير من الأحيان بين الهاء والتاء المربوطة. وتلك أمور إذا وجب التزامها في أي عمل مكتوب، فالتزامها في النصوص المحققة أوجب. ولست في حاجة إلى ضرب الأمثلة على هذا لأنها متغلغلة في صفحات الكتاب ولا تكاد تخلو صفحة من أمثلة لها.

سادسا: أخطأ المحقق في ضبط كثير من الكلمات أو نقطها أو كتابتها. ومن أمثلة ذلك:

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
وجمع أسماء أسامِى	أسامِيّ	١١٧	٤
بن (أول السطر)	ابن	١١٩	١٠
"	"	١٢١	٢١
ربّ العالمين	ربُّ العالمين	١٢١	٤
جيئ	جيء	١٢٨	١١
اللذون	الذون	١٣١	١٣
قالوا استحيى يستحى	استحى	١٥٣	٦
وجمع آدم صفة أدْمُ	أُدْمٌ	١٥٩	١
ويجوز اعَلمُ	إعْلَمُ (قراءة في أَعْلَمُ)	١٦١	١٥
وغُيِضَ	غُيِض (للإشارة إلى الإشمام)	١٦٢	٣
هُزُوءا	هُزُؤًا	١٨٤	١٤
هُزْوءا	هُزْءا	١٨٤	١٦
والأصل : يتشابه	تتشابه	١٨٥	الأخير

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
وإِنه أهلك	وأنه (قرآن)	١٨٧	٥
الفُتَبىّ	القُتبي	١٩٣	٢
فى الشواذ	في السواد	١٩٩	٢
يَفْل	يَفْعَل	٢٠٠	١١
آيَة	آية	٢٠٢	١٦
بيّنْ	بيَّنْ	٢٠٥	١١
نَضْطره	نِضْطره	٢١٢	١
فَأُمْتِعُهُ	فَأَمْتِعْهُ	٢١٢	٩
لكبيرةُ	لكبيرةً (قرآن)	٢٢٠	١٢
مُنْطق	مُنْطلق	٢٢٢	١٠
يَطّوف	يُطَوِّف	٢٢٥	١
فديةَ طعامٍ	فديةُ طعامٍ	٢٣٧	٣
فعدةً	فعدةُ	٢٣٨	٢٠
ولَتكملوا	ولتُكملوا	٢٣٨	٢٢
المِعْزاء	المَعْزاء	٢٣٩	١٣
رفثُ	رفثَ	٢٤٥	١٣
يَطْهَرْن	يَطهُرْن	٢٦١	١٧
تُنكح	تَنكح	٢٦٦	الأخير

سابعا: ترك المحقق كثيرا من الكلمات دون ضبط، مثل:

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
لا وربيك	وَرَبْيَكَ	١٢١	٢١

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
لاقوا	لاقَوْا	١٤٠	٥
انه هو	إنهْ هُو	١٦٤	١٧
مفعل	مَفْعُل	٢٤٧	١٠
تغمضوا	تُغَمِّضُوا (قراءة قتادة)	٢٨٩	٧

ثامنا: لم يطرد المحقق في كتابته بعض الكلمات خلال النص، و كان حقه أن يسير على وتيرة واحدة ومن ذلك:

١- كتب: **بسم** الله الرحمن الرحيم — سطر ٨ ص١١٦

وكتبها مرة أخرى **باسم** الله الرحمن الرحيم — سطر ٩ ص١١٦

٢- كتب: أبو البركات ابن الأنبارى — سطر١٩ ص١١٧

ولكن : أبو الحسن **بن** كيسان — سطر ٥ ص١٢١

٣-كتب: **ياءا – استثناءا** — ص ١٢٤و١٢٥

ولكن : **ماء** — ص ١٤٨

تاسعا: التصحيفات والأخطاء المطبعية كثيرة، ومنها ما يتعلق بالنصوص القرآنية مما يضاعف مسئولية المحقق. وأقتصر من مئات الأخطاء على ما يأتي:

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
والها	وإلها	١٢١	٣
ميلك	مليك	١٢٢	١١
ساكنا	ساكنان	١٢٣	١١
وقبل	وقيل	١٢٣	١٢
فيه هُد	فيه هُدًى (قرآن)	١٢٩	٨

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ولا أصل	والأصل	١٢٩	١١
يؤمنون	يومنون	١٣١	٩
لَمَ	لِمَ	١٣٦	١
أَلرْض	اللَّرْض	١٣٨	٨
المَفْسدون	المُفْسدون	١٣٩	٥
يجون	يجوز	١٣٩	٦
وأسكتت	وأسكنت	١٤٥	١٥
رحمة الله	رحمه الله	١٥٠	٨
فُعلو	فعلوا	١٥١	٢٠
لا أزواج	الأزواج	١٥٢	١
خِفت	خففت	١٥٩	١٢
قَيْل	قبل	١٧٤	٢
ياقوميةْ	ياقوميهْ	١٧٥	١٧
لزعم	لزم	١٧٩	١٠
لخفيّتها	لخفتها	١٨٢	٦
تداركُكُم	تداركَكُم	١٨٣	١٢
عرفتكم	عرفتم	١٨٤	٣
وارق	وارْزق	٢١١	١٧
يرق (مرتين)	يرزق	٢١٢	الأخير
بُرَيْةٌ	بُرَيْهٌ	٢١٧	٩
المهدون	المهتدون	٢٢٤	١٣

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
وطره	طرده	٢٢٥	١٢
ولو ترى	ولو يرى	٢٢٧	١٠
للدلالة.. للدلالة	تحذف الثانية	٢٢٨	١٣
كما	لما	٢٣٤	قبل الأخير
فأتممها	فأتممهما	٢٤٤	١
آذيا فى	أذيان	٢٦١	١٧
واليّة	وأَليّة	٢٦٣	٦
لذاو	لذو	٢٧٦	٢
قَلِلة	قليلة (قرآن)	٢٧٩	١٤
والاظفار	والإظهار	٢٨٤	١٢
تُغَمّض	يُغْمَضَ	٢٨٩	٨
الجائليق	الجاثليق	٢٩٢	١٧

وبعد:

فقـد سجلت ملاحظاتي هذه بعد الفراغ من قراءة الدراسة التي كتبها المحقق، والتي تقع في مائة صفحة، وقراءة قسم من النص المحقق يقع في مائتي صفحة فقط تتناول سورتي الفاتحة والبقرة وحدهما أي أقل من عشر القرآن.

فهل عليّ من حرج إذا طالبت وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية- التي قامت بنشر الكتاب بأن تعيد النظر في أمر دعمه وتحقيقه؟

وهل يقدّر المحقق الفاضل أمانة التحقيق حق قدرها، فيكف عن إصدار بقية الأجزاء، حتى لا يتسع الخرق على الراقع؟

وهل يقبل زملائي وأساتذتي المشرفون على طلاب الدراسات العليا مني النصح بأن يدفعوا طائعين مختارين ضريبة الأستاذية عن طريق توجيه الطلاب التوجيه السليم، وجدية الإشراف على رسائلهم؟

وهل أجد أذنا صاغية من طلاب الدراسات العليا والباحثين حين أقول لهم:إن العبرة ليست بالكم وكثرة الصفحات، وإن القيمة الحقيقية للعمل العلمي لا تقاس بالحجم، وإنه لا يمكن أن تقبل شفاعة أو تعلّة في التقصير العلمي بحجة ضخامة العمل أو كبر حجمه؟

وقد كان الأولى بمحقق "إعراب القرآن" أن يقتصر- للحصول على الدكتوراه- على نصف إعراب القرآن أو ربعه ويخرج عملا جيدا بدلا من أن يتصدى لتحقيقه كله ثم ينوء كاهله بحمله.

وإذا كان المحقق قد استطاع أن يخفي عورات الدراسة والتحقيق عن ثلاثة أو أربعة من الأساتذة، فهل يستطيع أن يخفيها عن الملأ بعد أن تصدى لنشر عمله وقامت بدعمه إدارة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف العراقية؟

ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

الفصل الثالث

الفاصلة القرآنية

بين ملاءمة اللفظ ومراعاة المعنى

الفصـــل الثالث

الفـاصـلة القـرآنيـة
بين ملاءمـة اللفـظ ومراعـاة المعنى [1]

الفاصلة في القرآن هي كلمة آخر الآية، في كتـاب الله [1] قـال ابـن منظـور: وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلـة قوافـي الشـعر... واحدتـها فاصلـة [2] ، وقال الزركشي: هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع [3].

وواضح من تشبيه القِدماء للفاصلة القرآنية بقافية الشعر أو قرينة السجع محاولة توجيه النظر إلى الجرس الصوتي، والملاءمة اللفظية أكثر من لفت الانتباه إلى المواءمة الدلالية، والارتباط العضوي بين مضمون الآيات وخواتمها. وليس هـذا صحيحـا علـى الإطلاق حتى إن بعض القدماء قد لاحظ في الفواصل القرآنية تبعيتها للمعاني بخـلاف الأسجاع التي تتبع المعاني فيها الألفاظ [4].

ولإبراز الجانب الموسيقي في الفواصل، ومراعاة متطلبـات الإيقـاع ومقتضيـات التلاؤم النغمي راعت الآيات ما يلي:

١ - بناء كثير من الفواصل على الوقف حتـى لا يختـل الإيقـاع. ولـذا شـاع الجمـع بيـن الفواصل المختلفة الإعراب نظرا لاتفاق شكلها عند الوقف، ومن ذلك: "إنا خلقنـاهم مـن طين لازب" (الصافات١١) مع تقدم قوله: "عذاب واصب" (الصافات٩) و"شـهاب ثـاقب" (الصافات١٠). وقد نبه إلى ذلك إبراهيم أنيس حين قال:بـل إن جـزم الفعـل "انحـر" فـي

---

(١) سبق نشره في العدد الأول من مجلة الدراسات القرآنية- مركز الدراسات الإسلامية بكلية الدراسات الشرقية و الإفريقية- جامعة لندن ١٩٩٩م.

سورة الكوثر ليؤكد لنا أن الوقوف بالسكون على رءوس آيات هذه السورة لأن يحقق الانسجام الموسيقي : " إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر"[٥].

٢ – تفضيل كثير من الفواصل لأصوات معينة لحرف الروي وختامها بحروف المد والنون تمكينا للقارئ من تحقيق الترنم والتمكن من التطريب بذلك، كما يقول الزركشي [٦] الذي ينقل عن سيبويه قوله: "إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والواو والياء... لأنهم أرادوا مد الصوت"[٧]. ويمكن أن يضاف إلى النون الميم، فهما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغة، مما يسمح بالتنغيم والترديد[٨]. وقد تبين بالإحصاء الفعلي غلبة هذه الأصوات ومشابهاتها. فسورة البقرة تحتوي على مائتين وست وثمانين آية، خص النون منها مائة واثنتان وتسعون آية، والميم أربع وخمسون آية. وسورة النساء تحتوي على مائة وست وسبعين آية، خص الميم منها ست وخمسون آية، والراء ثلاث وثلاثون آية، واللام ثمان وعشرون آية، والنون سبع عشرة آية. وتغلب النون في سورة آل عمران، يليها الميم، وكذلك الترتيب في حروف المائدة. وفي سورة الرحمن ثمان وسبعون آية، خص النون منها تسع وستون ، والميم سبع آيات والراء آيتان. ومع القيمة الخاصة للنون والميم نجد القرآن يلون وينوع أواخر الفواصل ليحدث تنوعا في الإيقاع تبعا لنوع الموضوع والتعبير، وإن كان الغالب الانتهاء بحروف المد واللين، وإلحاق النون.

وقد أدت مراعاة القرآن للفواصل إلى جملة تغييرات خرجت ببعض التراكيب عن النمط العادي، وقد شمل ذلك:

١ – التقديم والتأخير، كما في قوله تعالى: "قالوا آمنا برب هارون وموسى"[٩] لمراعاة الألف التي سادت السورة. وقارن هذا بقوله تعالى في سورة الشعراء [١٠]: "قالوا آمنا

برب العالمين رب موسى وهارون". فقد ختم بهارون مراعاة للفاصلة، حيث تسيطر النون المسبوقة بمد على سورة الشعراء. وقبل هاتين الآيتين: الغالبون. يأفكون. ساجدين.

ومنه كذلك قوله تعالى: "إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى"[١١]، حيث عدل البيان القرآني عما هو مألوف ومتبادر من تقديم الأولى على الآخرة مراعاة للفواصل[١٢].

٢ – زيادة حرف لأجلها، كما في قوله تعالى: "وتظنون بالله الظنونا"[١٣]، لأن معظم الآيات ينتهي بألفات منقلبة عن تنوين وقفا، فزيد على النون ألف لمناسبة نهايات الفواصل، وقبل هذه الآية: مسطورا، غليظا، أليما، بصيرا، وبعدها شديدا، غرورا، فرارا... الخ.

ومثلها قوله تعالى: "فأضلونا السبيلا"[١٤]، وقوله: "وأطعنا الرسولا"[١٥] وكذلك إلحاق هاء السكت في قوله تعالى: "ماهيه" لتحقق اتفاق الفواصل مع ما قبلها وما بعدها: "فأمه هاوية وما أدراك ماهية. نار حامية"[١٦].

٣ – حذف ياء العلة، مثل قوله تعالى: "والليل إذا يَسرِ"[١٧]، بدلا من "يسري" لوجودها مع: الفجر. عشر. الوتر... الخ.

ومثله قوله تعالى: "وثمود الذين جابوا الصخر بالوادِ"[١٨] مع: بعاد، العماد، البلاد، الأوتاد... الخ.

٤ – صرف الممنوع من الصرف، كما في قوله تعالى: "وأكواب كانت قواريرا"[١٩] وقبلها: سرورا، حريرا، زمهريرا، تذليلا ، وبعدها: تقديرا، زنجبيلا ، سلسبيلا ... الخ.

قال الزمخشري: وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة... أجرى الفواصل مجرى أبيات الشعر.

٥ – حذف كاف الضمير، كما في قوله تعالى: "والضحى. والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى...ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى..."[٢٠].

٦ – إفراد ما أصله الجمع، كقوله تعالى: "إن المتقين في جنات ونهر"[٢١]. فالأصل: "وأنهار" ووحد لمراعاة الفاصلة. وعكسه جمع ما أصله الإفراد، كقوله تعالى: "لا بيع فيه ولا خلال"[٢٢]. فالمراد: "ولا خلة" لكن جمع لأجل مناسبة رءوس الآي [٢٣].

٧ – العدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال كقوله تعالى: "ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون"[٢٤] حيث لم يقل "وفريقا قتلتم"، كما سوى بينهما في آية أخرى وهي: "فريقا تقتلون وتأسرون فريقا"[٢٥].

٨ – بل إننا نجد بعض القراء يختار إبدال حرف بآخر مراعاة للفاصلة. فقد قرأ الزهري، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، والشعبي الآية: "فاعبدني وأقم الصلاة لذكري"[٢٦] قرأوها: لذكرى [٢٧] قال الطبري[٢٨]: أراد بها الإضافة، وصيرها ألفا للتوفيق بينه وبين رءوس الآيات قبله وبعده. وقال الفراء: ياء إضافة حولت ألفا لرءوس الآيات. وقال النحاس: فعل ذلك لتتفق رءوس الآيات [٢٩].

٩ – ونجد بعض القراء يفضل لفظا على آخر بسبب ما يحققه من انسجام وتلاؤم في الفاصلة، مع ما قبلها وما بعدها. فقد قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم وغيرهم: "إذا كنا عظاما ناخرة"، بدلا من "نخرة"[٣٠]. وقد فضل الفراء القراءة الأولى. وهي قراءة الأقلية. لأن الآيات الأخرى بالألف – "الراجفة، الرادفة، واجفة، خاشعة، الحافرة، ناخرة، خاسرة، واحدة"[٣١].

ويلاحظ هنا عدة أمور:

١ – أن الفواصل القرآنية قد وردت متماثلة في حروف مقاطعها، وتسمى المتجانسة أو ذات المناسبة التامة، مثل:

أ - "والطور/ وكتاب مسطور/ في رق منشور..."[٣٢].

ب - "والفجر/ وليال عشر/ والشفع والوتر..."[٣٣].

كما وردت متقاربة في حروف مقاطعها، وتسمى ذات المناسبة غير التامة، مثل:

أ - " الرحمن الرحيم/ مالك يوم الدين"[٣٤] (تقارب الميم والنون).

ب - " والقرآن المجيد/... هذا شيء عجيب"[٣٥] (تقارب الدال والباء).

٢ - كما وردت الفواصل القرآنية بصور شتى، فقد جاءت:

أ - متوازية، تتفق فيها الكلمتان في الوزن وفي حرف الفاصلة، مثل:

"فيها سرر مرفوعة/ وأكواب موضوعة"[٣٦].

ب - وغير متفقة في الوزن ولكن في الحروف فقط، مثل:

"ما لكم لا ترجون لله وقارا/ وقد خلقكم أطوارا" [٣٧].

ج - ومتوازنة، أي متفقة في الوزن دون الحروف، مثل:

"وآتيناهما الكتاب المستبين/ وهديناهما الصراط المستقيم"[٣٨].

د - كما جاءت محققة الاستلزام، وهو أن تلتزم حرفا أو أكثر قبل حرف الفاصلة، مثل:

- "فأما اليتيم فلا تقهر/ وأما السائل فلا تنهر"[٣٩]. (الهاء قبل الراء).
- "ألم نشرح لك صدرك/ ووضعنا عنك وزرك"(٤٠). (الراء قبل الكاف).
- "والطور/ وكتاب مسطور"[٤١]. (الطاء والواو قبل الراء).
- "فإذا هم مبصرون/ ثم لا يقصرون"[٤٢]. (الصاد والراء والواو قبل النون) [٤٣].

٣- أن السورة قد تنتهي بفاصلة منفردة الإيقاع تكون كالمقطع الأخير المومئ إلى الانتهاء، كقوله تعالى: "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث"[٤٤].

٤ – أن جميع الفواصل في القرآن لم تقتصر على مراعاة حسن النظم فقط وإنما راعت مع ذلك- وقبله- جانب المعنى، فحققت بذلك إيقاعها الفريد، وبلاغتها العليا في مطابقتها لمضمون ما قبلها ولذا يقول الرماني في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" : وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها"[٤٥] وعلى سبيل المثال.

أ – حذف كاف الضمير في سورة الضحى في "قلى"، "فآوى"، "فهدى"، "فأغنى". لم يراع الفاصلة وحدها، وإنما حقق حكمة بلاغية. فقد حذفت من "قلى" لتجنب خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس بصريح القول: وما قلاك. لما في القلى من حس الطرد، والإبعاد، وشدة البغض ...وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء. وحذفت كاف الخطاب في الفواصل بعدها لأن السياق بعد ذلك أغنى عنها[٤٦].

ب – التقديم والتأخير في قوله تعالى: "إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى"[٤٧] ليس لمراعاة الفاصلة وحدها، ولكن لمراعاة المعنى كذلك، حيث جاء الكلام "في سياق البشرى والوعيد، إذ الآخرة خير وأبقى، وعذابها أكبر وأشد وأخزى، وبهذا الملحظ البياني قدمت الآخرة على الأولى في سياق البشرى للمصطفى بآية الضحى: وللآخرة خير لك من الأولى..."[٤٨].

ومثل هذا يقال في الآية القرآنية: "قالوا آمنا برب هارون وموسى"[٤٩]، التي جاءت ضمن عشر آيات اقترن فيها موسى وهارون. وكانت الآية الوحيدة التي قدم فيها هارون على موسى، فبالإضافة إلى ما يحققه هذا التقديم والتأخير من مراعاة النسق، فيه فوائد أخرى منها إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة، ومنها التنويه بشأن هارون لأنه كان أفصح من موسى[٥٠]. وكذلك قوله تعالى: "فأوجس في نفسه خيفة موسى" [٥١]. فقد

حقق التقديم والتأخير مراعاة الفاصلة إلى جانب ما حققه من تشويق بتأخير الفاعل، وتطلع النفس إلى معرفته، فإذا جاء بعد ذلك وقع بموقع حسن [٥٢].

ج – تغيير نمط التعبير، كما في قوله تعالى: "إما أن تلقي، وإما أن نكون أول من ألقى"[٥٣]. حيث لم يقل كما هو متوقع: "وإما أن نلقى". فتغيير النمط لم يحقق مراعاة النغم الموسيقي فحسب ولكنه يكشف النمط عن رغبة القرآن في تصوير نفسية هؤلاء السحرة، وأنهم لم يكونوا يوم تحدوا موسى بسحرهم خائفين أو شاكين في نجاحهم، وإنما كان الأمل يملأ قلوبهم في نصر مؤزر عاجل [٥٤]. ومعنى هذا أن القرآن حتى في مراعاته للملاءمة اللفظية كان يضع في اعتباره أولا وقبل كل شيء جانب المعنى، واتساق خواتم الآيات، وتناسبها مع السياقات التي ترد فيها، والأغراض التي جاءت من أجلها وقد يكون هذا الاتساق والتناسب واضحا جليا لا يحتاج إلى كثير فكر أو كبير عناء للوصول إليه، كما في الآيات:

- "أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا"[٥٥].
- "وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب"[٥٦].
- "انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا "[٥٧].
- "إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين"[٥٨].
- "ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين"[٥٩].
- "ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"[٦٠].

ولكنه في بعضها الآخر قد يكون خفيا في حاجة إلى تمعن وتأمل وتدبر، مما قد يوقع في الوهم كما حدث مع كاتب مادة "إسلام" في دائرة المعارف البريطانية الذي كتب يقول ما ترجمته: "يعطي القرآن انطباعا بأنه قد كتب بطريقة عشوائية... وبخاصة حين يلاحظ القارئ أن عبارات معينة مفضلة، مثل: إن الله غفور رحيم، إن الله عليم حكيم، ولكن أكثرهم لا يعلمون. لا تتضح صلتها، أو يبدو عدم صلتها على الإطلاق بسياق ما

قبلها، مما حدا ببعضهم إلى القول بأن هذه الخواتم إنما جاءت لمراعاة السجع أو الإيقاع فقط"[٦١].

ويكفي للرد على هذا الزعم الباطل أن نستعرض بعضا من هذه الآيات التي انغلقت مفاتيحها أمام بعضهم وغمض مقصدها عليهم:

١ – قوله تعالى: " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون"[٦٢]. مع قوله تعالى: " وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون"[٦٣]. هل جاء ختام الآية عشوائيا؟. لا، فقد جاء لملاءمة معنى الآية التي ختمها. فلما كانت الآية الأولى تتحدث عن الفساد في الأرض بأعمال يشعر بها، وتلك قضية تتعلق بالحواس الظاهرة ختمت بقوله تعالى: "ولكن لا يشعرون"؛ لأن المشاعر هي الحواس. ومثله قوله تعالى: "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، بل أحياء ولكن لا تشعرون"[٦٤]؛ لأن الرؤية إحدى الحواس. وقوله تعالى: "من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون"[٦٥] لأن العذاب مما يشعر به ويحس[٦٦]. ولكن لما كانت الآية الثانية تتعلق بالسفه، وهو الجهل، وهو أمر يتعلق بالتفكير والعقل ناسب أن تختم بنفي العلم[٦٧].

٢ – في سورة الأنعام[٦٨] وردت الآيات الثلاث:

أ - "وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون".

ب – "وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون".

ج – "وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء" إلى قوله "إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون".

لماذا هذه المخالفة في ختام الآيات؟ للأسباب الآتية:

أ - لما كانت قضية النجوم مما يعلمه العرب، ويمكن أن تعرفه الأمم الساذجة ختمت الآية الأولى بـ" يعلمون".

ب – ولما كانت قضية النفوس دقيقة لا يطلع عليها إلا الخاصة ختمت الآية الثانية بـ"يفقهون". لأن الفقه أخص من العلم، فهو العلم بدقائق الأمور.

ج – ولما كانت الآية الثالثة تظهر فيها دلائل القدرة الإلهية كإنزال المطر وإخراج النبات ختمت بـ"يؤمنون"(٦٩).

٣- في سورة القصص (٧٠) وردت الآيتان:

أ- "قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء، أفلا تسمَعون".

ب- "قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون".

لماذا اختلف ختام الآيتين؟

لقد ختمت آية الليل بالسمع، لأن دوام الليل فيه إعمال لحاسة السمع وتعطيل لحاسة البصر. وختمت آية النهار بالبصر، لأن دوام النهار وهو ظرف لأعمال الناس وتصرفاتهم يناسبه البصر(٧١).

٤ – في سورة الجاثية (٧٢):

أ - "إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين".

ب – "وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون".

ج – "واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق، فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون".

أ – جاءت فاصلة الآية الأولى: "المؤمنين" دون غيرها لأن الله سبحانه ذكر العالم جملة في قوله: "السموات والأرض". ومعرفة ما في العالم من الآيات الدالة على أن مخترعه حكيم قادر مختار، فرع عن التصديق بوجود صانع على هذه الصفات، والتصديق يناسب الإيمان.

ب – أما فاصلة الآية الثانية فجاءت بعد الدعوة إلى التأمل في خلق الإنسان، وتدبير خلق الحيوان. وهذا يزيد الإيمان قوه ويقينا.

ج – أما فاصلة الآية الثالثة فجاءت بعد معرفة جزئيات العالم، واختلاف الليل والنهار، وتصريف الرياح، ونزول المطر، وإنبات النبات الذي به يعمر الكون... وهي أمور يقتضي تدبرها رجاحة عقل، ورصانة تأمل بعد أن يدرك الشخص أن من صنع هذه الجزئيات هو الذي صنع الكليات. فناسب هذا أن يأتي الختام بالعقل؛ لأن مضمون الآية يحتاج إلى تدبر وإعمال فكر ورجاحة عقل(٧٣).

٥ – جاءت بعض الآيات في القرآن مختلفة الفواصل مع أن المتحدث عنه فيها واحد ومن ذلك:

أ - "وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار"(٧٤).

ب – "أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم"(٧٥).

ذلك أن القرآن قد راعى في الآية الأولى موقف الإنسان من نعم الله فهو ظلوم كفار، فختمت الآية بما يناسب ذلك. وراعى في الآية الثانية مقابلة الله نكران الجميل، وكفران النعم بالغفران والرحمة، فختمت الآية بما يناسب الحديث عن الله جل وعلا(٧٦).

وقد يكون اختلاف الفواصل مع تماثل ما سبقها بقصد تعديد الأوصاف وإثباتها حتى تستقر في النفس، مثل:

أ- "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[(٧٧)].

ب- "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"[(٧٨)].

ج- "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون"[(٧٩)].

فالآيات تريد أن تشير إلى أن من لم يحكم بما أنزل الله ساتر لما أنزل الله، ظالم لنفسه، فاسق بهذا الستر. أو تريد أن تقول إن من لم يحكم بشرع الله فقد كفر به، وظلم نفسه وغيره، وخرج عن حدود الاستقامة والعدالة [(٨٠)].

وأكثر ما يلفت النظر في مراعاة الفواصل للمعاني، أو مناسبة خواتم الآيات لمضمون ما قبلها ما ورد فيَ ختام كثير من الآيات من ألفاظ معينة من أسماء الله الحسنى، ثم اختيارها من بين عشرات الأسماء لأداء الغرض المطلوب أحسن أداء.

وقد عالج هذه القضية بقدر كبير من الدقة والعمق الزركشي في كتابه البرهان حيث عقد فصلا بعنوان "ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام"، ومما تعرض له في هذا الفصل:

١ - قوله تعالى: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير. له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد. ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم"[(٨١)].

وقد عقب بقوله: إنما فصل الأولى بـ"لطيف خبير" لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث، وإخراج النبات من الأرض، ولأنه خبير بنفعهم.

وإنما فصل الثانية بـ"غني حميد" لأنـه قـال: لـه مـا فـي السـموات ومـا فـي الأرض، أي لا لحاجة بل هو غني عنهما، جواد بهما، لأنه ليس غني نافعا غناه إلا إذا جاد به. وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه، واستحق عليه الحمد...

وإنما فصل الثالثة بـ"رءوف رحيم" لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم مـن تسخير ما في الأرض لهم، وإجراء الفلك في البحـر لـهم، وتسيييرهم فـي ذلـك الـهول العظيم، وجعلـه السـماء فوقـهم، وإمسـاكه إياهـا مـن الوقـوع. حسـن ختامـه بالرأفـة والرحمة[٨٢].

٢ - قوله تعالى: "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيـاتك ويزكيـهم ويعلمـهم الكتاب والحكمة، إنك أنت العزيز الحكيم"[٨٣].

وقد عقب بقوله: ووجه مناسبته أن بعث الرسول تولية، والتولية لا تكـون إلا مـن عزيـز غالب على ما يريد. وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستندا إلـى حكمـة مـن أرسله... فلا جرم كان اقترانهما مناسبا[٨٤].

٣ - قوله تعالى: "والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ولـولا فضـل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم"[٨٥].

وقد عقب بقوله: فإن الذي يظهر في أول النظر أن الفاصلة: تـواب رحيـم؛ لأن الرحمة مناسبة للتوبة، وخصوصا من هذا الذنب العظيم. ولكن هاهنـا معنـى دقيـق مـن أجله قال "حكيم" وهو أن ينبه علـى فـائدة مشـروعية اللعـان، وهـي السـتر مـن هـذه الفاحشة العظيمة، وذلك من عظيم الحكم، فلهذا كان "حكيم" بليغـا فـي هـذا المقـام دون "رحيم"[٨٦].

٤ - قوله تعالى: "فإن كذبوك فقـل ربكـم ذو رحمـة واسـعة ولا يـردّ بأسـه عـن القـوم المجرمين"[٨٧].

وقد عقب بقوله: ظاهر الخطاب: ذو عقوبة شديدة، وإنما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته، وذلك أبلغ في التهديد. ومعناه لا تغتروا بسعة رحمة الله تعالى في الاجتراء على معصيته، فإنه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم(٨٨).

وهاكم أمثلة أخرى متنوعة تبين مراعاة النظم القرآني عند استعماله أسماء الله الحسنى في خواتم الآيات جانب المعنى قبل جانب اللفظ، ومن ذلك:

١ – الاستخدام القرآني لاسم البصير الذي يمكن أن يلاحظ فيه ما يأتي:

أ – تأخر هذه الصفة ومجيئها تالية لقرينها سواء كان وصف السميع أو الخبير.

ب – وقوعها دائما عند اقترانها رأس آية.

ج – أن تقدم السميع على البصير في جميع آيات القرآن له ما يبرره بصورة مطلقة، وهو أهمية السمع في اكتساب المسموعات بالنسبة للبصر في اكتساب المبصرات. فأنت يمكنك أن تسمع في النور والظلام، ولا يمكنك التحكم في حاسة السمع كما يمكنك أن تفعل عن طريق إغلاق عينيك بالنسبة لحاسة البصر. كما أن من يولد أصم يفقد قدرة أخرى وهي قدرة الكلام بخلاف فاقد البصر. ومعنى هذا أن نافذة السمع في اكتساب المعرفة والمعلومات أوسع بكثير من نافذة البصر. وقد كان السمع قبل معرفة الكتابة هو الوسيلة الوحيدة للتفاهم اللغوي بين بني البشر(٨٩).

د – هذا بالإضافة إلى المسوغ الخاص لكل آية حسب ارتباطها دلاليا بما قبلها، أو صوتيا بما يسبقها أو يلحقها من فواصل (انظر على سبيل المثال الحج ٦١، ٧٥).

أما تقدم الخبرة على البصر على الرغم من انتهاء الوصفين بحرف روي واحد فلأهمية الخبير على البصير في السياق القرآني الذي وردت فيه الصفتان، وهو سياق يرتبط بشئون العباد أو بذنوبهم ["بعباده" ٤ مرات، "بذنوب عباده" مرة].

فإذا كان البشر من طبيعتهم الاستخفاء، فمعرفة الله ببواطن الأشياء، وخفايا الأمور، تبطل طبيعتهم، وتلغي أثرها، وتحول دون هروبهم من العقاب، فيكون ذلك أدعى إلى أن يحترز العبد في سره وعلنه، في أقواله وأعماله، لأن الله مطلع على دقائق الأشياء وبواطنها "خبير" وعالم بما ظهر منها "بصير"[(٩٠)].

٢ – الاستخدام القرآني لاسم العليم الذي يمكن أن يلاحظ فيه ما يأتي:

أ – أن أكثر الصفات الإلهية التي جاءت مرتبطة بالعلم هي الحكمة (سواء بالتقديم أو التأخير، بالتعريف أو بالتنكير) فقد وردت ٣٥ مرة تلتها صفة السمع التي وردت ٣٢ مرة.

ب – جاء النسق القرآني حين تجتمع صفتا العلم والحكمة أن يربط تقديم إحداهما على الأخرى بفحوى الكلام السابق. فإذا كان يحوي حديثا عن العلم [(٩١)] أو عن حدث إنساني يستلزم حصول العلم أولا، أو يظهر فيه أثر العلم أكثر مما يظهر فيه أثر الحكمة قدم العلم على الحكمة [(٩٢)]، وإن كان يحوي حديثا عن تصرف إلهي، أو حقيقة إلهية قدم الحكمة على العلم كما في قوله تعالى:

"نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم" (الأنعام ٨٣).

"النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم"(الأنعام١٢٨).

"سيجزيهم وصفهم، إنه حكيم عليم" (الأنعام ١٣٩).

"وإن ربك هو يحشرهم، إنه حكيم عليم" (الحجر ٢٤، ٢٥).

"وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم" (النمل ٦).

"وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم"(الزخرف ٨٤).

"قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم" (الذاريات ٣٠).

ويلاحظ أن التقديم والتأخير هنا لا علاقة له بفواصل الآيات لأن التقديم والتأخير بين الصفتين لا يغير من نهايات الفواصل، بل ولا يؤثر على وحدة إيقاعها.

ج - أما صفة السمع التي جاءت في الرتبة الثانية من حيث عدد مرات اقترانها بصفة العلم فقد جاءت في جميع مرات اقترانها سابقة للعلم من ناحية، وانفردت من بين صفات الإحساس بهذا الاقتران من ناحية أخرى (٩٣).

ويحقق سبق السمع على العلم مغزيين أحدهما عام في جميع الآيات، والآخر خاص ببعضها دون بعض. أما المغزى العام فهو تقديم الخاص على العام، فمتعلق السمع أخص ومتعلق العلم أعم (٩٤)، بالإضافة إلى أن السمع بالنسبة للعلم كالوسيلة بالنسبة للغاية، والوسائل مقدمة على الغايات. وأما المغزى الخاص ببعض الآيات فهو مراعاة الفواصل (٩٥)، أو مراعاة السياق الذي سبق ختام الآية. وقد علق أبو حيان على بعض النماذج السابقة فقال:

- عن قوله تعالى: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم" علق بقوله: "وهاتان الصفتان مناسبتان هنا غاية التناسب، إذ صدر منهما عمل وتضرع ... فهو السميع لضراعتهما... وهو العليم بنياتهما في إخلاص عملهما. وتقدمت صفة السمع وإن كان سؤال التقبل متأخرا عن العمل للمجاورة، نحو قوله: "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت"، وتأخرت صفة العليم لكونها فاصلة ولعمومها إذا يشمل عمل المسموعات وغير المسموعات" (٩٦).
- عن قوله تعالى: " وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله، وهو السميع العليم" وعلق بقوله: "مناسبة هاتين الصفتين أن كلا من الإيمان وضده مشتمل على أقوال وأفعال وعلى عقائد ينشأ عنها تلك الأقوال والأفعال، فناسب أن يختتم ذلك بهما، أي: وهو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم واعتقادكم. ولما كانت

الأقوال هي الظاهرة لنا، الدالة على ما في الباطن قدمت صفة السميع على العليم، ولأن العليم فاصلة أيضا" [٩٧].

- عن قوله تعالى: "ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم" علق بقوله: "ختم هذه الآية بهاتين الصفتين لأنه تقدم ما يتعلق بهما، فالذي يتعلق بالسمع الحلف؛ لأنه من المسموعات، والذي يتعلق بالعلم هو إرادة البر والتقوى والإصلاح، إذ هو شيء محله القلب فهو من المعلومات، فجاءت هاتان الصفتان منتظمتين للعلة والمعلول، وجاءتا على ترتيب ما سبق من تقديم السمع على العلم كما قدم الحلف على الإرادة"[٩٨].

٣ - الاستخدام القرآني لاسم الحكيم الذي يمكن أن يلاحظ فيه ما يأتي:

أ- جاءت صفة الحكيم في جميع آيات القرآن عند اقترانها بصفة العزيز جاءت تالية، وخاتمة للآية. ويحقق تقديم صفة العزيز على الحكيم فائدة عامة هي البدء بصفة الذات "العزيز" وتأخير صفة الأفعال "الحكيم"[٩٩]، كما يحقق فائدة خاصة في بعض الآيات وهي كون الحكيم فاصلة تماثل الفواصل قبلها[١٠٠].

ب - أما اقتران الصفتين في ختام هذه الآيات فيأتي مناسبا لمضمون ما قبلهما، وعلى سبيل المثال:

- يقول تعالى: "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم"[١٠١].

وتأتي مناسبة الصفتين لما قبلهما "لأن إرسال رسول متصف بالأوصاف التي سألها إبراهيم لا تصدر إلا عمن اتصف بالعزة وهي الغلبة أو القوة أو عدم النظير، وبالحكمة التي هي إصابة مواقع الفعل فيضع الرسالة في أشرف خلقه وأكرمهم عليه"[١٠٢].

- يقول تعالى: "فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز

حكيم"[١٠٣]. وتأتي مناسبة الصفتين لما قبلهما في أن وصفه تعالى بالعزة يتضمن الغلبة والقدرة اللتين يحصل بهما الانتقام ممن خالف وزل عن منهج الحق، ووصفه بالحكمة دلالة على إتقان أفعاله، وأن ما يرتبه من الزواجر لمن خالف هو من مقتضى الحكمة[١٠٤].

وقد روي أن قارئا قرأ: فاعلموا أن الله غفور رحيم، فسمعه أعرابي فأنكره ولم يكن يقرأ القرآن وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ... الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه. وقد روي عن كعب نحو هذا، وأن الذي يتعلم منه أقرأه: فاعلموا أن الله غفور رحيم فأنكره، حتى سمع: عزيز حكيم، فقال: هكذا ينبغي[١٠٥].

• يقول تعالى :"إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم"(١٠٦). وقد أثار ختام هذه الآية شبهة عند بعضهم حين خفيت المناسبة عليه جعلتنه يدعي أن العزيز الحكيم لا يناسب قوله: وإن تغفر لهم، لأن المناسب: فإنك أنت الغفور الرحيم(١٠٧).

وتظهر الحكمة في هذا الختام بشيء من التأمل، فإن الذي استحق العذاب لا يستطيع أن يغفر له إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، وكانت سلطته أعلى السلطات، وقوته أعظم القوى، وعزته فوق كل عزة. ومن كان كذلك يجب أن يكون متصفا بالحكمة التي تضع الشيء في محله. فحين جاءت الفاصلة بالعزة للإشارة إلى أن القادر على العقاب عزيز دائما، وهو قادر على المغفرة كما هو قادر على العقاب. لم يكن كافيا أن يقتصر على وصف العزة، لأنه ليس كل قادر عادلا أو حكيما، فقرنت العزة بالحكمة. والمعنى: إن تغفر لهم وهم مستحقون للعذاب فلا اعتراض عليك من أحد في ذلك، والحكمة متحققة فيما فعلته[١٠٨].

ج – أما اقتران الحكيم والخبير، فقد جاء الاستعمال القرآني دائما بتقديم الحكيم وتأخير الخبير كما في قوله تعالى:

"وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير" (الأنعام ١٨).

"عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير" (الأنعام ٧٣).

"كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" (هود ١).

"وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير" (سبأ ١).

وإذا كانت مراعاة الفاصلة سببا في بعض الآيات (آية هود مثلا) فإن مراعاة خواتم الآيات لمضامين ما جاء قبلها هو السبب الأساسي في التقديم والتأخير من ناحية، وفي اختيار هذين الوصفين من ناحية أخرى.

وانظر إلى آية الأنعام الأولى تجدها قد بدأت بتصوير قدرة الله وغلبته وعلوه وقهره لجميع خلقه ثم عقبت بذكر صفتي العلم والتصرف المحكم الدقيق. قال الرازي: "صفات الكمال محصورة في العلم والقدرة، فبعد أن أشار إلى كمال القدرة أشار إلى كمال العلم، ويتضمن ذلك الإتقان للفعل وسلامته من الخلل والفساد من ناحية، والإحاطة الشاملة بدقائق الأمور والعلم بتفاصيلها من ناحية أخرى"[١٠٩].

أما آية الأنعام الثانية فتبدأ بقوله تعالى: " وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون. قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة"، وتختم بالصفتين : الحكيم الخبير. وقد علق أبو حيان على الآية مبينا المناسبة بين بدايتها ونهايتها قائلا: لما ذكر خلق الخلق وسرعة إيجاده لما يشاء، وتضمن البعث إفناءهم قبل ذلك. ناسب ذكر الوصف بالحكيم. ولما ذكر أنه عالم الغيب والشهادة. ناسب ذكر الوصف بالخبير، إذ هي صفة تدل على ما لطف إدراكه من الأشياء[١١٠].

وإذا تأملت آية هود تجد التلاحم واضحا بين مضمونها وختامها، فإحكام آيات القرآن وسلامتها من الخلل والبطلان والتناقض قابله الحكيم، وتفصيل هذه الآيات بما اشتملت عليه من أحكام، وما بينته من دلائل التوحيد والنبوة والبعث وغيرها قابله الخبير الذي يعني الإحاطة بدقائق الأمور والعلم بتفاصيلها [١١١]. والأمثلة على ذلك كثيرة يحتاج التوسع في تناولها إلى بحث مستقل، وإلى دراسة إحصائية شاملة. وإن كان ما ذكرناه كافيا للتدليل على صحة ما طرحناه، وشاهدا على الإعجاز اللغوي للقرآن، وهاديا إلى جانب هام من أسرار التعبير القرآني.

الحـــواشي

(١) انظر الفاصلة في القرآن ص ١٣، ٢٦.

(٢) مادة الفصل.

(٣) انظر البرهان ١/٥٣.

(٤) لغة القرآن ص ١٣٢.

(٥) الفاصلة في القرآن ص ١٣٥، ١٣٦.

(٦) البرهان ١/٦٨.

(٧) الكتاب ٢/٢٩٨، ٢٩٩، والبرهان ١/٦٨، والإتقان ٢/١٠٥.

(٨) جاء ترتيب شيوع الأصوات في الفواصل القرآنية على النحو التالي: النون=٣١٥٢، والميم=٧٤٢، والراء=٧١٠، والدال=٣٠٨، والياء=٢٤٥، والباء=٢٢١، واللام=٢١١ ...الخ (انظر: الفاصلة في القرآن/٢٩٦).

(٩) طه ٧٠.

(١٠) الشعراء ٤٧، ٤٨.

(١١) الليل ١٢، ١٤.

(١٢) انظر البرهان ٦٢/١، والإتقان ٩٩/٢.

(١٣) الأحزاب ١٠.

(١٤) الأحزاب ٦٧.

(١٥) الأحزاب ٦٦.

(١٦) القارعة ٩-١١، وانظر البرهان ٦٦/١، والإتقان ١٠٠/٢.

(١٧) الفجر ٤، وانظر البرهان ٦٢/١، والإتقان ٩٩/٢.

(١٨) الفجر ٩.

(١٩) الإنسان ١٥، وانظر البرهان ٦٦/١، والإتقان ٩٩/٢، ١٠٠.

(٢٠) الضحى ١-٨، والتقدير: قلاك. فآواك. فهداك. فأغناك. وانظر الإتقان.

(٢١) القمر ٥٤.

(٢٢) إبراهيم ٣١.

(٢٣) البرهان ٦٣/١، ٦٤، والإتقان ١٠٠/٢.

(٢٤) البقرة ٨٧.

(٢٥) الأحزاب ٢٦، وانظر البرهان ٦٧/١، والإتقان ١٠٠/٢.

(٢٦) طه ١٤.

(٢٧) معجم القراءات ٧٤/٤.

(٢٨) ١١٢/١٦.

(٢٩) إعراب القرآن ٣٣٤/٢.

(٣٠) النازعات ١١، وانظر معجم القراءات ٥٦/٨.

(٣١) معاني القرآن ٢٣١/٣.

(٣٢) الطور ١-٣.

(٣٣) الفجر ١-٣.

(٣٤) الفاتحة ٣، ٤.

(٣٥) ق ١، ٢، وانظر البرهان ١/٧٢-٧٥، والإتقان ٢/١٠٤، والفاصلة في القرآن ١٤٥ وما بعدها.

(٣٦) الغاشية ١٣، ١٤.

(٣٧) نوح ١٣، ١٤.

(٣٨) الصافات ١١٧، ١١٨.

(٣٩) الضحى ٩، ١٠.

(٤٠) الشرح ١، ٢.

(٤١) الطور ١، ٢، وانظر البرهان ١/٧٥، ٧٦، والإتقان ٢/١٠٤، ١٠٥، والتعبير الفني في القرآن/٢٠٧، والفاصلة في القرآن/١٤٨ وما بعدها.

(٤٢) الأعراف ٢٠١، ٢٠٢.

(٤٣) الفاصلة في القرآن/١٤٦.

(٤٤) الضحى ٩-١١، وانظر التعبير الفني في القرآن/٢٠٨، والفاصلة في القرآن/١٤٨.

(٤٥) ص ٩٠.

(٤٦) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ/٢٥٠.

(٤٧) الليل ١٢، ١١٣.

(٤٨) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ/٢٥٨.

(٤٩) طه ٧٠.

(٥٠) الفاصلة في القرآن/١١٧ وما بعدها.

(٥١) طه ٦٧.

(٥٢) البرهان ١/٦٣، والإتقان ٢/٩٩.

(٥٣) طه ٦٥.

(٥٤) من بلاغة القرآن/٦٢.

(٥٥) النساء ١٦٦

(٥٦) آل عمران ٨.

(٥٧) الإسراء ٢١.

(٥٨) القصص ٧٦.

(٥٩) القصص ٧٧.

(٦٠) المؤمنون ١٤.

(٦١) مادة إسلام ٦/٢٢.

(٦٢) البقرة ١١، ١٢.

(٦٣) البقرة ١٣.

(٦٤) البقرة ١٥٤.

(٦٥) الزمر ٥٥.

(٦٦) التعبير الفني في القرآن لبكري أمين/١٨٤.

(٦٧) من بلاغة القرآن/٣١، وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية/٨٨.

(٦٨) الآيات ٩٧-٩٩.

(٦٩) من بلاغة القرآن/٨٣، وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية/٨٩.

(٧٠) الآيتان ٧١،٧٢.

(٧١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية/٨٩.

(٧٢) الآيات ٣-٥.

(٧٣) إعجاز القرآن البياني لحفني شرف/٢٢٢.

(٧٤) إبراهيم ٣٤.

(٧٥) النحل ١٧، ١٨.

(٧٦) من بلاغة القرآن/٨٤، التعبير الفني في القرآن لبكري أمين/٢٠٥.

(٧٧) المائدة ٤٤.

(٧٨) المائدة ٤٥.

(٧٩) المائدة ٤٧.

(٨٠) التعبير الفني في القرآن لبكري أمين/٢١٦.

(٨١) الحج ٦٣- ٦٥.

(٨٢) البرهان ١/٨١.

(٨٣) البقرة ١٢٩.

(٨٤) البرهان ١/٨٨.

(٨٥) النور ٩، ١٠.

(٨٦) البرهان ١/٩١.

(٨٧) الأنعام ١٤٧.

(٨٨) البرهان ١/٩١.

(٨٩) لاحظ أن الاستخدام القرآني في جميع الآيات التي اجتمع فيها السمع والبصر(بصيغة المصدر) بدأ دائما بالسمع (انظر على سبيل المثال الآية ٣٦ من سورة الإسراء، و٧٨ من سورة المؤمنون) وقد علل أبو حيان الجمع بين السمع والبصر وكثرة الإشارة إليهما في القرآن الكريم نيابة عن سائر الحواس بقوله: ونبه الله تعالى بالسمع والبصر على الحواس لأنهما أشرفها (البحر ٥، ١٥٤).

(٩٠) انظر البحر ٣١٣/٧، والشرباصي: موسوعة له الأسماء الحسنى ١٧٧/١

(٩١) كقوله تعالى: "لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" (البقرة ٣٢).

(٩٢) كقوله تعالى: "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم" (النساء ٢٦). وقوله: "فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله إن الله عليم حكيم" (التوبة ٢٨).

(٩٣) فلم تقترن صفة البصر بصفة العلم مطلقا على الرغم من ورود صفة البصير في القرآن.

(٩٤) البحر ١٨٣/٢.

(٩٥) لاحظ أن هذا الاقتران جاء في رءوس الآي، وأن الختام بصفة العليم يحقق مراعاة الفواصل في بعض الآيات مثل: (آية البقرة ١٢٧ حيث توالي: العليم، الرحيم، الحكيم. والبقرة ٢٢٧،٢٢٤ حيث توالي: عليم، حليم، رحيم، عليم، حكيم) ولا يحققها في آيات أخرى مثل: (البقرة١٣٧، ٢٤٤، وآل عمران١٢١، والمائدة٧٦، والأنعام١٣، وغيرها).

(٩٦) البحر ٣٨٨/١.

(٩٧) السابق ٤١١/١.

(٩٨) البحر ١٧٩/٢.

(٩٩) البحر٣٩٣/١.

(١٠٠) البحر٣٩٣/١.

(١٠١) البقرة ١٢٩.

(١٠٢) البحر ٣٩٣/١.

(١٠٣) البقرة ٢٠٩.

(١٠٤) البحر ١٢٣/٢.

(١٠٥) البحر ١٢٣/٢، وانظر التعبير الفني في القرآن لبكري أمين ص ٢٠٥.

(١٠٦) المائدة ١١٨.

(١٠٧) البحر٦٢/٤، وكما ثارت هذه الشبهة في القديم أثارها بعض المستشرقين في الحديث، وقد قام بالرد عليها الدكتور فضل حسن عباس في كتابه: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية.

(١٠٨) التعبير الفني في القرآن لبكري أمين ص ٢٠٤، وأصله في الإتقان للسيوطي: النوع التاسع والخمسون. ونظير ذلك قوله تعالى في سورة التوبة/٧١ "أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم" وفي سورة الممتحنة/٥ "واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم" وانظر البحر ٦٢/٤،٦٣.

(١٠٩) انظر البحر ٨٨/٤، ٨٩.

(١١٠) البحر ١٦١/٤.

(١١١) انظر القرطبي ٢/٩، ٣.

مراجع البحث

١- الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي الحلبي – ط ثالثة ١٩٥١.

٢- الإعجاز البياني للقرآن – بنت الشاطئ- دار المعارف بمصر ١٩٧١.

٣- إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق – حفني شرف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٠.

٤- إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس – تحقيق زهير غازي.

٥- البحر المحيط – أبو حيان.

٦- البرهان في علوم القرآن- بدر الدين الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – الحلبي- ط ثانية.

٧- التعبير الفني في القرآن – بكري شيخ أمين – دار الشروق – ط رابعة ١٩٨٠.

٨- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – دار إحياء التراث العربي ١٩٨٥.

٩- الفاصلة في القرآن – محمد الحسناوي – بيروت – ط ثانية ١٩٨٦.

١٠- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية – فضل حسن عباس – دار البشير – عمان – ط أولى ١٩٨٨.

١١- كتاب سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي بالقاهرة - ط ثانية ١٩٨٣.

١٢- لسان العرب – ابن منظور.

١٣- لغة القرآن – أحمد مختار عمر – مؤسسة الكويت للتقدم العلمي – ط أولى ١٩٩٣.

١٤- معاني القرآن – الفراء – تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين - ط أولى.

١٥- معجم القراءات القرآنية – أحمد مختار عمر وعبد العال سالم – الكويت- ط ثانية ١٩٨٨.

١٦- من بلاغة القرآن – أحمد أحمد بدوي – نهضة مصر بالفجالة ١٩٥٠.

١٧- موسوعة له الأسماء الحسنى – أحمد الشرباصي – لبنان – ط ثانية ١٩٨٧.

١٨- Encyclopaedia Britannica, U.S. 1985.

الفصل الرابع

الترادف وأشباه الترادف

في القرآن الكريم

الفصـــل الرابع

الترادف وأشباه التـــرادف في القرآن الكريم [1]

هناك جملة من النقـاط التي ينبغي الإشارة إليها قبل الدخول في صلب الموضوع، وأهمها:

١ – أن بحث قضية الترادف في القرآن لا يمكن أن يتم بمعزل عن بحثها في اللغة العربية ككل، بل في اللغات كظاهرة لفتت نظر القدماء قبل أن تلفت نظر المحدثين.

٢ – أن الخلاف بين العلماء، قدامى ومحدثين، حول وقوع الترادف أو عدم وقوعه في اللغات بعامة، وفي اللغة العربية بخاصة لا يهمنا في المقام الأول. فهي قضية أشبعت بحثًا، ولم تعد فيها زيادة لمستزيد.

٣ – أننا إذا أنكرنا وجود الترادف في بعض الكلمات، فلا يمكننا أن ننكر وجوده في كل الكلمات، سواء على المستوى القرآني أو غيره.

٤ – أن مفهوم الترادف عندنا يتسع ليشمل – إلى جانب الترادف التام full synonymy شبه الترادف near synonymy، ويضم كذلك ما يعرف بالتكافؤ equivalence الذي يضم كلمات تدل على ذات واحدة ويختص كل منها بمزيد معنى.

ومنعا لأي سوء فهم حرصنا على تضمين العنوان كلمتين هما: الترادف،

---

(١) بحث ألقي في مؤتمر الدراسات القرآنية- مركز الدراسات الإسلامية- جامعة لندن- أكتوبر ١٩٩٩م.

وأشباه الترادف حتى يمكن عرض الصورة كاملة دون انتقاص.

٥ – أننا مع تقريرنا حدوث ترادف في بعض ألفاظ القرآن الكريم فإننا نرى أن ما بين أكثرها من ترادف أو تطابق في المعنى إنما يتحقق فيما يمكن أن يسمى بالمعنى الأساسي، أو الأولي، وهو "المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق، أو حينما ترد منفردة"[١]. وهذا يعني بالضرورة أن الترادف بين الكلمتين القرآنيتين إنما يتحقق حينما تعزلان عن سياقيهما، ويتعامل معهما على أنهما وحدتان معجميتان مستقلتان، ويعني كذلك أنهما باعتبارهما وحدتين مستقلتين قابلتان للاستخدام في العديد من السياقات، مما قد يخلق شعوراً وهميًّا بتطابقهما، مع أن شرط التطابق، أو الترادف الكامل هو إمكانية تبادل اللفظين في كل السياقات دون أي فرق في المعنى، وهو – على حد interreplaceability تعبير أولمان – "ترف لا يمكن للغة أن تقدمه بسهولة"[٢].

٦ – أن الباحث في مترادفات القرآن لا يصح أن يغيب عن باله الحقيقة أن القرآن نزل باللغة العربية الفصحى المؤسسة غالبًا على لهجة قريش، والمحتوية – في الوقت نفسه – على خصائص ومفردات من لهجات كثير من القبائل العربية[٣] ولا شك أن اختلاف اللهجات يعد عاملاً أساسيًا من عوامل وجود الترادف.

٧ – أنه لا يصح كذلك إغفال الحقيقة أن معظم الكلمات لا تتطابق تطابقا تامًّا– حتى وهي مفردة معزولة عن سياقها – في كل أنواع المعنى[٤]، إلى جانب معناها الأساسي. وإدراك الفروق الدقيقة في هذه المعاني هو المحك الحقيقي لدقة الاستخدام، وإحكام التعبير، وهو الذي يؤدي عادة إلى تفاوت الكتاب والأدباء في درجة توفيقهم في انتقاء كلماتهم الملائمة، أو الأكثر ملاءمة.

٨ – أنه من المبالغة في التنزيه أن نعتبر ما جاء في القرآن الكريم من تماثل في المعنى ليس من باب الترادف، وإنما من باب الآحاد[٥]، أو أنه من غير الممكن أن

يقوم لفظ مكان آخر بعد نقله من سياقه إلى سياق جديد[٦]، أو أن وقوع الترادف في القرآن يتنافى مع إحكام ألفاظه، وتنزيله من حكيم حميد[٧]؛ فالقرآن قد نزل بلغة العرب، وعلى طريقتهم، ولا شك أن لتنويع التعبير عندهم قيمة فنية خاصة حتى لو تطابق المعنيان.

ولندخل الآن في صلب الموضوع حتى لا تطول بنا المقدمات، وسنلتزم في بحثنا بالاختصار والتركيز – من ناحية، وبتغطية النقاط الآتية من واقع النص القرآني – من ناحية أخرى:

١ – الترادف التام.

٢ – شبه الترادف.

٣ – التكافؤ.

٤ – الترادف في أسماء الله الحسنى.

أولاً: الترادف التام

مثل هذا النوع من الترادف قليل أو نادر الوقوع على مستوى اللغة ككل، وهو على نفس النحو بالنسبة للقرآن الكريم. ومع هذا فقد استطعنا – بعد تتبعنا لألفاظ القرآن الكريم – أن نضع أيدينا على عشرات الأمثلة التي تصلح أن تكون نماذج للترادف التام الواقع في القرآن الكريم، وسنقتصر من بينها على الأمثلة الآتية:

١ – الفعلان آثر وفضّل:

لو وضعنا مجموعة الآيات:

تالله لقد آثرك الله علينا	(يوسف ٩١)
وآثر الحياة الدنيا	(النازعات ٣٨)
بل تؤثرون الحياة الدنيا	(الأعلى ١٦)

إلى جانب الآيات :

وأني فضلتكم على العالمين (البقرة ٤٧)

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (البقرة ٢٥٣)

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق (النحل ٧١)

لوجدناها متماثلة في المعنى. ولو فسرنا "آثر" الواردة في الآيات الثلاث الأولى بـ"فضّل" سنجد المعنيين متساويين لا نكاد نعثر على فرق بينهما. ويؤيد هذا قول القرطبي في تفسير آية يوسف: "والمعنى: لقد فضلك الله علينا"[٨]، وقول أبي حيان: "آثرك: فضلك"[٩]. وورد مثل هذا في لسان العرب لابن منظور (أثر)، إذ قال: "وآثره عليه: فضله. وفي التنزيل: لقد آثرك الله علينا.. الأصمعي: آثرتك إيثارا: أي فضلتك".

٢ — الفعلان أرسل وبعث:

مما جاء في الأولى قوله تعالى :

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله (النساء ٦٤)

أرسل رسوله بالهدى (التوبة ٣٣)

أرسل الرياح بشرا (الفرقان ٤٨)

ومما جاء في الثاني قوله تعالى:

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (البقرة ١٢٩)

فبعث الله النبيين (البقرة ٢١٣)

بعث فيهم رسولا من أنفسهم (آل عمران١٦٤)

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (الفرقان ٥١)

ربما لو أخرجنا السياق الذي ورد فيه الفعل "أرسل" في آية الفرقان لأمكن التبادل التام بين الفعلين في الآيات الأخرى التي ارتبط الإرسال والبعث فيها بالرسل والأنبياء.

ومحاولة أبي هلال العسكري التفرقة بين البعث والإرسال بقوله: "إنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ودون المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها"[١٠] - هذه المحاولة بالإضافة إلى ما فيها من تكلف وغموض تتنافى مع إرسال الرياح الوارد في سورة الفرقان، والذي يلغي المنع الذي فرضه على إرسال الطفل إلى المكتب.

كما أن محاولة الكفوي ليست أنجح من محاولة العسكري، فقد فرّق بين البعث والإرسال بأن الإرسال تكليف بفعل شيء، فهو لابد أن يكون محدودا، بخلاف البعث فهو عام. ولذا قال الرسول: "بعثت إلى الناس عامة"، ولم يقل أرسلت؛ لأن الإرسال الذي يتضمن تبليغ عموم الدعوة خارج عن الوسع[١١]. ولما لم يطرد هذا التفريق مع آيات الإرسال والبعث في القرآن لجأ الكفوي إلى التأويل في آيات مثل: "يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا" (الأعراف ١٥٨)، ومثل: "ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا" (الفرقان ٥١).

٣ — الكلمات ذلة واستكانة وذلّ:

مما ورد في القرآن الكريم مشتملا عليها أو على أحد مشتقاتها:

ضربت عليهم الذلة والمسكنة	(البقرة ٦١)
وما ضعفوا وما استكانوا	(آل عمران ١٤٦)
وتراهم يُعرَضون عليها خاشعين من الذل	(الشورى ٤٥)

قال القرطبي: الذلة: الذل والصغار[١٢].

وقال: الاستكانة: الذلة والخضوع[١٣].

مما يعني ترادف هذه الألفاظ الثلاثة.

وعلى الرغم من تعرض أبي هلال العسكري لكلمة الذل، فهو لم يفرق بينها وبين الذلة والاستكانة، مما يعني موافقته الضمنية على ترادفها. أما ما فرق بينه وبين الذل فهو التذلل، والضعة، والصغار، والخزي، والضراعة، والخضوع[١٤].

٤ — الفعلان يئس وقنط :

مما ورد في القرآن الكريم مشتملا عليهما:

يئس الذين كفروا من دينكم	(المائدة ٣)
لا تيئسوا من رَوْح الله	(يوسف ٨٧)
يئسوا من رحمتي	(العنكبوت ٢٣)
ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون	(الحجر ٥٦)
لا تقنطوا من رحمة الله	(الزمر ٥٣)
وإن مسه الشر فيئوس قنوط	(فصلت ٤٩)
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا	(الشورى ٢٨)

وقال القرطبي: القانط: الآيس[١٥].

وقال في تفسير آية فصلت: والمعنيان متقاربان[١٦].

وقال أبو حيان مفرقا بين اليُئوس والقَنُوط: اليأس من صفة القلب، والقنوط ظهور آثار اليأس عليه[١٧].

وقال أبو هلال العسكري: القنوط أشد مبالغة من اليأس[١٨].

ويعكّر على فهم العسكري سياق الآية الوارد في سورة الزمر: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعًا — فإن نفي القنوط — على رأي أبي هلال العسكري — لا يستلزم نفي اليأس؛ لأن نفي الأكبر

لا يستتبع نفي الأصغر، والعكس هو الصحيح، وهو الذي يزيل أي احتمال لعدم قبول التوبة، ويكون المعنى: لا يكن عندكم أي ذرة من يأس من قبول التوبة؛ لأن الله يغفر الذنوب جميعًا.

ولهذا فنحن نميل إلى رأي القرطبي الذي ذكر أن المعنيين متقاربان، ويبقى البحث عن سرّ تكرار الصفة في آية فصلت، وهو هنا لقصد المبالغة والتأكيد[١٩]، ويكون من باب تكرار المعنى، وهو مثل ما جاء في القرآن الكريم من تكرار اللفظ بقصد المبالغة والتأكيد كذلك، وهو كثير في أساليب العرب وفي القرآن الكريم، كقوله تعالى: "إلا قيلا سلامًا سلامًا" (الواقعة ٢٦).

ويؤيد فهمنا لهذه الآيات ما جاء في لسان العرب من قوله في مادة يأس: اليأس القنوط، وفي مادة قنط: القنوط اليأس، وقول الكفوي: كل يأس في القرآن فهو قنوط إلا التي في الرعد[٢٠]، فإنها بمعنى العلم[٢١].

٥ — الكلمات سكب وصبَ وأفرغ :

مما جاء في القرآن الكريم مشتملاً عليها:

وماء مسكوب	**(الواقعة ٣١)**[٢٢]
أنا صببنا الماء صبا	**(عبس ٢٥)**
فَصَبَّ عليهم ربك سوط عذاب	**(الفجر ١٣)**
آتوني أفرغ عليه قطرا	**(الكهف ٩٦)**
أفرغْ علينا صبرا	**(البقرة ٢٥٠، الأعراف ١٢٦)**

قال القرطبي: أصل السكب الصب.. أي وماء مصبوب[٢٣].

وقال: الإفراغ: الصب[٢٤].

وقال أبو حيان شارحًا الفعل أفرغ في آية الكهف: قام بصب النحاس المذاب على الحديد المحمي، فاختلط والتصق بعضه ببعض[٢٥].

وقد حاول أبو هلال العسكري التفرقة بين السكب والصب فقال: السكب: الصب المتتابع.. والصب يكون دفعة واحدة[٢٦]، وحاول أن يلتمس هذا الفرق من بعض السياقات الأخرى، ولكن الاستعمال القرآني يتنافى مع هذه المحاولة، وما جاء فيه من آيات حجة ضده، على الأقل في مثل هذه السياقات التي وردت في القرآن. فليس الصب في الآيتين المقتبستين مما يجوز تفسيره بالصب دفعة واحدة. فماء المطر في آية عبس لا يأتي دفعة واحدة، ولكن على دفعات متتالية أو متفرقة. وكذلك سوط العذاب المصبوب عليهم في آية الفجر من الأنسب أن يكون متكررا لا مرة واحدة.

٦ — الفعلان آتى وأعطى :

مما ورد منهما في القرآن الكريم:

وآتت كل واحدة منهن سكينا	(يوسف ٣١)
آتاكم من كل ما سألتموه	(إبراهيم ٣٤)
آتوني زبر الحديد	(الكهف ٩٦)
آتوهم من مال الله الذي آتاكم	(النور ٣٣)
حتى يعطوا الجزية عن يد	(التوبة ٢٩)
ربنا الذي أعطى كل شيء	(طه ٥٠)
إنا أعطيناك الكوثر	(الكوثر ١)

أول ما يلفت النظر في هذين الفعلين أنهما ليسا مما تناولهما أبو هلال العسكري بالشرح لينفي ما بينهما من ترادف، وهذا يوحي بأنه لا ينفي الترادف بينهما.

وقد ذكرت كتب التفسير أنهما مترادفان حينما فسرت أحدهما بالآخر، ومن ذلك قول القرطبي في آية إبراهيم: آتاكم: أعطاكم،[٢٧] وقوله في آية الكهف: آتوني زبر الحديد: أي أعطوني وناولوني[٢٨].

ومحاولة الكفوي التفرقة بين اللفظين بقوله إن الإيتاء أقوى من الإعطاء، وأنه يكثر فيما له ثبات وقرار[٢٩]- ينقضها الاستعمال القرآني في آيتي يوسف والكهف وغيرهما.

٧ — الأفعال ائتلى وأقسم وحلف :

مما ورد منها في القرآن الكريم:

للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر	(البقرة ٢٢٦)
ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى	(النور ٢٢)
أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم	(المائدة ٥٣)
أقسمتم لا ينالهم الله برحمة	(الأعراف ٤٩)
يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا	(النساء ٦٢)
ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم	(المائدة ٨٩)
وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى	(التوبة ١٠٧)

بادلت كتب التفسير بين هذه الكلمات الثلاث حين إرادة شرحها، فقد ذكرت في آية النور أن سبب نزولها حلف أبي بكر على مسطح ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة[٣٠].

وذكرت في آية البقرة أن معنى يؤلون: يحلفون[٣١]. وذكرت المصادر كذلك أن أبيًّا وابن عباس قرآ آية البقرة "للذين يقسمون"[٣٢]. وقال القرطبي في تفسير آية المائدة الأولى: أقسموا بالله: حلفوا[٣٣].

وقد حاول أبو هلال العسكري التفرقة بين القسم والحلف بأن القسم أبلغ من الحلف[٣٤]. ولو صح ذلك لكان أولى في آيتي النساء والتوبة أن يستخدم الفعل أقسم، لأن المقام مقام التأكيد والمبالغة، وهو ما جاء القرآن على خلافه.

٨ — الأفعال أتى وجاء وحضر :

مما ورد منها في القرآن الكريم:

أتى أمر الله فلا تستعجلوه	(النحل ١)
فلما أتاها نودي يا موسى	(طه ١١)
فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن	(القصص ٣٠)
جاء أحدكم الموت	(الأنعام ٦١)
إنه قد جاء أمر ربك	(هود ٧٦)
فلما جاءها نودي أن بورك من في النار	(النمل ٨)
حضر يعقوبَ الموت	(البقرة ١٣٣)
حضر أحدَكم الموت	(البقرة ١٨٠، والمائدة ١٠٦)

ونحن نلفت النظر أول ما نلفت إلى آيتي القصص والنمل (أتى وجاء)، وإلى آيات البقرة والأنعام (حضر وجاء) لتطابق السياق اللفظي وسياق الموقف في كل مجموعة منهما مما يقطع بترادفهما، وإمكانية تبادلهما دون أدنى تغيير في المعنى.

ثم نشير إلى موقف أبي هلال العسكري الذي اكتفى بالتفرقة بين "أتى" و"جاء"، وأخرج "حضر" من المقارنة. وحتى مع محاولة هذه التفرقة لم يكن موفقا[٣٥]، ولذا عقب على تفرقته بقوله: ثم كثر ذلك حتى استعمل أحد اللفظين في موضع الآخر[٣٦].

وقد حاول الكفوي التفرقة بين المجيء والإتيان بأن الإتيان مجيء بسهونة[٣٧]. ولا يظهر هذا الفرق في أمثلة الآيات السابق اقتباسها.

٩ — الكلمات سنة وعام وحَوْل :

مما ورد منها في القرآن الكريم:

يود أحدهم لو يعمَّر ألف سنة	(البقرة ٩٦)

أخذنا آل فرعون بالسنين (الأعراف ١٣٠)

فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا (العنكبوت ١٤)

كان مقداره ألف سنة (السجدة ٥)

فأماته الله مائة عام (البقرة ٢٥٩)

يُفتنون في كل عام مرة أو مرتين (التوبة ١٢٦)

ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس (يوسف ٤٩)

وفصاله في عامين (لقمان ١٤)

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين (البقرة ٢٣٣)

وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج (البقرة ٢٤٠)

إذا استبعدنا مجيء السنة مفردا وجمعًا بمعنى القحط والجدب (الأعراف ١٣٠) فإن التبادل بين الكلمات الثلاث لا يشعر بأي فرق في المعنى، مهما حاول بعضهم التماس هذا الفرق[٣٨].

ويؤكد ترادف هذه الألفاظ الثلاثة ما جاء في كتب التفسير من مثل قول الزمخشري في آية العنكبوت: "فإن قلت فلم جاء المميز أولا بالسّنة، وثانيا بالعام قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة[٣٩]. أي أنه كان من الممكن تبادل اللفظين سنة وعام في هذا السياق، لولا النكتة البلاغية. ويقول القرطبي في آية البقرة ٢٣٣: "حولين كاملين: أي سنتين ... وسمي العام حولا لاستحالة (يعني: لتحوّل) الأمور فيه في الأغلب"[٤٠]. فأنت ترى كيف بادل القرطبي بين الكلمات الثلاث بحريّة دون أن يحس بأي فرق بينها.

١٠- الفعلان اقترب ودنا:

مما ورد منهما في القرآن الكريم:

وأنْ عسى أن يكون قد اقترب أجلهم (الأعراف ١٨٥)

اقترب للناس حسابهم	(الأنبيـــاء ١)
ثم دنا فتدلى	(النجـــم ٨)
اقتربت الساعة وانشق القمر	(القمـــر ١)
وجنى الجنتين دان	(الرحمن ٥٤)
قطوفها دانية	(الحـــاقة ٢٣)

قال القرطبي في آية الرحمن: دان: قريب[٤١]. وقال الزمخشري: قريب يناله القائم والقاعد والنائم[٤٢]. وفي لسان العرب (قرب): الاقتراب: الدنو.

وقد حاول أبو هلال العسكري[٤٣] التفرقة بين اللفظين بأن الدنوّ لا يكون إلا في المسافة، وأن القرب عامّ في ذلك وفي غيره. وهو فرق لا ينفي الترادف بينهما في العديد من السياقات.

وأخيرا يجب ألا ننسى أن من الكلمات نوعًا فقد شفافيته فسماه علماء اللغة بالكلمات المعتمة لخلوها من أي معان إضافية أو إيحائية، فمثل هذه الكلمات يسهل التبادل بينها في الموقع الواحد دون حرج[٤٤]، وقد ورد منها في القرآن الكريم نماذج متعددة، مثل:

١ — كلمتا خلْف، ووراء:

فقوله تعالى: فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم (النساء ١٠٢)، لا تحس بفارق معنى فيها بين وراء وخلف.

وقوله تعالى: وإني خفت الموالي من ورائي (مريم ٥)، يتماثل معنى الوراء فيه مع معنى الخلف في قوله تعالى: وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا (النساء ٩).

٢ — كلمتا أسفل وتحت:

قوله تعالى: إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم (الأحزاب ١٠) يتماثل مع قوله تعالى: قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم (الأنعام ٦٥). ومثل هذا يقال في قوله تعالى: "إذ يبايعونك تحت الشجرة" (الفتح ١٨) الذي لا تجد غضاضة فيه أن تفسر كلمة تحت بكلمة أسفل.

٣ — كلمتا غرفة وحجرة:

مما جاء منهما في القرآن الكريم قوله تعالى:

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (الحجرات ٤)

وهم في الغرفات آمنون (سبأ ٣٧)

قال أبو حيان[٤٥] الحجرة: الرفعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وقال الكفوي[٤٦]: الحجرة: اسم للقطعة من الأرض المحجورة بحائط.

وقال أبو حيان في آية سبأ: أي في العلالي، وقال في اللسان (غرف): الغرفة: العِلّية.

ثانيا: شبه الترادف

يطلق هذا النوع على الكلمات التي يستخدمها ابن اللغة العادي على أنها مترادفة أو متطابقة، وهي ليست كذلك في الاستخدام القرآني الذي يفرّق بينها بصورة تمنع التبادل بينها في السياق الواحد إلا بشيء من التجوز، وهذا النوع كثير في القرآن الكريم، ولذا سنكتفي بعدد من الأمثلة القليلة الكاشفة:

١ — كلمتا الحلم والرؤيا:

وردت الكلمة الأولى بصيغة الجمع في القرآن الكريم لما يُرى في المنام، ومن ذلك:

قالوا أضغاث أحلام (يوسف ٤٤)

بل قالوا أضغاث أحلام، بل افتراه (الأنبياء ٥)

ووردت الكلمة الثانية بصيغة المفرد في القرآن الكريم بالمعنى العام نفسه، ومن ذلك:

لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك (يوسف ٥)

يأيها الملأ أفتوني في رؤياي (يوسف ٤٣)

قد صدّقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين (الصافات ١٠٥)

وعلى الرغم من اشتراك اللفظين في أصل المعنى، وهو ما يراه النائم، فإن كلمة "الحلم" لم ترد في القرآن إلا مرتبطة بالهلاوس، والأحلام المختلطة، والرؤى الكاذبة[٤٨]، في حين أن كلمة "رؤيا" لم تأت إلا في الأحلام الصادقة، ولذا روي عن الرسول ﷺ قوله: "الرؤيا جزء من أربعين جزءا من النبوة"، وقوله: "لم يبق من النبوة إلا المبشّرات"، وحين سئل، وما المبشرات، قال: "الرؤيا الصالحة"[٤٩]. كما روي عن ابن عباس قوله: "رؤيا الأنبياء وحي"[٥٠]. وبعد أن ذكر ابن منظور أن الرؤيا تغلب فيما يرى من الخير، والحلم فيما يرى من الشر والقبيح، روي حديثاً يقول "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان"[٥١].

ومع وجود هذا الفرق في الاستخدام القرآني نجد الكفوي يقول: "وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر"[٥٢].

٢ — كلمتا الغيث والمطر:

وردت الكلمة الأولى في آيات، مثل:

إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث (لقمان ٣٤)

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا (الشورى ٢٨)

ووردت الثانية في آيات مثل:

وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (الأعراف ٨٤)

وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (الشعراء ١٧٣)

وقد ذهب كثير من اللغويين إلى ترادف لفظي الغيث والمطر، وتطابقهما في المعنى[٥٣]، ولكن تتبع الاستعمال القرآني يدل على وجود صفة فارقة بينهما بعد اشتراكهما في أصل المعنى. وهذا يتمثل فيما نقله الثعالبي من أن المطر إذا جاء عقيب المَحل أو عند الحاجة إليه فهو الغيث[٥٤]، وفيما قاله القرطبي: "الغيث: المطر. وسمي غيثا لأنه يغيث الخلق .. وعن الأصمعي قال: مررت ببعض قبائل العرب وقد مطروا، فسألت عجوزا منهم، أتاكم المطر؟ فقالت: غثنا ما شئنا غيثا". وقد عقب القرطبي نقلا عن الماوردي قائلاً: "والغيث ما كان نافعًا في وقته، والمطر قد يكون نافعاً وضاراً، في وقته وغير وقته[٥٥]". ولا شك أن الاستعمال القرآني يؤيد هذه التفرقة الدقيقة في المعنى. واللافت للنظر أن العسكري لم يتعرض لهذا الفرق في كتابه "الفروق".

٣ — كلمتا الهمز واللمز:

مما ورد منهما في القرآن الكريم:

ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا (التوبة ٥٨)

الذين يلمزون المطّوّعين من المؤمنين في الصدقات (التوبة ٧٩)

وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين (المؤمنون ٩٧)

ولا تطع كلا حلاّف مهين، هماز مشّاء بنميم (القلم ١٠،١١)

ويل لكل همزة لمزة (الهمزة ١)

ذهب كثير من العلماء إلى أن الهمز واللمز بمعنى واحد، ولكن الاستعمال القرآني يفرّق بينهما فيستخدم الهمز فيما كان خفيا أو في غياب الشخص، واللمز فيما كان ظاهرا أو في وجه الشخص. ولهذا يقول المبرد: الهمز أن يهمز الإنسان بقول قبيح

من حيث لا يسمع، واللمز أجهر من الهمز، ولذا قال تعـالى: همـزات الشـياطين، ولـم يقل لمزات، لأن مكايدة الشيطان خفية[٥٧]. ويقول ابن منظور: وقوله تعالى: ومنهم مـن يلمزك في الصدقات: أي يحرّك شفتيه[٥٨]، ويقـول قتـادة: أي يطعـن عليـك[٥٩]. ويفـرق الكفوي بين اللفظين قائلاً: اللمز: الغمز في الوجه بكلام خفي، والهمز: في القفا[٦٠].

٤ — كلمتا الوالدة والأم:

وردت كلمة "الوالدة" مفردة في ثلاث آيات هي:

لا تضارّ والدة بولدها (البقرة ٢٣٣)

اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك (المائدة ١١٠)

وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (مريـم ٣٢)

ووردت مجموعة في آية واحدة هي:

والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين (البقرة ٢٣٣)

والآيات الأربع ترتبط بصفة الوالدية، أو الحمل والولادة التي هي أعلى درجات القرابة وأوثقها، ولذا علقت بها أحكام خاصة مثل: البر وأحقية الرضاعة.

أما كلمة أم فقد وردت في آيات كثيرة لتشير إلى قرابة النسب مثل:

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه (القصص ٧)

أو لتشير إلى صفة الأمومة التي تسبق مرحلة الولادة فلا تستحق الأم معها بعدُ أن تسمى والدة، مثل:

حملته أمه وهنا على وهن (لقمان ١٤)

وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم (النجم ٣٢)

أو للإشارة إلى صلة الرضاع مثل:

وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم (النساء ٢٣)

أو لوصف زوجات الرسول ﷺ على سبيل التشبيه، مثل:

النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم (الأحزاب ٦)

ويتنوع الاستعمال القرآني للفظين يتبين عدم تطابقهما في المعنى، وإن تقاربا دلاليا، أو جمع بينهما ما يسمى بشبه الترادف.

٥ — الفعلان أكمل وأتم:

مما ورد منهما في القرآن الكريم:

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم (البقرة ١٨٥)

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (المائدة ٣)

ثم أتموا الصيام إلى الليل (البقرة ١٨٧)

وأتموا الحج والعمرة لله (البقرة ١٩٦)

وواعدنا موسىٰ ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر (الأعراف ١٤٢)

الفرق بين اللفظين أن التمام يأتي لنفي النقص، والكمال لنفي العيب، والنقص منه. فالدين في آية المائدة كان تاما في نفسه ثم كمل في هذا اليوم فاستوفى آدابه وتعاليمه. أما النعمة فكانت ناقصة وإنما تمت في هذا اليوم بكمال الدين الذي استوفى أسبابه وغاياته[٦١]. ولذا يقول الكفوي: التتميم يرد على الناقص فيتممه، والتكميل يرد على التام فيكمله، إذ الكمال أمر زائد على التمام، والتمام يقابل نقصان الأصل، والكمال يطابق نقصان الوصف بعد تمام الأصل[٦٢].

ثالثاً: التكافؤ

يرد عدد من اللغويين كثيرا من ألفاظ الترادف إلى فرع سموه بالمتكافئ، وعنوا به الكلمات التي تدل على ذات واحدة، ويختص كل منها بمزيد معنى، قالوا: فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات.

ولو استعرضنا أسماء الأسد – مثلاً – لوجدنا كثيرا منها من قبيل الصفات التي يشير كل منها إلى معنى محدد: فالضيغم: مأخوذ من الضغم، وهو العض الشديد، والغضنفر: الغليظ الخلق الكثير الشعر. والقسورة: من القسر وهو القهر والغلبة والعزة. والهصور من الهصر، وهو جذب الشيء وكسره، والميّاس من الميس، وهو التبختر والاختيال ... وهكذا. ولهذا كان أبو على الفارسي يقول: لا أحفظ للسيف إلا اسما واحدا وهو السيف. وحين سئل: فأين المهنّد والصارم .. وكذا وكذا، قال: هذه صفات(٦٣).

والمتتبع لألفاظ القرآن الكريم يستطيع أن يستخلص منها عشرات الأمثلة لهذا النوع من الترادف، ومن ذلك:

١ – أسماء الله الحسنى، التي تدل على ذات واحدة، وينفرد كل منها بمعنى خاص، وسوف نعرض نماذج من هذه الأسماء فيما بعد.

٢ – أسماء القيامة،التي جاء منها في القرآن:الآزفة (غافر ١٨)، والحاقة (الحاقة ١-٣)، والساعة (الأنعام ٣١)، والصاخّة (عبس ٣٣)، والطامة (النازعات ٣٤)، والغاشية (الغاشية ١)، والقارعة (القارعة ١-٣)، والواقعة (الواقعة ١).

٣ – أسماء جهنم، التي جاء منها في القرآن:سقر(المدثر ٢٦)،والسعير(الحج ٤)، والحطمة (الهمزة ٤).

٤ – أسماء الريح، التي ورد منها في القرآن: إعصار (البقرة ٢٦٦)، والإعصار: ريح تهب بشدة وتثير الغبار وترتفع كالعمود في السماء. وحاصب (الإسراء ٦٨)، والحاصب: الريح الشديدة التي تحمل التراب والحصباء. وذارية(الذاريات ١)، والذارية: الريح التي تحرك التراب. وسموم(الطور ٢٧)، والسموم: الريح الحارة تكون غالبًا بالنهار. وصرصر (الحاقة ٦)، والصرصر: الريح الشديدة البرد، أو الصوت.

٥ – أسماء القرآن، التي ورد منها في القرآن: تنزيل (الشعراء ١٩٢)، وذكر (آل عمران ٥٨)، وفرقان (آل عمران ٤)، وكتاب (البقرة ٢).

رابعًا: الترادف في أسماء اللـــه الحسنى

لا يوجد بين أي اسمين من أسماء الله الحسنى تطابق تام في المعنى ولكن قد يوجد بينهما شبه ترادف أو تقارب دلالي مما قد يوهم بوجود ترادف بينهما.

ويأتي اختلاف المعنى في أسماء الله الحسنى إما نتيجة اختلاف الجــذر، أو نتيجة اتحاده مع اختلاف المعنى الصرفي.

فمما جاء الاختلاف فيه نتيجة اختلاف الجذر على الرغم من تقارب المعنييــن مجموعات الأسماء الآتية:

١- حميد، وشكور (أو شاكر)، كقوله تعالى:

واعلموا أن الله غني حميد	(البقرة ٢٦٧)
إنه حميد مجيد	(هــود ٧٣)
فمن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم	(البقرة ١٥٨)
إن ربنا لغفور شكور	(فــاطر ٣٤)

وقد استدل العلماء على اختلافهما بالجمع بينهما في أكثر من حديــث وأثــر، إذ الأصل في العطف المغايرة، ففي الحديث: "فـإذا جعـت تضرعـت إليـك وذكرتـك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك" وفي حديث آخر "فكبرت الله وحمدت وشكرت"[٦٤].

وقد فرق أبو هلال العسكري بين اللفظين قـائلاً: إن الشـكر الاعـتراف بالنعمـة على جهة التعظيم للمنعم، ولا يصح إلا على النعمة، أما الحمد فـهو الذكـر بـالجميل على جهة التعظيم، ويصح على النعمة وغير النعمة. وقد جاز وصف الله بالشكر مجازا، والمراد أنه يجازي على الطاعة جزاء الشاكرين على النعمة[٦٥].

ومنه كذلك مجموعة الأسماء الآتية:

٢- حفيظ، ورقيب، ومهيمن، كقوله تعالى:

الله حفيظ عليهم (الشورى ٦)

وكان الله على كل شيء رقيبا (الأحزاب ٥٢)

القدوس السلام المؤمن المهيمن (الحشر ٢٣)

قال أبو هلال العسكري: الرقيب الذي يرقبك مفتشا عن أمورك، والحفيظ لا يتضمن معنى التفتيش عن الأمور والبحث عنها، والمهيمن: القائم على الشيء بالتدبير[٦٦].

٣- ومنه كذلك وصفه تعالى بأنه عفو وغفور، كقوله تعالى:

إن الله لعفوّ غفور (الحج ٦٠)

قال أبو هلال العسكري: أنت تقول عفوت عنه، فيقتضي ذلك أنك محوت الذنب والعقاب عنه، وتقول: غفرت له، فيقتضي ذلك أنك سترت له ذنبه ولم تفضحه به[٦٧].

٤- ووصفه تعالى بأنه قادر وقهّار، كقوله تعالى:

أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى (القيامة ٤٠)

أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (يوسف ٣٩)

قال أبو هلال العسكري: القدرة تكون على صغير المقدور وكبيره، أما القهر فيدل على كبر المقدور. ولهذا يقال: ملك قاهر إذا أريد المبالغة في وصفه بالقدرة[٦٨].

٥- ووصفه تعالى بأنه الخالق والبارئ والمصوّر، وذلك قوله تعالى:

هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى (الحشر ٢٤)

قال الغزالي: قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع. ولا ينبغي أن يكون كذلك؛ لأن كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يحتاج إلى التقدير أولا، وإلى الإيجاد وفق التقدير ثانيًا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثًا.

والله تعالى خالق من حيث إنه مقدّر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب[٦٩].

أما ما اتحد جذره وجاء اختلاف معناه نتيجة اختلاف المعنى الصرفي، أو مجيء اللفظ على صيغة معينة فكثير، منه:

١- العالم مع العليم والعلاّم، كقوله تعالى:

عالم الغيب والشهادة	(الأنعام ٧٣)
فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم	(البقرة ٢٩)
إنك أنت علام الغيوب	(المائدة ١٠٩)

٢- الحافظ مع الحفيظ، كقوله تعالى:

فالله خير حافظاً	(يوسف ٦٤)
إن ربي على كل شيء حفيظ	(هود ٥٧)

٣- الخالق مع الخلاق، كقوله تعالى:

هو الله الخالق البارئ المصور	(الحشر ٢٤)
إن ربك هو الخلاق العليم	(الحجر ٨٦)

٤- الرحمن مع الرحيم، كقوله تعالى:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم	(الفاتحة ٢،٣)

٥- الرازق مع الرزاق، كقوله تعالى:

وأنت خير الرازقين	(المائدة ١١٤)
إن الله هو الرزّاق ذو القوة	(الذاريات ٥٨)

٦- الغافر مع الغفور والغفار وذو المغفرة وأهل المغفرة، كقوله تعالى:

غافر الذنب وقابل التوب (غافر ٣)

إن الله غفور رحيم (البقرة ١٨٢)

رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار (ص ٦٦)

إن ربك لذو مغفرة (فصلت ٤٣)

هو أهل التقوى وأهل المغفرة (المدثر ٥٦)

٧- القادر مع القدير والمقتدر، كقوله تعالى:

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا (الأنعام ٦٥)

إن الله على كل شيء قدير (البقرة ٢٠)

في مقعد صدق عند مليك مقتدر (القمر ٥٥)

٨- القاهر مع القهار، كقوله تعالى:

وهو القاهر فوق عباده (الأنعام ١٨)

وهو الواحد القهّار (الرعد ١٦)

٩- الأكرم مع الكريم وذو الإكرام، كقوله تعالى:

اقرأ وربك الأكرم (العلق ٣)

يأيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم (الانفطار ٦)

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (الرحمن ٢٧)

أول ما يلفت النظر في هذه الأسماء أنها جاءت من خمسة أنواع هي:

١ - اسم الفاعل الذي يدل على التجدد والحدوث، ويصاغ من اللازم والمتعدي.

٢ - الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت والدوام، وتصاغ عادة من الفعل الثلاثي اللازم.

٣ – صيغ المبالغة التي تدل على التأكيد والمبالغة والتكثير، وتصاغ عادة من الفعل المتعدي.

٤ – النسب بالصيغة الذي يدل على التمكن من الوصف والسيطرة عليه.

٥ – اسم التفضيل الذي يدل على وجود الصفة مع قصد المقارنة.

فهي على الرغم من مجيئها في مجموعات ذات جذر واحد فقد انتفى ترادفها لاختلاف معناها الصرفي، ولذا ناسب كل منها سياقا معينا لا يناسب الآخر. ولنتناول بعض الأمثلة السابقة بشيء من التفصيل:

١ – عالم وعليم وعلاّم:

وردت الكلمات الثلاث في القرآن الكريم وصفًا لله تعالى، فوردت الأولى ثلاث عشرة مرة، والثانية أكثرَ من مائة وخمسين مرة، والثالثة أربع مرات.

وقد التزم الاستخدام القرآني التفرقة بين عالم وعلام على حسب متعلق كل منهما. فإذا كان مفردا استخدم لفظ "عالم"، وإذا كان جمعًا استخدم لفظ "علام"، ولذا قال تعالى:

عالم الغيب	(سبأ ٣ والجن ٢٦)
عالم الغيب والشهادة	(عشر مرات منها الأنعام ٧٣)
عالم غيب السموات والأرض	(فاطر ٣٨)
في حين قال: علاّم الغيوب	(أربع مرات منها المائدة ١٠٩، ١١٦)

فقد ناسب المتعلق المفرد اسم الفاعل عالم، وناسب المتعلق الجمع صيغة المبالغة علاّم التي تدل على التأكيد والمبالغة إلى جانب التكثير.

أما الوصف عليم فيختلف عن الوصفين الآخرين في أنه جاء على وزن من أوزان الصفة المشبهة التي تدل على ثبوت الصفة ورسوخها، ولا تستعمل إلا عند قصد تأكيد الفعل، ولذا جاء متعلقها متعدداً متنوعًا في القرآن الكريم بخلاف الوصفين

عالم وعلام اللذين جاءا مقيدين دائما بعلم الغيب، وقد تضاف إليه الشهادة. وتدل على ذلك الآيات الآتية:

بكل شيء عليم (البقرة ٢٩)، عليم بالظالمين (البقرة ٩٥)، عليم بالمفسدين (آل عمران ٦٣)، عليم بالمتقين (آل عمران ١١٥)، عليم بذات الصدور (آل عمران ١١٩)، بما تعملون عليم (البقرة ٢٨٣)، عليم بما يصنعون (فاطر ٨).

٢ — خالق وخلاّق:

وردت صفة الخالق في القرآن الكريم بصيغة المفرد عدة مرات للدلالة على تجدد الفعل وحدوثه، كقوله تعالى: خالق كل شيء (الأنعام ١٠٢، الرعد ١٦٩، الزمر ٦٢، غافر ٦٢). وجاءت معرفة "بال" وخالية من كل قيد في آية واحدة ، هي: هو الله الخالق البارئ المصور (الحشر ٢٤)، وهو تعريف أريد به القصر أو التفرد بهذه الصفة دون سائر الموجودات.

أما صفة الخلاق فقد وردت مرتين هما:

إن ربك هو الخلاق العليم	(الحجر ٨٦)
بلى وهو الخلاق العليم	(يس ٨١)

ووزن فعّال يدل على المبالغة، وكثرة حدوث الفعل كما وكيفا، وتكرار وقوعه وقتًا بعد وقت، ولذا جعله بعض الصرفيين لمن صار له الفعل صناعة. بل ذهب بعضهم إلى أن فعال في المبالغة أصل لفعال في الصناعة، لأن الصناعة تقتضي كثرة المعاناة والمداومة والتكرار[٧٠]. ويقول أبو حيان تعليقًا على آية الحجر: أتى بصيغة المبالغة لكثرة ما خلق، أو لأنه الخلاق من شاء لما شاء من سعادة أو شقاوة[٧١].

ويلاحظ أنه القرآن لم يستخدم الوصف "خلاّق" إلا بعد الحديث عن أمر جليل الشأن، عظيم القدر. فقد جاء الوصف في آية الحجر بعد الحديث عن خلق

السموات، والأرض، وما بينهما، وعن يوم القيامة. وجاء في آية يس بعد الحديث عن أمر البعث، والإحياء، وخلق السموات والأرض.

٣ — رحمن ورحيم:

ورد اسم الرحمن في القرآن الكريم سبعًا وخمسين مرة في حين ورد اسم الرحيم وصفا لله تعالى مائة وأربع عشرة مرة. وورد الاسمان مقترنين في ستة مواقع من بينها البسملة والآية الثالثة في سورة الفاتحة.

وأول ما يفرق بين الاسمين مجيء أولهما على وزن من أوزان الصفة المشبهة التي تفيد ثبوت الصفة ودوامها، ومجيء الآخر على وزن من أوزان صيغ المبالغة[٧٢] التي تفيد كثرة وقوع الفعل وتكراره.

كما يفرق بينهما أن لفظ الرحمن في الاستعمال القرآني يكاد يفقد معناه الضيق المحكوم بمعنى جذره، ويدل على جملة المعاني العامة التي تليق بذات الله تعالى، حتى قال بعضهم بعلميته، لقربه في الاستعمال من اسم الله تعالى الجاري مجرى العلم. ومن أجل هذا لم يرد الرحمن في القرآن إلا وصفا لله تعالى في حين أن الرحيم جاء وصفاً لله ولغيره، كقوله تعالى: لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتّم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم (التوبة ١٢٨).

والمتتبع للاستعمال القرآني يلاحظ أن لفظ الرحمن جاء في سياقات عامة لا ترتبط بمعنى الرفق والإحسان والعطف بخلاف لفظ الرحيم، ولذا يقول تعالى:

الرحمن على العرش استوى	(طـه ٥)
وخشعت الأصوات للرحمن	(طـه ١٠٨)
الملك يومئذ الحق للرحمن	(الفرقان ٢٦)

وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن (الفرقان ٦٠)

ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت (الملك ٣)

أما لفظ الرحيم فقد ارتبط أكثر ما ارتبط بسياقات محددة تناسب معناه اللغوي كالمغفرة (٧٢ مرة)، والتوبة (٩ مرات)، والرأفة (٨ مرات) ... وغير ذلك.

ويختص لفظ الرحمن كذلك بأنه كثيرا ما جاء في القرآن الكريم قائما بذاته، حالاً محل لفظ الجلالة، ولذا لم يأت إلا بالألف واللام، فلم يأت نكرة ولا مضافاً(٧٣).

ويتفق مع هذا الفهم ما لاحظناه من أن العبودية لم تأت منسوبة إلى اسم من أسماء الله تعالى في القرآن إلا للأسماء العامة كلفظ الجلالة، ولفظ "الرب" ولفظ "الرحمن" كقوله تعالى:

الحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب (الكهف ١)

ذكر رحمة ربك عبده ذكريا (مريم ٢)

إلا عباد الله المخلصين (الصافات ٤٠)

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده (مريم ٦١)

إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (مريم ٩٣)

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا (الفرقان ٦٣)

٤ — غافر وغفور وغفّار وذو المغفرة وأهل المغفرة:

أهم ما يميز الاستعمال القرآني للصفات الثلاث الأولى أن كلمة "غافر" جاءت لمجرد إثبات الفعل وحدوثه، ولأنها جاءت مضافة إلى الذنب (غافر ٣) وهو مفرد ناسب المقام استخدام صيغة اسم الفاعل الدالة على مجرد وقوع الحدث.

أما حين كان متعلق الصفة متعددا أو متكرر الوقوع فقد جاء الاستخدام لصيغة المبالغة "غفار" التي تدل على تكرار الفعل وكثرة متعلقاته، كقوله تعالى:

وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا (طه ٨٢)

وجاء لفظ غفور متكرر الاستعمال في القرآن الكريم بصورة لافتة للنظر (إحدى وتسعين مرة)، ومتنوع الارتباط (مع الرحمة، والحلم، والعفو، والود، والشكر، وغيرها)، ومقصوراً على الذات الإلهية، ومحذوف المتعلق - كل هذا لتأكيد معنى الصيغة، وإدخالها في باب الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت واللزوم.

أما الصفتان الأخيرتان فيميزهما عما سبقهما أنهما يدلان على تملك الصفة والتمكن منها، لأنهما يشبهان التعبير بالكناية الذي يجمع بين الشيء ودليله، فكأنه قيل إن الله يتصف بالمغفرة لأنه صاحبها ومالكها والمتصرف فيها[٧٤].

٥ — قادر وقدير ومقتدر:

على الرغم من اشتراك الثلاثة في معنى التمكن من الفعل بلا واسطة، فإنه يميز بين الثلاثة أن الأول يأتي لمجرد إثبات الصفة، والثاني للدلالة على تمام القدرة؛ لأنه من أوزان الصفة المشبهة، أما الثالث فيدل على المبالغة في القدرة. يقول الاستراباذي في شرح الشافية: المزيد فيه .. لابد لزيادته من معنى، لأنه إن لم يكن كذلك كان عبثًا[٧٥]. **فمن أمثلة الأول** قوله تعالى:

قل إن الله قادر على أن ينزل آية (الأنعام ٣٧)

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً (الأنعام ٦٥)

ومن أمثلة الثاني:

على كل شيء قدير(تكررت ثلاثا وثلاثين مرة من جملة تسع وثلاثين، منها البقرة ٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، ٢٥٩، ٢٨٤)

يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (الروم ٥٤)

ومن **أمثلة الثالث** (وقد ورد أربع مرات في صورتي المفرد والجمع):

فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر (القمر ٤٢)

في مقعد صدق عند مليك مقتدر (القمر ٥٥)

وكان الله على كل شيء مقتدرا (الكهف ٤٥)

فإنا عليهم مقتدرون (الزخرف ٤٢)

٦ — قاهر وقهار:

يشترك الاسمان في معنى الغلبة وصرف الشيء عن طبيعته على سبيل الإرغام ولكن يفرق بينهما دلالة الأول على مجرد إثبات الصفة، وقد ورد في القرآن مرتين هما: وهو القاهر فوق عباده (الأنعام ١٨، ٦١). أما الثاني فقد ورد ست مرات في القرآن هي:

أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (يوسف ٣٩)

قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار (الرعد ١٦)

وبرزوا لله الواحد القهار (إبراهيم ٤٨)

قل إنما أنا منذر، وما من إله إلا الله الواحد القهار (ص ٦٥)

سبحانه هو الله الواحد القهار (الزمر ٤)

لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار (غافر ١٦)

وجاء ليدل على معنى المبالغة في القهر كما وكيفا، ولذا قال الغزالي في تفسيره: هو الذي يقصم ظهر الجبابرة من أعدائه فيقهرهم بالإماتة والإذلال[٧٦].

ويلاحظ أن وصف القهار جاء في آياته الست على نمط واحد يتلاءم مع معنى المبالغة:

• فهو مسبوق بلفظ الجلالة "الله"، وبوصف "الواحد"، وكأنّ الآيات ترتب بذلك شيئًا على شيء، فلفظ الجلالة "الله" الذي يعد أشمل الأسماء لجميع صفات الكمال يحمل في مفهومه كل معاني العظمة والقوة والقدرة والجبروت، وهي كلها صفات تسلم إلى معنى القهر للغير. ولفظ "الواحد" الذي يحمل معنى التفرد، ومخالفة الحوادث، ونفي الشريك يؤدي بالضرورة إلى تصور صفات ينفرد بها دون غيره، وإلى القيام بأنواع

من الفعل لا يقدر عليها سواه، وهي كلها صفات تسلم إلى القدرة على التصرف المطلق وقهر الغير، لا على سبيل الندرة، ولكن على سبيل التمكن وتكرار الفعل.

- وهو قد جاء مع حديث سابق أو لاحق عن أمر جلل، أو بقصد لفت النظر إلى مفارقة عجيبة لا تصمد أمام النظرة الفاحصة والتأمل الواعي. فهو في آيتين يعقب حوارا يهدف إلى كشف الخطل في عبادة ما لا يملك شيئًا وترك عبادة ما يملك كل شيء (يوسف والرعد)، وهو في ثلاث آيات يعقب حديث الآخرة وموقف الحساب (إبراهيم وص وغافر)، وهو في آية يعقب حديثًا عن سفاهة عبادة غير الله، ويسبق حديثاً عن مظاهر كونية عديدة يستحق من يأتي بها صفة العزة، والقهر، مثل: خلق السموات والأرض وتكوير الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر (الزمر).

والخلاصة:

أن الترادف التام الذي يمكن فيه التبادل بحرّية بين الألفاظ في جميع السياقات نادر الوجود على مستوى اللغة بعامة، والقرآن الكريم بخاصة. وما اعتبرناه ترادفا تامًا نظرنا فيه إلى إمكانية تبادله مع غيره في بعض السياقات، فهو ترادف تام بالنظر إلى هذه السياقات بأعيانها، وليس على سبيل الإطلاق. أما شبه الترادف والمتكافئ فقد جاء كل منهما كثيرا في القرآن الكريم، وهو يمثل مرحلة وَسَطًا بين الترادف التام، والتقارب الدلالي الذي يجمع كلمات المجال الواحد في علاقات تقارب أو تباعد بينها. أما الترادف بين أسماء الله الحسنى فمعدوم تمامًا، سواء ما اختلفت جذور كلماته أو اتفقت.

الحواشـــي

١- انظر: علم الدلالة ص ٣٧.

٢- السابق ص ٢٢٦.

٣- اختلف في تحديد القبائل الأخرى، فقيل هي: سعد بن بكر، وهذيل، وثقيف، وخزاعة، وأسد، وضَبّة وألفافهما، وتميم، وقيس ومن انضاف إليهم. وقيل: هذيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر. وقيل: كنانة، وأسد بن خزيمة، وهذيل، وتميم (أو تيم الرباب)، وضبّة، وقيس (انظر البرهان ٢١٩/١، ٢٢٠ والإتقان ٤٧/١-٤٩).

٤- من أنواع المعنى: المعنى الأساسي أو المركزي، والمعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي كدلالة لفظ المرأة على عدد من الصفات أو المعاني الإضافية التي تتغير من زمن إلى زمن، ومن مجتمع إلى مجتمع كالثرثرة، ولبس أنواع معينة من الملابس، ودلالة لفظ يهودي على معاني الطمع والبخل والمكر والخديعة. ومنها كذلك المعنى الأسلوبي الذي يكشف عن الطبقة الاجتماعية، أو المنطقة الجغرافية، أو التخصص، أو درجة العلاقة مع السامع، وذلك مثل الكلمات التي تدل على الزوجة في العربية الحديثة (عقيلته — زوجته — حرمه — امرأته — مرته — الجماعة — الأولاد ... إلخ). هذا بالإضافة إلى المعنى النفسي، والمعنى الإيحائي، وغيرها (انظر علم الدلالة ص ٢٦ وما بعدها).

٥- أسرار الترادف في القرآن الكريم ص ٦.

٦- البرهان للزركشي ٧٨/٤.

٧- السابق ٤٠٣/٢، وانظر أسرار الترادف ص ١٨-٢١.

٨- الجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/٩.

٩- البحر المحيط ٣٤٣/٥.

١٠- الفروق ص ٢٨٣.

١١- الكليات ص ٧٧.

١٢- الجامع لأحكام القرآن ٤٣٠/١.

١٣- السابق ٢٣٠/٤.

١٤- الفروق ص ٢٤٤،٢٤٥.

١٥- الجامع لأحكام القرآن ٣٥/١٠.

١٦- السابق ٣٧٢/١٥.

١٧- البحر المحيط ٥٠٤/٧.

١٨- الفروق ص ٢٤٠.

١٩- يذهب الزركشي إلى القول بوقوع الترادف في القرآن الكريم بقصد التأكيد الصناعي، ويذكر من شواهده قوله تعالى: "فجاجًا سبلاً"، و "ضيقًا حرجًا" (انظر البرهان ٧٨/٤).

٢٠- يعني الآية: أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا (الآية ٣١).

٢١- الكليات ص ٩٧٨.

٢٢- وهي الآية الوحيدة في القرآن.

٢٣- الجامع لأحكام القرآن ٢٠٩/١٧.

٢٤- السابق ٢٦١/٧.

٢٥- البحر المحيط ٦/ ١٦٤.

٢٦- الفروق ص ٣٠٨/٣٠٩.

٢٧- الجامع لأحكام القرآن ٣٦٧/٩.

٢٨- السابق ٦٠/١١.

٢٩- الكليات ص ٢١٢.

٣٠- القرطبي ٢٠٧/١٢، وأبو حيان ٤٤٠/٦.

٣١- القرطبي ١٠٢/٣، والزمخشري في الكشاف ١٣٦/١.

٣٢- القرطبي ١٠٢/٣، والزمخشري ١٣٦/١.

٣٣- الجامع لأحكام القرآن ٢١٨/٦.

٣٤- الفروق ص ٤٧.

٣٥- فرق بقوله: إنْ جاء فلان كلام تام لا يحتاج إلى صلة، وأتى فلان يقتضي مجيئه بشيء (الفروق ص٣٠٥).

٣٦- السابق والصفحة.

٣٧- الكليات ص ٣٤.

٣٨- انظر على سبيل المثال: الفروق ص ٢٦٤، والكليات ص ٤٩٨، ٤٩٩، وأسرار الترادف في القرآن الكريم ص ١١٧-١٢١.

٣٩- الكشاف ١٨٦/٣.

٤٠- الجامع لأحكام القرآن ١٦١/٣.

٤١- السابق ١٨٠/١٧.

٤٢- الكشاف ٥٤/٤.

٤٣- ص ٣٠٣.

٤٤- علم الدلالة ص ٢٣١.

٤٥- البحر المحيط ١٠٨/٨.

٤٦- الكليات ص ٢٣٩.

٤٧- البحر المحيط ٢٨٤/٧.

٤٨- انظر القرطبي ٢٠٠/٩، ٢٧٠/١١.

٤٩- السابق ١٢٦/٩،١٢٧.

٥٠- السابق ١٠٢/١٥.

٥١- لسان العرب (حلم).

٥٢- الكليات ص ٤٠٤.

٥٣- يقول الراغب الأصفهاني: والغيث: المطر (المفردات ص ٣٦٧).

٥٤- فقه اللغة ص١٩٠.

٥٥- الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٦. وقد ذكر الكفوي ما يقرب من ذلك، إذ قال: الغيث: هو مطر في إبّانه، وإلا فمطر (الكليات ص ٦٨٢).

٥٦- أسرار الترادف في القرآن الكريم ص ٣٥. وقد فسرهما الراغب الأصفهاني بالاغتياب (ص ٤٥٤،٥٤٦).

٥٧- الفروق ص ٤٤.

٥٨- اللسان: لمز.

٥٩- الفروق ص ٤٤.

٦٠- الكليات ص ٨٠٠.

٦١- الفروق اللغوية للشايع ص ٢٦٠-٢٦٢، وأسرار الترادف في القرآن ص ٦٣،٦٤.

٦٢- الكليات ص ٢٩٦.

٦٣- الصاحبي ص ١١٤، وعلم الدلالة ص ٢١٨،٢٢٩.

٦٤- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن ص ٢١٦،٢١٧.

٦٥- الفروق ص ٣٥،٣٦.

٦٦- السابق ص ١٧٠.

٦٧- السابق ص ١٥.

٦٨- السابق ص ٨٤.

٦٩- المقصد الأسنى ص ٧٢.

٧٠- معاني أبنية المبالغة للسامرائي ص ٥٦.

٧١- البحر المحيط ٤٦٥/٥.

٧٢- على الرغم من اشتراك وزن فعيل بين المبالغة والصفة المشبهة فقد اخترنا له هنا معنى المبالغة نظرا لتعدي الفعل من ناحية ولتفضيلنا معنى التكرار وكثرة الوقوع على معنى الثبوت والدوام من ناحية أخرى.

٧٣- أسماء الله الحسنى لأحمد مختار عمر ص ٥٥، ٦٥: ١٣٨- ١٤٣.

٧٤- السابق ص ١٠٠.

٧٥- شرح الشافية ٨٣/١.

٧٦- المقصد الأسنى ص ٧٧.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي – مكتبة الهلال – لبنان.

٢- أسرار الترادف في القرآن الكريم لعلي اليمني دردير - دار ابن حنظل، بالفيوم ١٩٨٦.

٣- البحر المحيط لأبي حيان.

٤- البرهان في علوم القرآن للزركشي - تحقيق أبي الفضل إبراهيم - دار التراث بالقاهرة ١٩٥٧.

الفصل الخامس

الاستدلال بالقراءات القرآنية

على صحة العديد من الاستخدامات اللغوية

الفصـــل الخامس

الاستدلال بالقراءات القرآنية
على صحة العديد من الاستخدامات اللغوية الشائعة *

القراءات القرآنية هي الوجوه المختلفة التي سمح النبي ﷺ بقراءة النص القرآني بها قصدا للتيسير، والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية القديمة. وقد تكفـــل الزركشي[1] بالتفرقة بين القرآن والقراءات بقوله: "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان" . فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتْبة الحروف، أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهمـــا .." كما تكفل ابن الجزري ببيان الحكمة في تعدد القراءات في النص المصحفي[2]، فقال: "فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها... وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيِّها...حيث أتاه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تَقْرأ أمتُك القرآن على حرف، فقال ﷺ أسأل الله معافاتَه ومعونته. إن أمتي لا تُطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلـغ سبعة أحرف". وبعد أن استشهد ابن الجزري ببعض الأحاديث الصحيحة استمر في بيان الحكمة قائلا : "إن الأنبياء - عليهم السلام - كانوا يُبعثون إلى قومهم الخاصين بـهم،

---

* لم يسبق نشره.

(١) البرهان ٣١٨/١.

(٢) النشر ٢٢/١.

والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق: أحمرِها وأسودها، عربيها وعجميها. وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتُهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقالُ من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخُ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا... فلو كُلِّفوا العدولَ عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع".

وزاد ابن قتيبة[١] الأمر تفصيلاً، فقال: "فكان من تيسيره أن أمره الله أن يقرئ كل قوم بلغتهم.. فالهذلي يقرأ: عتى حين.. والأسدي يقرأ: تِعْلَمون.. والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: وإذا قيل لهم، وغيض الماء بإشمام الضم.. ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه".

وحديث نزول القرآن على سبعة أحرف من الأحاديث التي قبلها العلماء واشتهرت بينهم، وتناقلها الثقات جيلا عن جيل[٢]. وقد روي أن عثمان بن عفان حينما صعد المنبر، وسأل من سمع النبي ﷺ يقول: "أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ" أن يقوم - قام الكثيرون حتى لم يحصوا، فعقب عثمان قائلا: وأنا أشهد معهم[٣].

وإذا كان العلماء قد اختلفوا في تحديد المراد بالأحرف، والمراد بالسبعة، وهل هي على سبيل الحصر، أو للتعبير عن الكثرة، فإنهم لم يختلفوا في أن الأحرف

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٣٠.

(٢) انظر تفسير الطبري ١/٢٥، والنشر ١/١٢، ولطائف الإشارات ١/٣١، وغيرها.

(٣) النشر ١/٢١، والإتقان ١/٤٥.

السبعة ليست هي القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد. يقول ابن الجزري:" لايجوز أن يكون المراد من الأحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين – وإن كان يظنه بعضهم – لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا قد خلقوا ولا وجدوا[1]. وقد وجه كثير من العلماء اللوم لابن مجاهد لاقتصاره من بين القراء على سبعة، وإيقاعه الناس في الوهم والتلبيس، ولذا يقول السيوطي: "مسبِّع السبعة فعل ما لا ينبغي، وجعل الأمر مشكلا على العامة باختياره، فظن كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الحديث. وليته إذ اختار نقص عن السبعة أو زاد عليها ليزيل الشبهة[2].

وإذا كان المشتغلون بالقراءات المدونون لها قد وقفوا موقفًا متحفظًا من بعض القراءات، فما ذاك إلا لأنهم لاحظوا وقوع بعض القراء في التخليط، وبعض آخر في التفريط، فنخلوا هذه القراءات وميزوا بينها من ناحيتي الإسناد والمتن. وتبلورت هذه المعايير على يد ابن الجزري (توفي ٨٣٣ هـ) في شروط ثلاثة هي:

١ – موافقة العربية ولو بوجه.

٢ – موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣ – صحة سند القراءة[3].

وإذا كان كثير من الأصولين والفقهاء قد تبعوا ابن مجاهد في اختياره، أو زادوا على السبعة ثلاثة[4]، فهناك كثيرون آخرون رفضوا المفاضلة بين القراءات على

---

(١) النشر ٢٤/١.

(٢) الإتقان ٨٠/١.

(٣) النشر ١٠/١-١٢

(٤) السبعة هم: ابن عامر (الشام)، ابن كثير (مكة)، عاصم، حمزة، الكسائي (الكوفة)، نافع (المدينة)، أبو عمرو (البصرة). أما الثلاثة فهم: أبو جعفر، يعقوب، خلف.

أساس تصنيف أصحابها إلى سبعة أو عشرة أو غير ذلك، وفاضلوا بينها على أساس المعايير الثلاثة السابقة، ولذا يقول القسطلاني: "فإذا اجتمعت هذه الثلاثة في قراءة وجب قبولها، وحرم ردها سواء كانت عن السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين"[١]. ويقول ابن الجزري: "وقد ذكر الناس عن الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى مرتبة وأجل قدراً من هؤلاء السبعة"[٢]

وإذا كان هذا هو رأي المحققين من الفقهاء والقراء والأصوليين الذين نظروا إلى القراءة باعتبارها وسيلة تعبُّد، وطريق تقرُّب، وشرطًا لصحة الصلاة، ومصدراً للتشريع والتحريم والتحليل فهناك إلى جانبهم فريق اللغويين الذين نظروا إلى القراءة نظرة مغايرة؛ لأن هدفهم مختلف، وغايتهم من قبول القراءة ليست العبادة أو الصلاة بها، إنما هي مجرد إثبات حكم لغوي أو بلاغي. ولذا فقد وضعوا شرطًا واحدًا لصحة الاستدلال اللغوي بالقراءة، وهو صحة نقلها عن القارئ الثقة حتى ولو كان فردا، سواء رويت القراءة بطريق التواتر، أو الآحاد، وسواء كانت سبعية أو عشرية، أو أكثر من ذلك. بل إن ابن جني في مقدمة كتابه المحتسب كان حريصًا على وضع القراءة الشاذة على قدم المساواة مع القراءة السبعية، وذلك بقوله: "إنه نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالرواية من أمامه وورائه، ولعله أو كثيرا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه"[٣]، وقوله: "فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله"[٤]، وقوله:

---

(١) اللطائف ١/٦٨، ٦٩.

(٢) النشر ١/٣٧.

(٣) المحتسب ١/٣٢.

(٤) السابق ١/٣٣.

"إنه لا يصح العدول عن المسمى شاذًا لأن الرواية تنميه إلى الرسول ﷺ"[١].

والقراءة من زاوية الاستشهاد اللغوي البحت - نص عربيّ، رواه أو قرأ به من يوثق في عربيته، ولهذا فهي – حتى على فرض اختلاف العلماء في صحة التعبد والصلاة بها- تحقق شرط اللغوي، وهو النقل عن العربي الثقة، حتى ولو كان فردًا، بل إن السيوطي يصرح بما هو أكثر من ذلك حين ينفي اشتراط العدالة في العربي الذي يستشهد بكلامه.

ولعل مما يزيل التردد عن نفوس المتحرجين من الاستشهاد اللغوي بالقراءات الشاذة معرفتهم بالحقائق الآتية:

١ – أن كثيرا من القراءات التي رميت بالشذوذ منسوبة إلى أبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وهما من كُتّاب الوحي، وعنهما قال الرسول ﷺ خذوا القرآن عن أربعة (وذكر منهم أبيًّا وابن مسعود). بل إن هناك حديثا عن أبي قلابة يقول: "أقرؤهم أبيّ ابن كعب"[٢].

٢ – أن ستة من أسانيد القراء السبعة متصلة بأبيّ بن كعب، وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

٣ – أن ثلاثة من القراء السبعة تنتهي أسانيدهم إلى ابن مسعود، وقد قال الرسول فيه: "من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأه قراءة ابن أم عبد".

٤ – أن بعضا مما رمي بالشذوذ وصف بأنه قراءة النبيﷺ، مثل: فمن اتبع هُدَيَّ، الحيّ

---

(١) السابق ٣٢/١، ٣٣.

(٢) مقدمة معجم القراءات القرآنية ٢٠/١ وما بعدها.

القَيَام ، ما وَدَعَك ربك .. الخ[١].

وإذا كان جَمْع عثمان المسلمين على مصحف إمام قد أزال الفرقة بينهم[٢]، ووحد كلمتهم، وألزمهم بالصلاة والتعبد بنصوصه - فإنّ ذلك لم يلغ ما سجله المسلمون من قراءات على اعتبار أنها - في أضعف حالاتها - تعد نصوصًا لغوية موثقة، وكلامًا عربيًا فصيحًا.وما خالف رسم المصحف من هذه القراءات لا يخرج - حتى في أدنى درجاته - عن أن يكون من باب التفسير، أو الشرح اللغوي الذي كان يسجله بعض الصحابة القراء أو بعض المتلقين عنهم. فلماذا نحرم المسلمين من هذا النوع الموثق من التفسير؟ وإذا كان بعض العلماء يحظر التعبد أو الصلاة بغير المتواتر لأنه ليس بقرآن، فهناك من العلماء من سمح بروايته، والاستشهاد به لأسباب أخرى. يقول القسطلاني في لطائف الإشارات: "إن من قرأ بالشواذ غير معتقد أنها قرآن، ولا يوهم أحدا بذلك. بل لما فيها من الأحكام الشرعية.. أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قراءتها".

وبهذا تدخل القراءات القرآنية بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس الأدبي واللغوي، وتقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر

---

(١) المحتسب ٧٦/١، ١٥١، ٣٥٨، ٣٦٤/٢.

(٢) مما يتوهمه كثيرون أن عثمان بن عفان وحّد المصاحف المرسلة إلى الأقاليم، وهو ما لم يحدث، فقد أعدّ نسخا من المصحف وجه واحدة منها إلى البصرة، وثانية إلى الكوفة، وثالثة إلى الشام، ورابعة إلى مكة، وخامسة إلى اليمن، وسادسة إلى البحرين وترك مصحفا بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفا (النشر ٧/١). وقد سجل العلماء عدداً من الاختلافات بين نسخ هذه المصاحف (انظر نماذج من هذه الاختلافات في مقدمة معجم القراءات القرآنية ٤٥/١ وما بعدها).

الجاهلي والإسلامي، ومأثور النثر من حكم وأمثال وخطب... في صحة الاستشهاد بها، والاستناد إليها في إثبات سلامة التعبير، وفي إمكانية اتخاذها مرتكزا لتحقيق التيسير، ودليلا لتصحيح كثير من العبارات والاستعمالات الشائعة الآن، والتي يتحرج المتشددون عن استعمالها. ومن أمثلة ذلك:

أولا: فتح همزة إنّ بعد القول:

يتوهم كثير من الباحثين فيظن أن مواضع كسر همزة "إن" و"فتحها" محصورة في مسائل محددة، غير مدركين أن النحاة قد وضعوا ضابطا عاما للكسر والفتح، فكل موضع يمكن أن تؤوّل فيه "إن" مع ما بعدها بمصدر[١] تستحق فيه الفتح، وكل موضع لا يمكن أن تؤول فيه مع ما بعدها بمصدر تستحق فيه الكسر، وكل موضع يمكن فيه التأويل وعدمه يجوز فيه الفتح والكسر، يقول ابن مالك:

وهمز إنّ افتح لسد مصدر مسدها وفي سوى ذاك اكسر

ومعنى هذا أن النحاة حين عدوا وقوع "إن" ومدخولها بعد القول من مواقع الكسر، كانوا ينظرون إلى عدم إمكانية حلول المصدر(المفرد) محلهما، لأن مفعول القول لا يكون إلا جملة.

والذي يبدو لي أن ما قاله النحاة مقصور على نوع واحد من أنواع القول، وهو ما يحكى بعده نص المقول (أو المفعول) فهذا يجب كسر همزة "إن" بعده، ولا خلاف معهم في ذلك. وهذا النوع من القول هو الذي عناه سيبويه بقوله: "واعلم أن (قلت) في كلام العرب وقعت على أن تحكي بها ما كان كلاما لا قولا"، يعني بالكلام الجمل،

---

(١) أو بعبارة أخرى: يمكن أن يحل محلها هي ومدخولها مفرد.

كقولك: زيد منطلق، وقام زيد، ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يبنى الكلام منها كزيد من قولك زيد منطلق[١].

أما خلافي مع النحاة فيتعلق بأنواع أخرى من القول لا تستحق كسر همزة "إن" بعدها لإمكانية حلول المفرد محلها هي ومدخولها، ومع ذلك صمت النحاة عن هذه الأنواع فأوهموا الكافة عموم الحكم، وهو ليس كذلك. ومن هذه الأنواع:

١ - قال التي بمعنى ذكر، أو نطق، أو أخبر وهذه يأتي مفعولها مفردا.[٢]

٢ - قال التي بمعنى اجتهد، أو حكم، أو رأى رأيا، وهذه تتعدى بحرف الجر، وفي الحديث قولوا بقولكم أو بعض قولكم.. قال في اللسان: أي قولوا بقول أهل دينكم وملتكم[٣] .

بل إن جواز الفتح يمتد ليغطي كذلك "قال" التي تشتمل على لفظ القول ومعناه إذا لم يُرد المتكلم حكاية مفعولها، ويتم في هذه الحالة تقدير حرف الجر معها أو تضمين فعل القول معنى فعل آخر يأتي مفعوله مفرداً[٤] كقوله تعالى: "وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات" (البقرة ٢٥). ويتضح هذا أكثر في قوله تعالى: "وشهدوا أن الرسول حق" (آل عمران ٨٦)، مع قوله تعالى في آية أخرى:

---

(١) اللسان، وتاج العروس (قول). ومثل هذا قول سيبويه: تقول: "قال عمرو: إن زيدا خير منك، وذلك لأنك أردت أن تحكي قوله" (الكتاب ١٤٢/٣).

(٢) تاج العروس (قول) وفي اللسان: سمي الملك قَيْلا لأنه إذا قال قولا نفذ.

(٣) اللسان (قول).

(٤) يقول سيبويه: وسألت يونس عن قوله: متى تقول أنه منطلق؟ فقال: إذا لم ترد الحكاية، وجعلت تقول مثل تظن قلت: متى تقول أنك ذاهب، وإن أردت الحكاية قلت: متى تقول إنك ذاهب (الكتاب ١٤٢/٣).

"واشهدوا بأنا مسلمون" (آل عمران ٦٤). وقد لوحظ تقدير حرف الجر في عدد من القراءات مع أفعال أخرى، كقراءة معظم السبعة: "فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى" على حذف حرف الجر، أي بأنّ، في حين قرأ ابن عامر وحمزة: " إن الله يبشرك بيحيى" بكسر الهمزة إجراء للنداء مجرى القول[1].

فالعامل الحاسم إذن بالنسبة لفعل القول الذي يشتمل على لفظ القول ومعناه، وفي غيره من الأفعال المشابهة هو إرادة الحكاية أو عدمها. ويتفرع على هذا أن هناك أفعالا خلت من لفظ القول ولكنها حملت معناه، وقصد بها الحكاية فكسرت همزة "إن" بعدها. وقد قرأ عاصم – في رواية – وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق والأعمش وغيرهم: "فدعا ربه إني مغلوب فانتصر" (القمر ١٠) على إضمار القول عند البصريين، أو على إجراء الدعاء مجرى القول عند الكوفيين[2]. وعلى الجانب الآخر فقد سمعت أمثلة لفعل القول لم يُرد به الحكاية ففتحت همزة "إنّ" بعدها. وفي هذا يقول الأشموني: "فإن لم تحك، بل أجري القول مجرى الظن وجب الفتح، ومن ثم روي بالوجهين قوله:

أتقول إنك بالحياة ممتّع   وقد استبحت دم امرئ مستسلم

فالكسر على إرادة الحكاية،والفتح على تضمين القول معنى الظن[3]. ومثله قول عمر بن أبي ربيعة:

---

(١) الإتحاف ص ١٠٥

(٢) الكتاب ١٤٣/٣، والمغني ٦٣/٢، وتفسير الألوسي ٨١/٢٧.

(٣) شرح الأشموني مع حاشية الصبان، وشرح العيني ٢٧٣/١- ٢٧٥.

أما الرحيل فدون بعد غد   فمتى تقول الدارَ تجمعنا

قال الجوهري: وبنو سليم يُجرون متصرِّف قلت (ما تصرف منها) في غير الاستفهام أيضا[١] مجرى الظن فيعدونه إلى مفعولين، فعلى مذهبهم يجوز فتح "إن" بعد القول[٢].

وقد كان الأشموني دقيقًا حين أوجب الفتح عند عدم قصد الحكاية، وكان الصبّان ذكيا حين دافع عن المرادي في إجازته الفتح والكسر في هذه الحالة بقوله: "قبل اختيار أحدهما"[٣]. فإذا اخترت أحد الوجهين وجب الكسر في حالة، ووجب الفتح في حالة.

فإذا رجعنا إلى القراءات القرآنية نستشيرها في هذه القضية نجدها مؤيدة لجواز الوجهين بعد القول حسب القصد، فإن اتجه القصد إلى الحكاية وجب الكسر، وإلا وجب الفتح. ومن هذه القراءات:

١- قوله تعالى:"ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن" (طه ٩٠)، فقد فتح الهمزة في المرتين عدد من القراء، وفي "إن" الثانية: أبو عمرو- في رواية - والحسن وعيسى[٤].

٢ - قوله تعالى: "ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت" (هود ٧)، فقد قرأه المطوعي (إمام في القراءات، عارف بها، ضابط لها، ثقة، وتوفي عام ٣٧١ كما ورد في

---

(١) لأن جميع العرب يفعلون ذلك في الاستفهام.

(٢) الصحاح (قول).

(٣) الأشموني بحاشية الصبان ٢٧٥/١.

(٤) معجم القراءات القرآنية ٢٢٧/٣.

لطائف الإشارات)، والأعمش، وعيسى بفتح الهمزة. وقد ذكر الألوسي أن هذا على تضمين "قلت" معنى "ذكرت" تجوزا، وقيل إن الذكر والقول مترادفان فلا داعي للقول بالتجوز.

٣ - قوله تعالى: "قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به .. وأنه تعالى جد ربنا .. وأنه كان يقول سفيهنا .. وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن .. وأنه كان رجال من الإنس.. وأنهم ظنوا كما ظننتم.. وأنا لمسنا السماء.. وأنا كنا نقعد منها .. وأنا لا ندري .. وأنا منا الصالحون.. وأنا ظننا .. وأنا لما سمعنا الهدى .. وأنا منا المسلمون .." (الجن ١-١٤).

فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالكسر في الآيات جميعا ابتداء من قوله تعالى"وأنه تعالى جد ربنا"، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالفتح[1].وذكر صاحب الإتحاف أن أبا جعفر قرأ بالفتح في ثلاثة منها وهي : "وأنه تعالى"، "وأنه كان يقول"، "وأنه كان رجال" جمعا بين اللغتين[2].

وجميع التخريجات التي ذكروها لتفسير الفتح مطعون عليها، وهي ما يلي:

أ - أن الآيات معطوفة على نائب الفاعل للفعل "أوحي".

قال أبو حيان: وهذا لا يصح في جميعه، مثل: " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع".

ب - أن الآيات معطوفة على الضمير المجرور في "به" (الآية ٢).

وهذا لا يجوز إلا على رأي الكوفيين، فضلا عن أن بعض ما فتح لا يناسبه العطف

---

(١) روح المعاني ٩٤/٢٩. وعكس أبو حيان النسبة في البحر ٣٤٧/٨.

(٢) انظر معجم القراءات القرآنية ٢١٣/٥.

في المعنى.

ج - أن الآيات معطوفة على مفعول "آمنا به" بعد تأويله بـ "صدقناه".

ولكن بعض ما فتح لا يناسبه تسليط "آمنا" عليه، مثل: "وأنا ظننا"[١].

ولا يسلم من التجريح إلا القول بالفتح على عدم إرادة الحكاية، ويكون الجميع معطوفا على مفعول القول الوارد في الآية الأولى.

٤ - وهناك قراءة رابعة تلفت النظر لأن القارئ بها أغلب السبعة، وذلك في قوله تعالى: "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشّرك بكلمة منه" (آل عمران ٤٥). فقد قرأها بكسر الهمزة حمزة وابن عامر، وبفتح الهمزة باقي السبعة، وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، والكسائي. فالكسر على أنها مقول القول، والفتح على تقدير: نادته بأن الله يبشرك[٢].

ومعنى هذا أن القاعدة النحوية الخاصة بكسر همزة إنّ بعد القول ينبغي أن يُفصّل القول فيها لتصبح على النحو التالي:

١ - تكسر همزة "إن" بعد القول إذا قَصَدْتَ الحكاية، وهي نقل الجملة بلفظها.

٢ - تفتح همزة "إن" بعد القول إذا لم تقصد الحكاية.

ويتضح الفرق في مثل قولنا:

قال الرئيس: إنني أوافق على كذا.

قال الرئيس أنه يوافق على كذا.

---

(١) البحر المحيط ٣٤٧/٨.

(٢) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٦٢، ١٦٣، وانظر معجم القراءات ٤٠٦/١.

فهمزة الجملة الأولى واجبة الكسر، وهمزة الجملة الثانية واجبة الفتح.

ثانيا: المؤنث المجازي[١]:

تفتح القراءات القرآنية بابا للنفاذ منه لحل مشكلة المؤنث المجازي في اللغة العربية، وهي مشكلة لم تحلها كثرة ما كتب عنها، وألف فيها[٢].

ويترتب على الحكم على اللفظ بأنه مؤنث حقيقي، أو مؤنث مجازي، أو مذكر أحكام كثيرة، منها: تذكير الفعل وتأنيثه، واستخدام اسم الإشارة المناسب، واستخدام الاسم الموصول المناسب، وأحكام في باب العدد، وأحكام في أبواب الخبر والحال والنعت، وأحكام في بعض مسائل التصغير، وأحكام في الصرف ومنعه .. الخ.

---

(١) المؤنث المجازي، ويسمى: غير الحقيقي، هو ما ليس له مذكر من نوعه، مثل: أرض، وشمس، وعين، وذراع، ودار، وسوق، ونار، وحرب... ويكون معنويا إذا لم توجد به علامة تأنيث كما مُثّل، ولفظيا إذا وجدت به علامة تأنيث، كالتاء في سيّارة، أو ألف التأنيث المقصورة في رؤيا، أو ألف التأنيث الممدودة في كبرياء، وسرّاء.

(٢) يكفي أن نقول إن محمد بن القاسم الأنباري ألف كتابا عن المذكر والمؤنث يقع في أكثر من ستمائة وخمسين صفحة، ومن أبوابه: ما يستوي فيه المذكر والمؤنث- ما يذكر ويؤنث باتفاق من لفظه واختلاف من معناه – ما يذكر من الإنسان ولا يؤنث- ما يؤنث من الإنسان ولايذكر- ما يذكر من الإنسان ويؤنث – ما يذكر من سائر الأشياء ولا يؤنث. وإلى جانب ذلك فهناك كلمات كثيرة اختلفت المعاجم في الحكم عليها أهي مذكرة أم مؤنثة، مثل كلمة "حرب" التي فسرها الفارابي قائلا : الحرب واحد الحروب (ديوان الأدب – فَعْل) وذكر الجوهري أنها مؤنثة، يقال: وقعت بينهم حرب. وقد مال الخليل إلى تذكيرها فقال: تصغيرها حُرَيْب بلا هاء، رواية عن العرب. وقال المبرد: الحرب قد تذكر وأنشد:

وهو إذا الحرب هفا عُقابُه   مِرْجمُ حَرْب تلتظي حِرابُهُ.

ولأن الحكم على اللفظ بأنه مؤنث مجازي يدخل في باب التحكّم من ناحية، ولا يخضع لقاعدة مطردة من ناحية أخرى كثر الخطأ فيه في الاستعمال الحديث، وأخذ هذا الخطأ عدة أشكال منها:

١ – تذكير ما هو مؤنث بدون علامة تأنيث، كما هو ظاهر من الأمثلة الآتية المأخوذة من لغة الإعلام: كان ذا أذنين كبيرين – أصيب برصاصة في فخذه الأيسر – في هذا السن المبكر – كان يشكو من ألم في كتفه الأيمن..

٢ – تذكير ماهو مؤنث مع وجود علامة التأنيث، مثل: هذا الكبرياء الكاذب – في النشرة الإنجليزي.

٣ – استخدام "أحد" مكان "إحدى"، مثل: أحد النتائج الحتمية – أحد الجهات التي تقيّم الإنتاج – أحد الحملات على أوكار السلاح – أحد قضايا الحدود الأخيرة ..

٤ – استخدام "كلا" مع المؤنث، مثل: كلا الدولتين تتنافسان – أجاد كلا اللغتين – في كلا المنطقتين ..

بل أدت هذه البلبلة إلى ارتكاب أخطاء على الجانب الآخر، أعني تأنيث ما حقه التذكير، وقد أخذ ذلك أشكالا متعددة، منها:

١ – تأنيث ماهو مذكر، مثل :إن بلديهما ستؤديان ما عليهما (مع أن البلد مذكر، وفي القرآن الكريم: وهذا البلد الأمين)- كنت أتمنى أن أرى رأسه معلقة – توفي بمستشفى المنيرة التي نقل إليها..

٢ – استخدام إحدى مكان أحد، مثل: إحدى المصانع الصغيرة – إحدى هذه الأيام – يرتدي إحدى المعاطف البالية – إحدى المؤتمرات – إحدى المحلات – من إحدى الموضوعات – في إحدى الانفجارات..

ولا مخرج من هذه البلبلة إلا من خلال تصفية ما يسمى بالمؤنث المجازي وذلك عن طريق ما يأتي:

١ – معاملة المؤنث المجازي بدون علامة معاملة المذكر.

٢ – معاملة المؤنث المجازي الذي يشتمل على علامة تأنيث معاملة المؤنث الحقيقي.

ولنا في الاستعمال القرآني، وفيما ورد في القراءات القرآنية الأسوة الحسنة، كما يبدو من الأمثلة الآتية:

١ – قال تعالى: "السماء منفطر به" (المزمل ١٨).

وقد قال اللغويون عن تذكير لفظ السماء ما يأتي:

أ – قال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة، والكسائي: لم يقل منفطرة لأن مجازها (معناها): السقف، تقول: هذا سماء البيت، قال الشاعر:

فلو رفع السماءُ إليه قوما لحقنا بالسماء وبالسحاب

ب – وقال الفراء: السماء يذكر ويؤنث.

ج – وقال الزمخشري: التقدير: السماء شيء منفطر، فجعل "منفطر" صفة لخبر محذوف مقدر بمذكَّر.[١]

٢ – أما القراءات القرآنية فأمثلتها عديدة، وهي:

• قرأ ابن محيصن: "وإذ يعدكم الله أحد الطائفتين أنَّها لكم" بدلا من "إحدى" (الأنفال ٧). قال أبو حيان: على التذكير إذ تأنيث الطائفة مجاز[٢].

---

(١) القرطبي ٥١/١٩ والبحر المحيط ٣٦٥/٨، ٣٦٦، وإعراب القرآن للنحاس ٦١/٥.

(٢) البحر المحيط ٤٦٤/٤.

• وقرأ ابن أبي عبلة: " خلقكم من نفس واحد" بدلا من "واحدة" (النساء ١). قال أبو حيان: على مراعاة المعنى؛ إذ المراد به آدم، أو على أن النفس تذكر وتؤنث، فجاءت قراءته على تذكير النفس[١].

• وقرأ ابن مسعود: "كلا الجنتين آتت أكلها"، بدلا من "كلتا"، وروي عنه أيضا: "كلا الجنتين آتى أكله" (الكهف ٣٣). قال أبو حيان: أتى بصيغة التذكير؛ لأن تأنيث الجنتين مجازي ، ثم قرأ آتت ، فأنث ، لأنه ضمير مؤنث فصار نظير قولهم: طلع الشمس وأشرقت[٢]. وقال الفراء: يجوز أن تقول للاثنتين: كلاهما وكلتاهما، قال الشاعر:

كلا عقبيه قد تشعب رأسها ... من الضرب في جنبيْ ثَفَالٍ مباشر

(الثفال: البعير البطيء)[٣].

• وقرأ زيد بن علي ، وعبيد بن عمير: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلا[٤]" (الحجرات٩).

• وقرأ مجاهد ومقاتل: "فئة يقاتل في سبيل الله[٥]" (آل عمران ١٣).وليست هذه الأمثلة التي ذكرناها بدعا في اللغة فقد ورد في الشعر أمثلة أخرى كثيرة مشابهة لها، منها:

١ - قول الشاعر (وهو من شواهد سيبويه) :

---

(١) البحر ١٥٤/٣. وانظر القرطبي ٢/٥.

(٢) البحر ١٢٤/٦، وانظر تفسير الألوسي ٢٧٤/١٥.

(٣) معاني القرآن ١٤٣/٢.

(٤) البحر ١١٢/٨، والكشاف ٥٦٣/٣.

(٥) البحر ٣٩٤/٢.

فلا مزنة ودقــت ودقهــــا ... ولا أرضُ أبقـــل إبقالهــــا

٢ – قول معوّد الحكماء:

إذا سقط السمـاء بأرض قوم ... رعينـاه وإن كـانوا غضابــــا

٣ – قول الأعشى:

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما ... يضم إلى كشحيه كفا مخضبــا

٤ – قول الشاعر:

والعين بالإثمد الحاريّ مكحول.

وقد علق اللغويون على هذه الأبيات بقولهم:

١- أراد بالأرض الموضع أو المكان فذكّر.

٢- أراد بالسماء المطر فذكّر.

٣- قال الأنباري:ذكّر مخضبا وهو وصف للكفّ، وهي مؤنثة، لأن الكـف لا علامـة للتأنيث فيها، وقال الفراء: لأنه وجده ليس فيه الهاء، على تذكير المؤنـث إذا لـم تكن فيه الهاء.

٤- ذكّر العين لأنه حملها على معنى الطَّرْف[1].

وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن المبرد كـان يقـول: مـا لـم يكـن فيـه علامـة التأنيث، وكان غير حقيقي التأنيث فلك تذكيره نحو: هذا نار.

وقال ابن سيده: وقد تذكّر النار، عن أبي حنيفة، وأنشد في ذلك:

---

(١) المذكر والمؤنث للأنباري ٢٧٩،٢٨٣. وانظر: العربية الصحيحة لأحمد مختار ص ١٠٤، ١٠٥.

فمن يأتِنا يلمم بنا في ديارنا   يجد أثرا دَعْسًا ونارا تَأجَّجا

وذكر الفيومي في خاتمة المصباح المنير ما نصه: "والعرب تجترئ على تذكير المؤنث إذا لم يكن فيه علامة تأنيث، وقام مقامه لفظ مذكر. حكاه ابن السكيت، وابن الأنباري. وحكى الأزهري قريبا من ذلك"[١].

فبناء على هذا كله، ومن أجل التيسير على مستخدمي اللغة أقترح القاعدة الآتية: "كل ما كان مجازي التأنيث بدون علامة يجوز تذكيره". وعلى هذا يُنصح كل من يقابله لفظ بدون علامة تأنيث، وليس لمؤنث حقيقي أن يعامله معاملة المذكر. وبذا نرفع الحرج عن نفس من يقول: "بئر عميق"، (وقد خطأها محمد العدناني)[٢]، و"يمين غليظ" (وقد خطأها العدناني كذلك)[٣]، و"سنّ مكسور"، (وقد خطأها مصطفى جواد)[٤]. وبذلك تصح كذلك معظم الأمثلة التي سبق أن اقتبسناها من لغة العصر الحديث. وينبغي ألا ننسى- بعد كل هذا - أن الكوفيين يجيزون تذكير الفعل مع الفاعل المؤنث تأنيثا مجازيا إذا لم تكن فيه علامة التأنيث، سواء كان الفاعل اسما ظاهرا أو ضميرا.

ثالثا: ضم ما قبل واو الجماعة وكسر ما قبل ياء المخاطبة مطلقا:

تميز القاعدة الصرفية بين الأفعال المنتهية بواو أو ياء، فهذه تضم فيها ما قبل واو الجماعة وتكسر ما قبل ياء المخاطبة (يرمُون – ترمِين)، والأفعال

---

(١) ص ٧٠٣.

(٢) معجم الأخطاء الشائعة ص٣٣.

(٣) السابق ص ٢٧٦.

(٤) قل ولا تقل ص ١٢٩.

المنتهية بألف فهذه تفتح فيها ما قبل واو الجماعة أو يـاء المخاطبـة (يَرْضَـوْن - تَرْضَيْن).

ولكنني لاحظت أن معظم المثقفين لا يفرّقون بين النوعين، فيضمون فيهما ما قبل واو الجماعة، ويكسرون ما قبل ياء المخاطبة، كما يبدو من الأمثلة الآتية المأخوذة من لغة الإعلام المسموع:

الفعل قبل الإسناد	الفعل في جملته بعد الإسناد	الصواب
أَجْرَى	محادثات أجرُوها في مصر ودمشق	أَجْرَوْها
أدلَى	ممن أدلُوا بأصواتهم	أدلَوْا
أردَى	وأردُوه قتيلا	وأردَوْه
اعتدى	قد اعتدُوا	اعتدَوْا
أعطى	لقد أعطُوه فرصة أخيرة لإثبات كفاءته	أَعْطَوْه
	أهلا بالذين أعطُوا	أعطَوْا
يتعالى	تتعالِين على الناس كبرياء	تتعالَيْن
لاقى	لاقُواَ حتفهم	لاقَوْا
	إن ستين ألفا لاقُوا مصرعهم	"
نجا	عشرون شخصا نجُوا من الحادث	نَجَوْا

ومن الغريب أن أسمع بعض الحالات العكسية، أي التي كان يجب فيها ضم ما قبل واو الجماعة، ولكنه فُتح، كما يبدو من الأمثلة الآتية:

الفعل قبل الإسناد	الفعل في جملته بعد الإسناد	الصواب
بَقِيَ	بَقَيْتُ في مكاني	بَقِيتُ
حَظِيَ	الذين حَظَوْا بثقة المواطنين	حَظُوا
رَضِيَ	حتى رَضَوْا بالهوان	رَضُوا
يحذو	يحذَوْن حذوهم	يحذُون

وقد وقع في نفس الوهم أحد كبار الشيوخ في حديثه الصباحي الديني بإذاعة البرنامج العام بالقاهرة حين نطق الحديث النبوي "استوصوا بالنساء خيرا" - نطقه بفتح ما قبل الواو، مع أنه واجب الضم.

وأسوأ من ذلك ما حدث من توهم في كلمات من المضعف أو السالم نطقها بعض المتحدثين بالفتح، مع وجوب ضمها، مثل:

الفعل قبل الإسناد	الفعل في جملته بعد الإسناد	الصواب
عاث	عاثَوْا فساداً في مدينة الخليل	عاثُوا
فَرّ	فَرَّوْا من مواقع القتال	فَرُّوا
شنّ	في هجوم شنَّوْه	شَنُّوه
يودّ	وعلى الذين يودَّوْن الكلام	يودُّون

أليس من الأجدر بنا أن نستأنس بما ورد في بعض القراءات القرآنية من ضم ما قبل واو الجماعة حتى إذا كان المقدَّر ألفا فنعمم القاعدة، ونجعلها تطّرد بصورة واحدة ؟

والأمثلة الوارد من القراءات القرآنية كثيرة منها:

١ – قراءة الحسن وغيره: "فقل تعالُوا ندع أبناءنا وأبناءكم" (آل عمران ٦١)، وقراءتهم: " وإذا قيل لهم تعالُوا إلى ما أنزل الله" (النساء ٦١)، كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط[١]، وابن جني في المحتسب[٢]، والعكبري في التبيان في إعراب القرآن[٣]. وقد قال ابن جني في تعليل هذه القراءة: إن ألف "تعالى" قد حذفت استحسانا أو تخفيفا، فلما حذفت ضمت اللام قبلها لوقوع واو الجمع بعدها.

٢ – قراءة زيد بن علي: "ولا تطغُوا فيه فيحل عليكم غضبي" (طه ٨١). وقد خرّجها العكبري على أنها على لغة من قال: طغا يطغو بالواو، مثل يغزو[٤].

٣ – قراءة قتادة، وابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وغيرهم: "لاتسمعوا لهذا القرآن والغُوا فيه" (فصلت ٢٦). وقد خرجها ابن جني على أنها على لغة من قال: لغا يلغو[٥].

٤ – قراءة بعضهم: "ولا تعثُوا في الأرض مفسدين" (البقرة ٦٠). وخرجها العكبري على أنها لغة من قال: عثا يعثو[٦].

٥ – قوله تعالى: "وسيَصْلَوْن سعيرا" (النساء ١٠) التي قرئت مبنية للمجهول بضم الياء وفتح اللام، وبضم الياء واللام. ولكن العكبري تحايل لإخراج القراءة الثانية من صيغة

---

(١) البحر ٤٧٩/٢، ٢٨٠/٣.

(٢) المحتسب ١٩١/١.

(٣) ٢٩٥/١.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ٨٢/٢، وانظر البحر المحيط ٢٦٥/٦.

(٥) المحتسب ٢٤٦/٢، وانظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٤٣٠/٢، والبحر المحيط ٤٩٤/٧، وتفسير القرطبي ٣٥٦/١٥.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ١٦٥/١.

المبني للمجهول، فقال: أي سيصلونهم الملائكة سعيرا، أو سيُصلون أنفسهم بسبب كفرهم[١]. والتكلف واضح في هذا التخريج، والأقرب إلى سياق الآية أن يظل الفعل مبنيا للمجهول، ولكن مع ضم اللام بدلا من فتحها.

ويبدو أن اتجاه بعض العرب إلى ضم ما قبل الواو، وكسر ما قبل الياء جاء تحقيقا لمبدأ السهولة وتوفير الجهد المعترف به صوتيا، بالإضافة إلى الفرار من تحريك نصف العلة إذا جاء بعدها ساكن، كما في قوله تعالى: " وإذا لاقَوُا الذين آمنوا قالوا آمنا" (البقرة ١٤)، وقوله: "فتمنَّوُا الموت إن كنتم صادقين" (الجمعة ٦). ولهذا نجد بعض القراء يهرب من هذا عن طريق همز الواو، فيقرأ: "فتمنَّؤُ الموت إن كنتم صادقين". قال في البحر: وحكى الكسائي عن بعض الأعراب أنه قرأ بالهمز مضمومة بدل الواو، وهذا كقراءة من قرأ: تَلْؤون بالهمز بدل الواو[٢]، وقال ابن جني في المحتسب: وقيس تقول: "اشترءوا الضلالة"، وبعض العرب تقول: عصئُوا الله" مهموزة[٣].

فلو أخذنا بهذه الرخصة لرفعنا الحرج عن كبار المثقفين والمتحدثين في الإعلام المسموع. وقد سمعت في تليفزيون القاهرة في برنامج "حديث الروح" بمناسبة موسم الحج من يقول: "الذين أدُّوا فريضة الحج"، ومن يقول: "بعد أن انتهُوا من رمي الجمرات". وسمعت أحد رؤساء المجامع اللغوية يقول في المؤتمر العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبريل ٢٠٠٠): وإن سَمُّوها أرقاما عربية.

---

(١) السابق ٣٧١/١، ٣٧٢.

(٢) ٨/ ٢٦٧.

(٣) المحتسب ٥٥/١.

ولا يحتج علينا بخوف الالتباس بين المعلوم والمجهول، أو بين اسمـي الفاعل والمفعول، فالسياق كفيل بتحديد المعنى المراد. فالفعل يضارّ وأمثاله يحتمل المعلـوم والمجهول، ولم تفرق اللغة بين الصيغتيـن [(١)]، والصفـات مثـل مـرتدّ ومحتـدّ، ومختـار تحتمل الفاعل والمفعول، ولم تعبأ اللغة بالتمييز بين الصيغتين اعتمادا على السياق في كل هذا وأمثاله مما يدخل في باب الاشتراك في الصيغـة، وهـو بـاب واسـع فـي اللغـة العربية.

رابعا: تَوَفَّى وتُوُفِّي:

يكثر في الاستعمال الحديث ضبط الفعل "تَوَفَّى" مبنيا للمعلوم فـي مثـل قـول القائل: "تَوَفَّـى فـلان". وعلـى الرغـم مـن أن المراجـع اللغويـة تذكـر أن الاسـتعمال الصحيح هو "تُوفِّي" – بالبناءِ للمجهول. فقد جاءت القراءات القرآنية مصححة النطق الحديث، وذلك في الآيتين الآتيتين:

١ – قوله تعالى: " والذين يُتَوَفَّوْن منكم ويذرون أزواجا" (البقرة ٢٣٤)، الذي قـرأه على ابن أبي طالب، والمفضل بن عاصم: "والذين يَتَوَفَّوْن منكم.."[(٢)]. قال ابن جنـي: "قـال ابن مجاهد: ولا يُقرأ بها. قال أبـو الفتح (يعني نفســه): هـذا الـذي أنكره ابـن مجـاهد عندي مستقيم جائز؛ وذلك أنه على حـذف المفعـول، أي: والذيـن يتوفـون أيامـهم؛ أو

(١) وقد فسر الفعل في قولـه تعـالى: "ولا يُضـارَّ كـاتب ولا شـهيد" (البقـرة ٢٨٢) علـى أنـه مبنـي للمعلوم، وقد قرأ عمر بن الخطاب وابـن عبـاس وابـن أبـي إسـحاق: يضـارِرْ . كمـا فسـر بأنـه مبنـي للمجهول، وقد قرأ ابن مسعود: يضارَرْ (القرطبي ٣/ ٤٠٥، ٤٠٦).

(٢) البحر المحيط ٢/٢٢٠.

أعمارهم، أو آجالهم.. وحذف المفعول كثير في القرآن وفصيح الكلام وذلك إذا كان هناك دليل عليه.."[١]. وقال العكبري: "والتقدير: يتوفون آجالهم، أي يستوفونها.

٢ - قوله تعالى: "ومنكم من يُتوفَّى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر" (الحج ٥)، الذي قرأه الأعمش وابن عمرة وحكاه أبو حاتم: "ومنكم من يَتَوَفَّى.." قال العكبري: "والمفعول محذوف، أي يستوفي أجله"[٢].

خامسا: يَهْرَع ويُهْرَع:

يقول ابن منظور: الهَرَع والإهراع: شدة السَّوْق وسُرعة العَدْو.. وقد هُرعوا، وأُهرعوا.. وأُهِرع الرجل، على ما لم يسمى فاعله: خَفَّ وأُرْعد من سُرعة أو خوف أو حرص أو غَضَب أو حمى، وفي التنزيل: "وجاءه قومه يُهرعون إليه" قال أبو عبيدة: يُستحثّون إليه، كأنه يحث بعضهم بعضا"[٣]. وقد ورد اللفظ بصيغة المضارع المبني للمجهول في القرآن الكريم مرتين، هما قوله تعالى: "وجاءه قومه يُهْرَعون إليه" (هود ٧٨)، وقوله: "فهم على آثارهم يُهْرَعون" (الصافات ٧٠).

ولكن الاستعمال الحديث يميل الآن إلى استخدام الفعل في صيغة المبني للمعلوم، كما في قولهم: "هَرَعت سيارات الإسعاف"، "هَرَع رجال الشرطة". وقد وجدنا في القراءات القرآنية ما يدعم هذا الاستعمال الحديث، فقد قال أبو حيان في

(١) البحر المحيط ٣٥٣/٦.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ١٢٨/٢. وانظر إعراب القرآن للنحاس ٨٧/٣ ، والبحر المحيط ٣٥٣/٦.

(٣) اللسان (هرع).

آية هود: "وقرأت فرقة يَهْرَعون، بفتح الياء من هَرَع، وقال مهلهل: فجاءوا يَهْرَعون وهم أسارى يقيودهم على رغم الأنوف"[١].

وهناك تخريج آخر يصحح الاستعمال الحديث، وهو أن الفعل الثلاثي مبني للمعلوم، والمزيد بالهمزة مبني للمجهول، والهمزة فيه للتعدية، ولذا لابد أن يكون المُسْرِع قد وقع عليه الفعل ولم يقع منه. ويؤيد هذا قول الجوهري في الصحاح: دَمٌ هَرِع: أي جارٍ بيّن الهَرَع، وقد هَرِعَ.. والإهراع الإسراع.. وأُهْرِع الرجل على ما لم يسمّ فاعله فهو مُهْرَع"[٢]. وعلى هذا يكون الصواب أن يقال: "هَرَعت سيارات الإسعاف"، أو "أُهْرِعت سيارات الإسعاف".

سادسا: التقدير بمعنى التعظيم والاحترام:

تفرق المعاجم بين "القَدْر"، و"التقدير" فتذكر من معاني الأول: التعظيم، ومن معاني الثاني: التروية والتفكير في تسوية أمر أو تهيئته، ونية الشيء وعقد العزم عليه[٣]. وقد جاء على الأول قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر" (القدر١)، وعلى الثاني قوله تعالى: "إنه فكّر وقدّر" (المدثر ١٨)، وقوله: "نحن قدَّرنا بينكم الموت" (الواقعة ٦٠).

ولكن الاستعمال الحديث يميل الآن إلى استخدام كلمة التقدير بمعنى التعظيم والاحترام على الرغم من خلو المعاجم من هذا المعنى. وقد جاءت القراءة القرآنية مؤيدة للاستعمال الحديث ، ومستدركة على المعاجم العربية ما فاتها، وذلك حين

---

(١) البحر المحيط ٢٤٦/٥.

(٢) الصحاح (هرع).

(٣) لسان العرب، وتاج العروس (قدر).

قرأ الحسن، وعيسى الثقفي، وغيرهما: "وما قَدَّروا الله حق قَدَره" (الأنعام ٩١). يقول الزمخشري: "وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه"[١]، ويقول أبو حيان: "وما قدّروا بتشديد الدال.. أي ما عظموه حقيقة تعظيمه"[٢].

سابعا : رَجَع وأَرْجع:

تقول المعاجم العربية إن الفعل "رجع" يستخدم لازما، ومصدره: الرُّجوع، ومتعديا لمفعول ومصدره: الرَّجْع[٣]. فمن اللازم قوله تعالى: "ولما رَجَع موسى إلى قومه" (الأعراف ١٥٠)، ومن المتعدي قوله تعالى: "فإن رَجَعَك الله إلى طائفة منهم" (التوبة ٨٣)، وقوله: "ورجعناك إلى أمك" (طه٤٠).

ولكن الاستعمال الحديث يميل الآن إلى استخدام الفعل المجرد عند إرادة اللزوم، واستخدام الفعل المزيد بالهمزة عند إرادة التعدية إلى مفعول. ولهذا الاستعمال أصل في اللغة من ناحية، وسند من القراءات القرآنية من ناحية أخرى. أما أصله اللغوي فقد ورد في قول الجوهري: "وهذيل تقول: أَرْجعه غيره"[٤]. وأما سنده من القراءات القرآنية فقد جاء في قوله تعالى: "أفلا يرون ألا يَرْجع إليهم قولا" (طه٨٩)، وقوله تعالى: "قال رب ارْجعون" (المؤمنون ٩٩). قال الزَّبيدي: حكى أبو زيد عن الضبّيين أنهم قرأوا: "أفلا يرون أن لا يُرْجع إليهم قولا"، و"قال رب أَرجعونِ".

---

(١) الكشاف ٤٠٨/٣.

(٢) البحر ٤٣٩/٧، وانظر إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٤٩٣/١.

(٣) الصحاح (رجع).

(٤) الصحاح (رجع).

وقد وقع خلاف بين اللغويين حول صحة الفعل "أرجع"، فأثبته الجوهري كما سبق أن ذكرنا، ووافقه عليه الفيروزآبادي حيث قال: "رَجَع يَرْجع: انصرف .. والشيءَ عن الشيء.. صرفه ورده فأرجعه"[1]. أما ابن الطيب الفاسي (شيخ الزبيدي) فقد رد هذه اللغة قائلا: "وهي ضعيفة رديئة كما صرح به غير واحد، فلا اعتداد بإطلاق المصنف إياها كالمشهور". ولم يعجب هذا الكلام الزبيدي فانبرى لتصحيحها قائلا: "أما كونها لغة هذيل فقد صرّح به غير واحد. وأما كونها ضعيفة رديئة فلم أر أحدا من الأئمة صرح بذلك، كيف وقد حكى أبو زيد عن الضبّيّين... الخ[2].

ثامنا : تذكير العدد وتأنيثه إذا وقع صفة:

يمثل العدد من ثلاثة إلى عشرة مشكلة كبيرة للمثقف العربي لأن تمييزه جمع، ولابد من رد الجمع إلى مفرده للحكم بتذكير التمييز أو تأنيثه.

ومعنى هذا أن من يريد أن يقول ٣ اختبارات، أو ٣ دول لابد أن يقوم بثلاث خطوات ليضع العدد في صورته الصحيحة: رد الجمع إلى المفرد، والحكم عليه بالتذكير أو التأنيث، ومخالفة العدد للمعدود. وإذا أمكن عمل ذلك بالنسبة للنص المكتوب، فليس لدى المتكلم المرتجل من وقت ليجري هذه العمليات الثلاث في ذهنه قبل أن يختار الصواب.والحل الأمثل لهذه المشكلة أن يقدم المتكلم المعدود ويؤخر العدد، وحينئذ تجوز له المطابقة والمخالفة، فالمطابقة على أنه نعت، والمخالفة على أنه عدد. وقد جاء بالوجهين قوله تعالى: "وكنتم أزواجا ثلاثة" (الواقعة ٧) فقد

---

(١) القاموس المحيط (رجع).

(٢) تاج العروس (رجع).

قرأها الجمهور بالتأنيث وقرأها بعضهم بالتذكير: "أزواجا ثلاثا"[١].

تاسعا: أمْنِيَة وأمْنِيَّة:

تتردد على ألسنة المعاصرين وأقلامهم كلمات، مثل: أمسية، وأمنية، وأضحية، وأغنية .. وهم ينطقونها بتخفيف الياء لا بتشديدها خلافا لما تذكره كتب اللغة من أن وزنها "أُفعولة"[٢].

وقد جاءت القراءات القرآنية داعمة للنطق الحديث، سواء في المفرد "أمنية"، أو الجمع "أماني" على النحو التالي:

١ – قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر وشيبة والحسن وغيرهم: "ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانِي"[٣] (البقرة ٧٨). وقد عمم ابن الجزري الحكم بالنسبة لأبي جعفر في جميع القرآن فقال: فقرأ أبو جعفر: إلا أماني، وأمانيهم، وليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، في أمنيته بتخفيف الياء فيهن"[٤].

٢ – قرأ أبو جعفر والحسن وغيرهما: "ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب" (النساء ١٢٣)[٥].

٣ – قرأ أبو جعفر والحسن وغيرهما: "تلك أمانِيهم" (البقرة ١١١)[٦].

---

(١) مختصر ابن خالويه ١٥١.

(٢) قل ولا تقل ص ١٥١.

(٣) معجم القراءات القرآنية ٢٢٠/١.

(٤) النشر ٢١٧/٢، وانظر الإتحاف ١٣٩ على سبيل المثال.

(٥) معجم القراءات القرآنية ٥٤١/١.

(٦) السابق ٢٤٨/١.

٤ – قرأ أبو جعفر: "إذا تمنى ألقى الشيطان في أُمْنِيَتِه" (الحج ٥٢)[١].

٥ – قرأ أبو جعفر: "وارتبتم وغرتكم الأمانِي" (الحديد ١٤)[٢].

وبهذا يتبين أن التخفيف جائز في كل من المفرد والجمع، خلافا لقول مصطفى جواد: والتخفيف جائز. في الجمع دون المفرد.

ولم يقتصر التخفيف في القراءات على كلمتي أمنية وأماني، بل شـمل كلمـات أخرى انتهت بياء مشددة كقوله تعالى: "ونسـقيه ممـا خلقنـا أنعامـا وأناسـيّ كثـيرا" (الفرقان ٤٩) فقد قرأها الكسائي ويحيى بن الحارث بتخفيف الياء[٣].

عاشرا: الطالبات يتفوقن وتتفوقن:

المذكور في كتب النحو منع الجمع بين نون النسوة وتـاء التـأنيث فـي الفعـل عند الحديث عن جماعة الغائبات، فلا يقال الوالـدات ترضعـن، ولكـن يُرْضعـن، وفـي القرآن الكريم "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين" (البقرة ٢٣٣). ولكن يشيع في لغة العصر الحديث الجمع بين تاء التأنيث ونون النسوة كما يظهر من الأمثلة الآتية المأخوذة من لغة الصحافة:

١ – اثنتان وأربعون سيدة من ألمانيا تزرن مصر.

٢ – ثمان وأربعون وزيرة بالكومنولث تبحثن قضايا المرأة.

٣ – الطالبات تكتسحن المراكز الأولى في الثانوية العامة[٤].

---

(١) السابق ٣/٣١١.

(٢) السابق ٥/٦٠.

(٣) البحر ٦/٥٠٥.

(٤) أخطاء اللغة العربية المعاصرة ص ١١٠.

وقد جاءت بعض القراءات القرآنية داعمة للاستعمال الحديث كما يظهر من الاقتباسات الآتية:

١ – قال ابن خالويه في آية الشورى (٥): "يكاد السموات يتفطرن من فوقهن" ما نصه: يقرأ بالياء والتاء.. والنون مع التاء والياء والتخفيف، وبالتاء في مكان النون بعد التاء، والياء والتشديد"[١].

وهو بهذا يثبت أربع قراءات اثنتان بالياء واثنتان بالتاء، وهي: يتفطَّرْن، ويَنْفطرن، وتَنْفَطرن، و"تتفطَّرْن".

٢ – قال ابن مجاهد في آية مريم (٩٠): "تكاد السماوات يتفطرن منه" ما نصه: "قرأ ابن كثير في السورتين جميعا تكاد.. تنفطّرن بالتاء، مشددة الطاء. وقرأ عاصم وأبو عمرو: ينفطرن.. وعن حفص عن عاصم: يتفطَّرْن.. ونافع والكسائي: يكاد.. تتفطَّرن بالتاء مشددة الطاء في الموضعين جميعا. وقرأ حمزة في مريم مثل أبي عمرو، وفي عسق مثل ابن كثير، وابن عامر فيهما مثل حمزة"[٢].

فلو صح ما جاء في السبعة يكون ثلاثة من السبعة، وهم ابن كثير ونافع والكسائي قد قرأوا بالتاء والنون: تنفطرن في آيتي مريم والشورى.

٣ – لم يثبت أبو حيان قراءة "تنفطرن" لأحد من القراء السبعة، وإنما أثبت لهم يتفطَّرن ويَنْفطرن، وذلك عند ذكره القراءات في آية مريم[٣].

---

(١) الحجة ص ٣١٨.

(٢) السبعة ص ٤١٢، ٤١٣.

(٣) البحر ٦/٢١٨.

٤ – أثبت أبو حيان قراءة لأبي عمرو رواها يونس عنه وهي تتفطَّرْن بتاءين مع النون وذلك عند ذكره القراءات في آية الشورى[١].

٥ – ذكر ابن خالويه في آية الشورى أن قراءة أبي عمرو هي : تنفطرن. وعلق عليها قائلا : هذا حرف نادر لأن العرب لم تجمع بين علامتي التأنيث.. وكان أبو عمر الزاهد روى في نوادر ابن الأعرابي الإبل تَسْمَنَّ، فأنكرناه، فقد قواه الآن هذا"[٢].

والخلاصة أن عددا من القراء قد قرأ آيتي مريم والشورى بالجمع بين تاء التأنيث ونون النسوة بصورتين اثنتين هما: تَتَفَطَّرن ، وتَنْفَطَرن، مما يدعم الاستعمال الحديث، ويجعل له أصلا في الاستعمال العربي القديم، وفي القراءات القرآنية.

وأخيراً فإن هناك عشرات القراءات الأخرى التي جاءت مؤيدة لصور من النطق الحديث ينبغي ألا يتحرج أحد في استخدامها، ومن ذلك:

١ – نطق كلمة "قرطاس" بضم القاف، كما قرئت في آية الأنعام (٧): "ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس"[٣].

٢ – نطق كلمة "نحاس" بكسر النون، كما قرئت في آية الرحمن (٣٥): "شواظ من نار ونحاس"[٤].

---

(١) البحر ٥٠٨/٧.

(٢) مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٤.

(٣) معجم القراءات القرآنية ٧١/٢.

(٤) السابق ٢٩/٥.

٣ – نطق كلمة "وُدّ" بكسر الواو، كما قرئت في آية مريم(٩٦): "سيجعل لهم الرحمن ودا"[١].

٤ – نطق كلمة "دخان" بتشديد الخاء، كما قرئت في آية الدخان (١٠): "يوم تأتي السماء بدخان مبين"[٢].

٥ – نطق كلمة "أربعين" بكسر الباء، كما قرئت في آية البقرة (٥١): "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة"[٣].

٦ – نطق كلمة "عفريت" بفتح العين، كما قرئت في آية النمل (٣٩): "قال عفريت من الجن"[٤].

٧ – نطق كلمة "الجهاز" بكسر الجيم، كما قرئت في آية يوسف (٥٩): "ولما جهزهم بجهازهم"[٥].

٨ – نطق كلمة "الجمعة" بسكون الميم، كما قرئت في آية الجمعة (٩): "إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة"[٦].

٩- نطق كلمة "سَيْناء" :"سِينا"، كما قرئت في قوله تعالى: "وشجرة تخرج من طور سيناء" (المؤمنون٢٠)[٧].

---

(١) السابق ١٨٤/٣.

(٢) إعراب القراءات الشواذ ٤٦١/٢.

(٣) البحر ٩٩/١.

(٤) السابق ٧٦/٧.

(٥) معجم القراءات القرآنية ٤٥٤/٢.

(٦) السابق ١٢٣/٥.

(٧) روح المعاني للألوسي ٢٢٤/١٨.

الفصل السادس

ضبط عين المضارع

من الماضي الثلاثي المجرد المفتوح العين:

نظرة جديدة في ضوء القراءات القرآنية

الفصـــل السادس

ضبـط عين المضارع
من الماضي الثلاثي المجرد المفتوح العين:
نظرة جديدة في ضوء القراءات القرآنية *

من أكثر الأخطاء الصرفية الشائعة في لغة المثقفين ضبط عين الفعل الثلاثي المجرد ضبطا صحيحا. وإذا كانت بعض المشكلات الصرفية لا تظهر إلا في الكتابة مما يعطي الكاتب فرصة المراجعة واستشارة أهل العلم، فإن ضبط عين هذا الفعل لا تظهر إلا في النطق، حيث لا فرصة أمام المتكلم ليتوقف عن الكلام حتى يتحقق من صحة الضبط.

وتحوي هذه المسألة من التشعيبات والتعقيدات ما جعل بعض الباحثين يعتبر ضبط عين الفعل الثلاثي المجرد كمينا منصوبا، ومظنة زلل مؤرقة، وقد ترتب على ذلك طائفة من وجوه الضبط الخاطئة التي صارت من أخطائنا اللغوية الشائعة[1].

وقد سبق في الدورتين السابعة والأربعين والثامنة والأربعين لمجمع اللغة العربية (١٩٨٠-١٩٨٢) أن تقدمت لجنة الأصول بدراسة للقضية[2] اقتصرت فيها على النقل عن أئمة العربية في العصور الماضية، وانتهت إلى جواز الانتقال من فتح العين في

---

* لم يسبق نشره.

(١) نهاد الموسى: في تاريخ العربية ص ٢٧.

(٢) هناك آراء ومذكرات متبادلة حول الموضوع ألحقناهما بالبحث.

في الماضي إلى الضم أو الكسر في المضارع، واشترطت ألا يستخدم الترخيص إلا حين لا يكون هناك نص صريح على باب الفعل، وألا يستخدم في تحرير المعاجم.

وشعّبت المذكرات المتعلقة بالموضوع جوانب القضية، لأنها أدخلت في الدراسة السالم والمضعف والمثال والأجوف والناقص، كما أنها اتخذت التعدي واللزوم أساسا للإلزام بالاتجاه نحو الكسر أو الضم، ولم تتخذه أساسا للترجيح فقط.

أما الدراسة التي أقدمها الآن فقد اقتصرت على الصحيح فقط من الأفعال لأن كلاًّ من الأجوف والناقص قد حمى نفسه بوجود الياء أو الواو فيه، كما اتخذت التعدي واللزوم أساسا للترجيح وليس للإلزام. وأهم من هذا وذاك أنها اعتمدت على الاستعمال الواقعي سواء بوروده في النص القرآني أو في القراءات التي قرئ بها. كما أنها استمدت أمثلتها من لغة المتحدثين بالفصحى في العصر الحديث.

والهدف من هذه الدراسة الخروج من خلال الاستقراء شبه التام لأمثلة هذا النوع من الأفعال في القراءات القرآنية - الخروج بقاعدة مطردة تسعف المتحدث حين يغمض عليه وجه الضبط، بدلا من ترك قول القدماء: إن مردّ هذا الضبط إلى السماع - سيفا مصلتا على رقبته.

وأبدأ بتقديم أمثلة مما التقطته من لغة المذيعين والمتحدثين بالفصحى، وهي أمثلة تكفي لبيان مدى الخلط والاضطراب الذي يتعرضون له:

١- حفَر يحفُر ، والصواب من باب ضرب.

٢- حفَل يحفُل ، والصواب من باب ضرب.

٣- حلَم يحلِم ، والصواب من باب نصر.

٤- رجَف يرجِف ، والصواب من باب نصر.

٥- سفَك يسفُك ، والصواب من باب ضرب.

٦- دعَم يدعُم ، والصواب من باب فتح.

٧- رهَن يرهِن ، والصواب من باب فتح.

٨- سنَح يسنُح ، والصواب من باب فتح.

٩- لحَن يلحِن ، والصواب من باب فتح.

١٠- هَرَب يهرَب ، والصواب من باب نصر.

١١- وآخر ما سمعته ما جاء في برنامج "حديث الروح" التليفزيوني بمناسبة موسم الحج لعام ١٤٢٠هـ: لنرجِمْ هذا الشيطان ، والصواب من باب نصر[1].

ولم يقتصر خطأ المثقفين على اختيار حركة الضبط، بل تجاوزه ليوقعهم في الاختلاف، والانتقال بين الكسر والضم دون وعي. ومن أمثلة الأفعال التي اختلفوا في نطقها:

١- قلبه مازال ينبِض، ينبُض.

٢- يرسُم ، يرسِم.

٣- يهدُف ، يهدِف.

٤- تحرُسه عناية الله ، تحرِسه.

٥- يسجِنه في بيته ، يسجُنه.

٦- يغلُب عليه كذا ، يغلِب.

٧- لابد أن يلفُظه المجتمع ، يلفِظه.

٨- لا نملُك دليلا على ذلك، لا نملِك.

---

(١) كان مرجعنا في تحديد الضبط معجمي: ديوان الأدب للفارابي، والقاموس المحيط للفيروزابادي.

٩- ينبُذ العنف ، ينبِذ.

١٠- كل من ينشُد خدمة الوطن، ينشِد.

١١- تهدُم أربعة منازل ، تهدِم.

١٢- تنقُلها وسائل الإعلام ، تنقِلها.

١٣- وما يعقُبه من استخدام القوة ، وما يعقِبه.

١٤- يرجُف ، يرجِف.

١٥- يقطُف ، يقطِف.

١٦- يكتُم ، يكتِم.

والملاحظ أن معظم الأخطاء، أو الاضطراب في الضبط قد جاء نتيجة الخلط بين بابي ضَرَب ونَصَر، وبعضها جاء نتيجة الخطأ في باب فَعَل يفعَل.

وإذا كان الخطأ في الباب الأخير يسهل تقويمه من خلال قاعدة حرف الحلق التي تطرد في كل الأفعال التي جاءت من باب فَعَل يَفْعَل، وهي ضرورة أن تشتمل على أحد حروف الحلق الستة (الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء) في موضع العين أو اللام[1]، فإن الخطأ في بابي ضرب ونصر ليس هناك من سبيل إلى تقويمه - لو التزمنا برأي القدماء - إلا من خلال السماع الصحيح، والرجوع إلى المعاجم.

ويلفت نظر الدارس للقراءات القرآنية شيوع التبادل فيها بين بابي ضرب ونصر، ويشمل ذلك العديد من القراءات السبعية والعشرية والشاذة.

---

(١) يجب أن نتنبه إلى عدم صحة العكس، بمعنى أنه ليس ضروريا أن يكون كل فعل حلقي العين أو اللام من باب فعَل يفعَل.

فمما جاء من القراءات السبعية:

١- (بطش): قرأ نافع قوله تعالى: أم لهم أيد يبْطِشون بها (الأعراف ١٩٥): بضم الطاء في يبطشون[١].

٢- (طمث): قرأ الكسائي قوله تعالى: لم يطمِثْهن إنس قبلهم ولا جان (الرحمن ٥٦): بضم الميم في يطمثهن[٢].

٣- (عتل): قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو قوله تعالى: خذوه فاعتِلوه إلى سواء الجحيم (الدخان ٤٧): بضم التاء[٣].

٤- (عرش): قرأ عاصم وابن عامر قوله تعالى: وما كانوا يعرِشون (الأعراف ١٣٧): بضم الراء[٤].

٥- (عزب): قرأ الكسائي قوله تعالى: ومايعزُب عن ربك من مثقال ذرة (يونس ٦١): بكسر الزاي[٥].

٦- (عكف): قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو قوله تعالى: فأتوا على قوم يعكُفون على أصنام لهم (الأعراف ١٣٨): بكسر الكاف[٦].

---

(١) معجم القراءات القرآنية ٢/٢٤٦.

(٢) السابق ٥/٣٢.

(٣)السابق ٤/٣٨٢.

(٤) السابق ٢/٢١٢.

(٥) السابق ٢/٣٥٨.

(٦) السابق ٢/٢١٣.

٧- (قتر): قرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتُروا (الفرقان ٦٧): بكسر القاف[١].

٨- (لمز): قرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى: ومنهم من يلمزك في الصدقات (التوبة ٥٨): بضم الميم[٢].

٩- (نشز): قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي قوله تعالى: وإذا قيل انشُزوا فانشُزوا (المجادلة ١١): بكسر الشين في الفعلين[٣].

ومما قرئ بالوجهين كذلك في غير السبعة:

١- (أسر): قرأ أبو حيوة قوله تعالى: فريقا تقتلون وتأسِرون فريقا (الأحزاب ٢٦): بضم السين[٤].

٢- (حسد): قرأ عيسى بن سليمان قوله تعالى: أم يحسُدون الناس على ما آتاهم الله (النساء ٥٤): بكسر السين[٥].

٣- (حشر): قرأ الأعرج في كل القرآن، ومنه قوله تعالى: ويوم يحشُرهم وما يعبدون من دون الله (الفرقان ١٧): بكسر الشين[٦].

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٣/٤١٤.

(٢) السابق ٢/٣٠٣.

(٣) السابق ٥/٨٠.

(٤)السابق ٤/٨٦.

(٥) السابق ١/٥١٦.

(٦)السابق ٣/٣٩٧.

٤- (خرق): قرأ الجراح الأعرابي قوله تعالى: إنك لن تخرِق الأرض (الإسراء ٣٧): بضم الراء[1].

٥- (درس):قرأ أبو حيوة قوله تعالى:وبما كنتم تدرُسون (آل عمران ٧٩): بكسر الراء[2].

٦- (رشد): قرأ أبو حيوة وإبراهيم بن أبي عبلة قوله تعالى: وليؤمنوا بي لعلهم يرشُدون (البقرة ١٨٦): بكسر الشين[3].

٧- (سبت): قرأ عاصم والمطوعي وعيسى بن عمر قوله تعالى: ويوم لايسبِتون لا تأتيهم (الأعراف ١٦٣): بضم الباء[4].

٨- (سبق): قرأ بعضهم قوله تعالى: لا يسبِقونه بالقول (الأنبياء ٢٧): بضم الباء[5].

٩- (سفك): قرأ أبو حيوة وإبراهيم بن أبي عبلة قوله تعالى: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفِك الدماء (البقرة ٣٠): بضم الفاء[6].

١٠- (صدف): قرأت فرقة قوله تعالى : بما كانوا يصدِفون (الأنعام ١٥٧): بضم الدال[7].

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٦٠/٣.

(٢) البحر المحيط ٥٠٦/٢.

(٣) معجم القراءات القرآنية ٢٩٠/١.

(٤) السابق ٢٣٠/٢.

(٥) السابق ٢٥٥/٣.

(٦) السابق ١٨٥/١.

(٧) البحر المحيط ٢٥٨/٤.

١١- (صلب): قرأ حميد المكي وابن محيصن والحسن قوله تعالى: ثم لأصلِّبنّكم أجمعين (الأعراف ١٢٤): لأَصْلبنَّكم، بكسر اللام وضمها[١].

١٢- (طمس):قرأ أبو رجاء قوله تعالى:من قبل أن نطمِس وجوها (النساء ٤٧): بضم الميم[٢].

١٣- (طهر): قرأ ابو عبد الرحمن المقرئ قوله تعالى: ولا تقربوهن حتى يطهُرن (البقرة ٢٢٢): بكسر الهاء[٣].

١٤- (عرج): قرأ المطوعي والأعمش وأبو حيوة قوله تعالى: فظلوا فيه يعرُجون (الحجر ١٤): بكسر الراء[٤].

١٥- (عزر):قرأ الجحدري قوله تعالى: وتعزّروه وتوقروه (الفتح ٩): وتَعْزروه، بضم الراء وكسرها[٥].

١٦- (عضل): قرأ نعيم بن ميسرة قوله تعالى: فلا تعضُلوهن أن ينكحن أزواجهن (البقرة ٢٣٢) بكسر الضاد[٦].

١٧- (فرغ): قرأ عيسى قوله تعالى : سنفرُغ لكم أيها الثقلان (الرحمن ٣١): بكسر الراء[٧].

---

(١) معجم القراءات القرآنية ٢٠٧/٢.

(٢) السابق ٥١٤/١.

(٣) السابق ٣١٥/١.

(٤) السابق ٥٢٧/٢.

(٥) السابق ٤٤٢/٤.

(٦) السابق ٣٢٠/١.

(٧) السابق ٢٧/٥.

١٨- (فرق): قرأ عبيد بن عمير ويوسف بن داود قوله تعالى: فافرُق بيننا وبين القوم الفاسقين (المائدة ٢٥): بكسر الراء[١].

١٩- (فسق): قرأ أبو حيوة والأعمش قوله تعالى: بما كانوا يفسُقون (العنكبوت ٣٤): بكسر السين[٢].

٢٠- (كنز): قرأ يحيى بن يعمر وأبو السمال قوله تعالى: والذين يكنِزون الذهب الفضة.. هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنِزون (التوبة ٣٤، ٣٥) بضم النون في الآيتين[٣].

٢١- (نزف): قرأ ابن أبي إسحاق الفعل يُنْزَفون في قوله تعالى : ولا هم عنها يُنْزَفون (الصافات ٤٧) : يَنْزِفون بكسر الزاي، وقرأه طلحة بن مصرف بضم الزاي[٤].

٢٢- (نسف): قرأ عيسى وأبو رجاء قوله تعالى: لنحرّقنه ثم لننسِفَنّه (طه ٩٧): بضم السين[٥].

٢٣- (نسل): قرأ ابن أبي إسحاق وأبو السمال قوله تعالى: وهم من كل حَدَب ينسِلون (الأنبياء ٩٦): بضم السين[٦].

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٢/١٨.

(٢)السابق ٤/١٦.

(٣) السابق ٢/٢٩٢، ٢٩٣.

(٤) السابق ٤/٢٠١، ٢٠٢.

(٥) السابق ٣/٢٣٣.

(٦) السابق ٣/٢٧٤.

٢٤- (نعق): قرأ بعض القراء قوله تعالى: كمثل الذي ينعِق بما لا يسمع (البقـرة ١٧١): بضم العين[١].

٢٥-(نكث) : قـرأ أبـو حيـوة قولـه تعـالى : إذا هـم ينكُثـون (الزخـرف ٥٠): بكسـر الكاف[٢].

٢٦- (نكص): قرأ على بن أبي طالب وابن مسعود قولـه تعـالى: فكنتـم علـى أعقـابكم تنكِصون (المؤمنون ٦٦): بضم الكاف[٣].

٢٧- (هبط): قرأ محمد بن مُصَفًّى، وأبو حيوة قوله تعالى : وقلنا اهبِطوا بعضكم لبعض عدو (البقرة ٣٦): بضم الباء[٤].

وإلى جانب شيوع هذا التبادل – كما رأينـا – فـي الأفعـال السـالمة[٥] نجـده كذلك – ولكن بصورة اقل في الأفعال المضاعفة مثل:

١- (حسّ): قرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة وأبو جعفر المدني قوله تعالى: هل تُحِسّ منهم من أحد (مريم ٩٨): بفتح التاء وضم الحاء، وقرأهـا آخـرون بفتـح التـاء وكسر الحاء[٦].

٢- (حلّ): قرأ بعض القراء قوله تعالى: ويحِلّ عليه عذاب مقيم (هود ٣٩): بضم

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٢٧٩/١.

(٢) السابق ٣٥٨/٤.

(٣) السابق ٢٣٧/٣.

(٤) السابق ١٩٢/١.

(٥) وهي الخالية من حروف العلة ومن الهمزة والتضعيف.

(٦) معجم القراءات القرآنية ١٨٤/٣، ١٨٥.

الحاء[1].

٣- (صدّ): قرأ جمهور من القراء على رأسهم نافع وابن عامر والكسائي وعاصم وأبو جعفر وخلف والحسن والأعمش وغيرهم - قوله تعالى: إذا قومك منه يصِدّون (الزخرف ٥٧): بضم الصاد[2].

٤- (ضرّ): قرأ المطوعي قوله تعالى: فلن يضرّ الله شيئا (آل عمران ١٤٤): بكسر الضاد[3].

٥- (هشّ): قرأ النخعي وأبو البرهسم قوله تعالى: وأهُشّ بها على غنمي (طه ١٨): بكسر الهاء[4].

وليس التبادل بين الكسر والضم مقصوراً على الأفعال ، بل انعكس كذلك في أسماء الزمان والمكان التي وقع التبادل فيها في القرآن بين صيغتي "مَفْعَل"، و"مَفْعِل"[5]، مما يمكن تفسيره على أنه من باب التبادل بين الكسر والضم في المضارع.

ومن أمثلة هذا التبادل في القراءات السبعية:

١- (سكن): قرأ الكسائي قوله تعالى: لقد كان لسبأ في مَسْكَنِهِمْ آية جنتان (سبأ ١٥):

---

(١) معجم القراءات القرآنية ٢/٣٨٦.

(٢) السابق ٤/٣٦١.

(٣) السابق ١/٤٤٤.

(٤) السابق ٣/١٩٨.

(٥) يأتيان على مَفْعِل إذا كانت عين المضارع مكسورة، وعلى مَفْعَل إذا كانت مفتوحة أو مضمومة.

بكسر الكاف[١].

٢- (طلع): قرأ الكسائي قوله تعالى: سلام هي حتى مَطْلَع الفجر (القدر ٥): بكسر اللام[٢].

٣- (نسك): قرأ الكسائي وحمزة قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا مَنْسَكا (الحج ٣٤): بكسر السين[٣].

ومن أمثلته في القراءات الشاذة:

١- (جمع): قرأ الضحاك وعبد الله بن مسلم قوله تعالى: حتى أبلغ مجمع البحرين (الكهف ٦٠): بكسر الميم الثانية[٤] (لاحظ أنه من التبادل بين بابي: فَعَل يفعَل، ويفعِل).

٢- (صرف): قرأ زيد بن علي قوله تعالى: ولم يجدوا عنها مصرفا (الكهف ٥٣): بفتح الراء[٥].

٣- (طلع): قرأ ابن كثير- في رواية – وابن محيصن والحسن وعيسى ومجاهد قوله تعالى: حتى إذا بلغ مطلع الشمس (الكهف ٩٠): بفتح اللام[٦].

٤- (فرّ): قرأ الحسن وابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن بن زيد وقتادة وعيسى وابن

---

(١) معجم القراءات القرآنية ١١٧/٤.

(٢) السابق ٤٤٣/٥.

(٣) السابق ٣٠٠/٣.

(٤) السابق ١١٧/٣.

(٥) السابق ١١٤/٣.

(٦) السابق ١٣٢/٣.

أبي إسحاق وغيرهم – قوله تعالى: يقول الإنسان يومئذ أين المَفَرّ (القيامة ١٠): بكسر الفاء[١].

بل أكثر من هذا جاء النص القرآني في عدد من الآيات على خلاف القاعدة، مما يعني وجود تبادل بين البابين، كقوله تعالى: فولّ وجهك شطر المسجِد الحرام (البقرة ١٤٤)؛ مع أن فعله يسجُد – بضم الجيم – ولم ينقل عن أحد من القراء فتحها طبقًا للقاعدة. وكقوله تعالى: ولله المشرق والمغرِب (البقرة ١١٥)، مع أن فعله يغرب – بضم الراء – ولم ينقل الفتح عن أحد من القراء.

وإذا كان مجموع ما ورد من البابين مما قرئ به خمسين فعلا ، فهناك قائمة أخرى طويلة من الأفعال ذكرها ابن دريد في الجمهرة[٢]، منها: يحشد، وينفر، ويشتم، ويخلق، ويقدر، ويعرض، ويقنط .. وقد نقلها جميعا عن أبي عبيدة.

وسواء صح ما يقوله الدكتور إبراهيم أنيس من أن الضم لغة بدوية، والكسر لغة حضرية[٣]، أو ما تذكره المراجع من أن الكسر لغة أسد والضم لغة بقية العرب[٤]، أوأن الكسر لغة الحجاز والضم لغة تميم[٥]، فإننا نقترح – من باب التيسير – تعميم الكسر والضم في كل فعل صحيح جاء ماضيه مفتوحَ العين (باستثناء ما كان حلقي العين أو اللام). ويؤيد هذا الاتجاه ما ذكره القدماء من أن ضم عين الفعل وكسرَها في

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٢٤٩/٥.

(٢) ١٢٧٤/٣.

(٣) في اللهجات العربية ص ٩١.

(٤) الإتحاف ص ٢٨٩.

(٥) منهج أبي عمرو بن العلاء ص ٦١. ويؤيد هذا ميل الحجازيين إلى الكسر في كلمات أخرى مثل أُسوة التي كانوا ينطقونها بكسر الهمزة، وعليها القراءة المعروفة.

في المضارع – إذا كان الماضي مفتوح العين – لغتان فاشيتان مشهورتان[١]، وما نص عليه ابن خالويه من أن "كلٌ فعل انفتحت عين ماضيه جاز كسرها وضمها في المضارع قياسا إلا أن يمنع السماع من ذلك"[٢]وإن كان قوله: "إلا أن يمنع السماع من ذلك" يبطل كونه قياسا. وأدق من عبارة ابن خالويه ما نص عليه الرضي في شرحه على الشافية من أن "قياسَ مضارعِ فَعَل المفتوحِ عينُه إما الضم أو الكسر. وتعدى بعض النحاة، وهو أبو زيد[٣]، هذا، وقال: كلاهما قياس، وليس أحدهما أولى به من الآخر، إلا أنه ربما يكثر أحدهما في عادة ألفاظ الناس حتى يُطرح الآخر. فإن عُرف الاستعمال فذاك، وإلا استعملا معا، وليس على المستعمل شيء[٤]. ويضاف إلى هذا ما قاله الفيروزابادي في مقدمة معجمه "القاموس المحيط" تعقيبا على حديثه عن بابي نصر وضرب: "على أني أذهب إلى ما قاله أبو زيد: إذا جاوزْتَ المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فَعَل فأنت في المستقبل بالخيار: إن شئت قلت: يفعُل بضم العين، وإن شئت قلت يفعِل بكسرها".

ويمكننا – في الوقت نفسه – أن نتخذ التعديَ واللزوم معيارا للترجيح، فنتجه في السالم إلى ضم عين المضارع إذا كان الفعل لازما، وإلى كسرها إذا كان متعديا. يقول ابن جني في الخصائص: "ضرب يضرِب أقيس من قتل يقتُل ... ويفعُل فيما

---

(١) السابق ص ٤٨.

(٢) الحجة ص ١٦٢.

(٣) يقول أبو زيد: طفت سافلة قيس، وعالية تميم فلم أجد أحدا يفصل بين الفعل المضارع المكسور العين والمضموما، ولم أجد له حصرا، فكل يتكلم على مراده من ضم أو كسر (الجاسوس على القاموس ص ١٨٣).

(٤) ١/١١٧، ١١٨.

ماضيه فَعَل في غير المتعدي أقيس من يفعِل ... وذلك أن يفعُل إنما هي في الأصل لما لا يتعدى، نحو كرُم يكرُم .. فإذا كان كذلك كان أن يكونَ في غير المتعدى فيما ماضيه فَعَل أولى وأقيس"(١) ويقول أبو جعفر النحاس معلقا على القراءتين في "يعزب": "لو جاز أن يقع اختيار في هذا المكان لكان الضم أولى لأنه فِعْلٌ لا يتعدى مثل قعد يقعد؛ لأن الأكثر في كلام العرب فيما لا يتعدى أن يأتي مضموما، وفيما يتعدى أن يأتي مكسورا مثل ضرب يضرب(٢)".

ولكن جاء الاختيار على خلاف ذلك في المضاعف، فجاء الضم في المتعدي، والكسر في اللازم. يقول ابن الحاجب في الشافية: "ولزموا الضم في المضاعف المتعدي .. وما كان لازما فإنه يأتي على يفعِل .. إلا ماشذ"(٣). ويتناول ابن جني القضية بصورة أكثر تفصيلا فيقول: "فإن قيل: فكيف ذلك ونحن نعلم أن يفعُل في المضاعف المتعدي أكثر من يفعِل نحو شدّه يشُدّه، ومدّه يمُدّه، وقَدّه يقُدُّه، وجزّه يجُزُّه، وعزّه يعُزُّه، وأزّه يؤُزُّه، وعمّه يعُمُّه، وأمّه يؤمُّه.. ويفعِل في المضاعف قليل محفوظ، نحو هدّه يهِدُّه، وعلّه يعِلُّه، وأحرف قليلة - قيل: إنما جاز هذا في المضاعف لاعتلاله، والمعتلّ كثيرا ما يأتي مخالفا للصحيح"(٤). ويقول الفارابي مذيلا باب فَعل يفعِل في المضاعف: " وهذا الباب لا يجيء متعديا إلى مفعول إلا في أحرف متعددة، وهي بته يبِته ويبُته، وعلّه في الشراب يعِلّه ويعُلّه، ونمّ الحديث ينِمّه وينُمه، وشدّه يشِدّه ويشُدّه،

---

(١) ٣٧٩/١.

(٢) إعراب القرآن ٣٧٩/٤.

(٣) ١٣٤/١.

(٤) الخصائص ٣٩٧/١، ٣٨٠.

وحبه يَحِبّه .. وهذه وحدها بلغة واحدة، وهي شاذة. وإنما سهّل تعديَ هذه الأحرف إلى مفعول اشتراكُ الضم والكسر فيهن[١].

ويُستثنى من قاعدة المخالفة إلى الضم أو الكسر ما كان حلقي العين أو اللام من الأفعال فهذا يحتفظ بفتح عينه في المضارع كما في الماضي - ما عدا أفعالا قليلة جاءت على أصلها مثل رجع يرجع، وصلَح يصلُح، يقول الفارابي: "فأما المفتوح العين في الماضي والمستقبل فهو لا يقوم إلا أن يكون فيه أحد حروف الحلق في موضع العين أو اللام"[٢].

والخلاصة أننا نقترح صياغة قاعدة على النحو التالي:

١- ما كان مفتوحَ العين في الماضي جاز في مضارعه الضمُّ والكسر، مع ترجيح الكسر في السالِم المتعدي، والمضاعفِ اللازم، وترجيح الضم في السالم اللازم، والمضاعف المتعدي.

٢- تُفتح عين الفعل في كل من الماضي والمضارع إذا وجد في موضع العين أو اللام أحد حروف الحلق.

مع النصح دائما بالتزام ما نقل عن العرب في الأفعال التي لا يختلف المثقفون في نطقها.

---

(١) ديوان الأدب ١٤٥/٣.

(٢) السابق ١٣٨/٢.

مراجع البحث

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي.

٢- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس.

٣- الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق.

٤- الجمهرة لابن دريد.

٥- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه.

٦- الخصائص لابن جنى.

٧- ديوان الأدب للفارابي.

٨- شرح شافية ابن الحاجب للرضي.

٩- العربية الصحيحة لأحمد مختار عمر.

١٠- في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس.

١١- القاموس المحيط للفيروزابادي.

١٢- معجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمر وعبد العال سالم.

١٣- منهج أبي عمرو بن العلاء لمحمود عثمان أبو سمرة.

مرفقات البحث

١- بحث للمرحوم الأستاذ محمد شوقي أمين عن ضبط عين المضارع من ماضي الثلاثي المفتوح العين.

٢- قرار لجنة الأصول بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

في تصريف الأفعال

ضبط عين المضارع من ماضي الثلاثي المفتوح العين

بحث، بقلم: محمد شوقي أمين

عضو المجمع

١- الفعل الثلاثي المجرد كثير الأبواب، فإن عين ماضيه أو مضارعه نهب للحركات الثلاث، ومن ثم كان الضبط له غير ميسور، واللحن فيه غير مأمون. وكان التدبير معه اللياذ بالمعجمات للتثبت والاستيثاق.

وما بنا أن نقتحم العقبة بوثبة، فحسبنا هذه العجالة أن نعالج جانبا منها، هو باب فَعَل المفتوح العين، وليس من شك في أنه أكثر الأبواب عدد ألفاظ.

٢- وعلى وفرة ما أفاض فيه النحاة في هذا الباب، أرى أن "الخضري" قد أوجز ضوابطه وأحكمها في قوله: "فعل المفتوح العين قياس مضارعه يفعِل بالكسر كَضَرب يَضْرِب أو الضم كنصر ينصُر، فيخير بينهما، إذا لم يشتهر أحدهما، وشذّ الفتح في أبى يأبى وسلى يسلى. إلا إذا كان حلقي العين أو اللام، فقياسه الفتح كسأل يسأل، ومنع يمنع. ويتعين الكسر في يائي أحدهما كباع يبيع ورمى يرمي، والضم في واويه كقال يقول ودعا يدعو".

٣- وبالرجوع إلى المظان النحوية المبسوطة، يتبين لنا أن "أبا زيد" بين متقدمي النحاة، - وهو من لقَّبه "سيبويه" بالثقة، هداه التقصي إلى أن يجهر بقوله: "طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب، صغيرهم وكبيرهم، لأعرف ما كان منه بالضم أولى وما كان منه بالكسر، فلم أعرف لذلك قياسا، وإنما يتكلم به كل امرئ على ما يستحسن وما يستخف، لا على غير ذلك".

ولم يجترئ "أبو زيد" بهذا الإخبار الذي كان ثمرة تقصّيه، بل أصدر حكما في قوله: إذا جاوزت المشاهير من الأفعال نحو دخل وضرب، وما أشبه ذلك من مشهور الكلام، فقل إن شئت يفعِل وان شئت يفعُل، إلا ما كانت عينه أو لامه من حروف الحلق فإنه يأتي على فعل يفعَل، وربما جاء على يفعُل ويفعِل".

٤- ولم ينفرد "أبو زيد" بهذه المقالة، فقد حكى عن محمد بن يزيد المبرد، وأحمد بن يحيى ثعلب أنه يجوز الوجهان في مستقبل فعل في جميع الباب. ونقل عن "أبي علي الفارسي" قوله: "هذان المثالان – يعنى يفعُل ويفعِل – جاريان على السواء في الغلبة والكثرة".

وكان "أبو الحسن الأخفش" يرى أن يفعِل بالكسر أغلب من يفعُل بالضم، فعقب عليه "الفارسي" بأن ذلك ظن منه، إنما توهم ذلك من أجل الخفة، فحكم بأن يفعِل أكثر من يفعُل، ولا سبيل إلى حصر ذلك، ليعلم أيهما أكثر وأغلب، غير أننا وجدنا الكسر أفصح للخفة. ويقول "ابن سيده": "وأما فعل فمستقبله يجيء على يفعُل ويفعِل، ويكثران فيه، حتى قال بعض النحويين إنه ليس أحدهما أولى به من الآخر، فإنه ربما يكثر أحدهما في عادة ألفاظ الناس حتى يطرح الآخر ويقبح استعماله". وبعد أن أورد "ابن سيده" جملة من الأفعال، قال: "وأشباه هذا في الكلام كثير جدا، ولكنني ذكرت منه عامة ليدلك على أن المثالين يكثران في هذا الباب، وجعلت لك تعاقبهما على الكلمة الواحدة دليلا على كثرتهما واشتراكهما في هذا البناء".

تلك أقوال متقدمي النحاة في هذا الباب، وقد اعتمدها متأخروهم، فتناقلوها منسوبة أو غير منسوبة، مبسوطة أو مجملة، في شرح الشافية وشرح المفصل وغيرهما من الشروح والحواشي.

٥- بقي في باب فعل ما كانت عينه أو لامه حرف حلق، فقد تواردت أقوال النحاة على أن المضارع منه على يفعَل بفتح العين، وعللوا ذلك بأن العرب إنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيِّزها، وهو الألف، فإذا كانت حروف الحلق عينات أو لامات ثقل عليهم الضم والكسر، وإن فتحوا فالفتحة من الحلق، على أنهم يكررون التعبير بأن ذلك جاء على غير الأصل، الذي هو الضم أو الكسر. حتى إن "ابن سيده" يقول: "قد يكون الآتي من فَعَل يفعَل إذا كانت لامه أو عينه حرف حلق، وليس هذا الموضع كليا، فقد يجيء بعض ذلك على الأصل، وذلك كثير". وبعد أن يسوق "ابن سيده" طائفة مما جاء مضموما، وحقه الفتح، أو ما جاء فيه الاشتراك، قال: "ولعله قد حكى غير هذا، فإن المجيء على القياس والأصول لا يحاط به، وإنما يحصر النادر من هذا الضرب".

٦- ولنا بعد هذا الذي أسلفناه، من أقوال فقهاء اللغة وصيارفتها، وما هدى إليه الإحصاء والاستقصاء لألفاظها، أن نأنس برفع الحرج عن عين مضارع فعل المفتوح العين، على النحو الآتي:

باب فعَل المفتوح العين يجوز في مضارعه ضم العين وكسرها، باستثناء:

أ- ما شاع بين المتكلمين، فلا يكادون يخطئون في ضبطه، مثل: يضرب ويقتل ، فيبقى على الوجه الشائع.

ب- ما اشتهر من ألفاظ حلقية العين أو اللام، فيؤثر فيها الفتح المشهور، كيسبح وينجح.

ج- ما كان واوي العين أو اللام كقال ودعا، أو كان لمعنى التغلب مثل خصمته أخصمه، فقياسه الضم. وما كان واوي الفاء كوعد أو يائي العين أو اللام، كباع ورمى، فقياسه الكسر.

ويلاحظ أن الخطب في هذه المستثنيات هين، إذ أن مُدرَكَها مألوف قريب.

صيغة قرار ضبط عين مضارع
فعل المفتوح العين

تدارست اللجنة ما قدم في الموضوع من مذكرات وما عرض عليها من مقترحات، ورأت أن جمهرة من اللغويين والنحاة كأبي زيد والمبرد وثعلب وابن درستويه وأبي على الفارسي وغيرهم يقولون بجواز ضم مضارع فعل وكسره فيما لم يشتهر من الأفعال، ويستأنس في الجواز بأن الكسر والضم يتعاقبان في الفعل الواحد كثيرا، **ولهذا تقترح اللجنة ما يأتي:**

يجوز في مضارع فعل المفتوح العين ضم عينه وكسرها باستثناء:

أ- ما شاع بين المتكلمين، فلا يكادون يخطئون فيه مثل: يضرب ويقتل، فيبقى على الوجه الشائع.

ب- ما اشتهر من ألفاظ حلقية العين أو اللام بالفتح فيؤثر فيها الفتح المشهورمثل: فتح يفتح وسبح يسبح ووضع يضع ورأى يرى ونأى ينأى.

ج- ما كان واوي العين أو اللام كقال ودعا والمضاعف كمد، وما كان لمعنى التغليب مثل خصمته أخصمه، فالباب فيه الضم.

د- ما كان واوي الفاء كوعد أو يائي العين أو اللام، كباع ورمى، والمضاعف اللازم مثل: حن فالباب فيه الكسر.

وترى اللجنة:

أولا: ألا يتبع ذلك في تحرير المعاجم .

ثانيا: ألا يرخص في استعمالها للمتكلم العادي إلا حين لا يكون هناك نص صريح على باب الفعل الذي نريد أن نترخص في ضبطه.

الفصل السابع

تعدد الجموع للمفرد الواحد

في القرآن الكريم

الفصل السابع

تعدد الجموع للمفرد الواحد في القرآن الكريم*

لفت نظري أثناء اشتغالي بإعداد معجم لألفاظ القرآن الكريم كثرة الألفاظ الدالة على الجمعية في القرآن الكريم، من ناحية، وتنوعها الواضح من ناحية أخرى. وقد غطى هذا التنوع كل الأشكال التي تعرفها اللغة العربية، وهي جمع التكسير(بأنواعه المعروفة: جمع القلة[١] ،وجمع الكثرة[٢] ،وصيغة منتهى الجموع[٣]، وجمع الجمع [٤])،وجمع المذكر السالم وملحقه [٥]،وجمع المؤنث السالم وملحقه [٦]، واسم الجمع [٧] ،واسم الجنس الجمعي[٨]،واسم الجنس الإفرادي[٩].

كما لفت نظري كثرة المفردات التي تعددت جموعها في القرآن الكريم، سواء وقعت جميعها تحت جموع التكسير، أو ضمت إلى ذلك أحد الجمعين السالمين، أو كليهما.

وقبل أن أقدم دراستي حول أسباب تعدد الجموع للمفرد الواحد في القرآن الكريم، والنتائج التي توصلت إليها في ذلك- أحب أن أقدم بين يدي البحث قائمة بهذه المفردات مع بيان ما ورد لها من جموع في القرآن الكريم، علما بأن البحث قد اقتصر على المفردات التي جمعت جمع تكسير فقط، أو ضمت إلى ذلك أحد الجمعين السالمين أو كليهما.

---

*لم يسبق نشره.

وقد رتبت القائمة ترتيبًا ألفبائيًّا حسب المفردات، ثم أتبعت كل لفظ مفرد ببيان ما ورد له من جموع، مع ذكر عدد مرات الورود لكل جمع، واقتباس مثال توضيحي على الأقل من القرآن الكريم. وتوسعت في القائمة فجعلتها تشمل كل المفردات التي جمعت جمع تكسير، سواء اقتصرت على ذلك، أو ضمت إليه اسم الجمع، أو أحد الجمعين السالمين، أو كليهما وإليكم هذه القائمة :

م	المفرد	الجمع	مرات الورود	أمثلة قرآنية
١	آخَر	أُخَر	٥	فعدة من أيام أخر (البقرة ١٨٥).
		آخرون/آخرين	٢٢	وآخرون اعترفوا بذنوبهم (التوبة ١٠٢).
٢	أخ	إخوان	٢٢	فأصبحتم بنعمته إخوانا (آل عمران ١٠٣).
		إخوة	٧	فإن كان له إخوة فلأمه السدس (النساء ١١).
٣	أسير	أُسارى	١	وإن يأتوكم أسارى تفادوهم (البقرة ٨٥).
		أَسْرى	٢	ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض (الأنفال ٦٧).
٤	أَلْف	آلاف	٢	يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة (آل عمران١٢٤).
		ألوف	١	خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت (البقرة٢٤٣).
٥	بَحْر	أبحر	١	والبحر يمده من بعده سبعة أبحر(لقمان ٢٧).
		بحار	٢	وإذا البحار سجّرت (التكوير ٦).
٦	بريء	بُرءاء	١	إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله (الممتحنة ٤).
		بريئون	١	أنتم بريئون مما أعمل (يونس ٤١).

م	المفرد	الجمع	مرات الورود	أمثـــلة قرآنيـــة
٧	بار/بَرّ	أبرار	٦	وتوفنا مع الأبرار (آل عمران ١٩٣).
		بررة	١	بأيدي سفرة. كرام بررة (عبس ١٥،١٦).
٨	ابن	أبناء	٢٢	يقتّلون أبناءكم ويستحيون نساءكم (الأعراف ١٤١).
		بنون/بنين	١٦	المال والبنون زينة الحياة الدنيا (الكهف ٤٦).
٩	جارية	جوارٍ	٣	ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (الشورى ٣٢).
		جاريات	١	فالجاريات يسرا (الذاريات ٣).
١٠	حافظ	حفظة	١	ويرسل عليكم حفظة (الأنعام ٦١).
		حافظون/حافظين	١١	وإنا له لحافظون (يوسف ١٢).
١١	حاكم	حُكّام	١	ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام (البقرة ١٨٨).
		حاكمين	٥	فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (الأعراف٨٧).
١٢	حمار	حُمُر	١	كأنهم حمر مستنفرة (المدثر ٥٠).
		حَمير	٢	إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (لقمان ١٩).
١٣	خبيثة	خبائث	٢	ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث (الأعراف١٥٧).
		خبيثات	٢	الخبيثات للخبيثين (النور ٢٦).
١٤	خازن	خَزَنة	٤	وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم (الزمر ٧١).
		خازنين	١	فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين (الحجر٢٢).
١٥	خاشع	خُشّع	١	خُشّعا أبصارهم يخرجون من الأجداث(القمر٧).
		خاشعون/ خاشعين	٦	الذين هم في صلاتهم خاشعون (المؤمنون ٢).

م	المفرد	الجمع	مرات الورود	أمثلة قرآنية
١٦	خطيئة	خطايا	٥	وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم (البقرة ٥٨).
		خطيئات	٢	وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم (الأعراف١٦١).
١٧	خليفة	خلائف	٤	وهو الذي جعلكم خلائف الأرض (الأنعام ١٦٥).
		خلفاء	٣	واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح(الأعراف٦٩).
١٨	خَيْر	أخيار	٢	وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (ص ٤٧).
		خَيْرات	١٠	فاستبقوا الخيرات (البقرة ١٤٨).
١٩	ذَكَر	ذُكران	٢	أو يزوجهم ذكرانا وإناثا (الشورى ٥٠).
		ذُكور	٢	يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (الشورى٤٩).
٢٠	راحم	رُحَماء	١	أشداء على الكفار رحماء بينهم (الفتح ٢٩).
		راحمين	٦	فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين (يوسف ٦٤).
٢١	أرذل	أراذل	١	وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا (هود ٢٧).
		أرذلون	١	أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (الشعراء ١١١).
٢٢	راسية	رواسٍ	٩	مدّ الأرض وجعل فيها رواسي (الرعد ٣).
		راسيات	١	وقدور راسيات (سبأ ١٣).
٢٣	راعٍ	رِعاء	١	لا نسقى حتى يصدر الرِّعاء (القصص ٢٣).
		راعون	٢	والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (المؤمنون ٨).

م	المفرد	الجمع	مرات الورود	أمثلــــة قرآنيـــــة
٢٤	راكع	رُكَّع	٣	طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود (البقرة١٢٥).
		راكعون/راكعين	٤	واركعوا مع الراكعين (البقرة ٤٣).
٢٥	زارع	زُرّاع	١	يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار (الفتح ٢٩).
		زارعون	١	أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (الواقعة ٦٤).
٢٦	ساجد	سُجّد	١١	وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة (البقرة ٥٨).
		سجود	٢	طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود (البقرة١٢٥).
		ساجدون/ساجدين	١١	الرّاكعون الساجدون الآمرون بالمعروف (التوبة١١٢).
٢٧	ساحر	سَحَرة	٨	وألقي السحرة ساجدين (الأعراف ١٢٠).
		ساحرون	١	ولا يفلح الساحرون (يونس ٧٧).
٢٨	سنبلة	سنابل	١	كمثل حبة أنبتت سبع سنابل (البقرة ٢٦١).
		سنبلات	٢	وسبع سنبلات خضر (يوسف ٤٣).
٢٩	سوار	أسورة	١	فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب (الزخرف ٥٣).
		أساور	٤	يحلون فيها من أساور من ذهب (الكهف ٣١).
٣٠	شتيت	أشتات	٢	يومئذ يصدر الناس أشتاتا (الزلزلة ٦).
		شتى	٣	تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى (الحشر ١٤).
٣١	شديد	أشدّاء	١	والذين معه أشداء على الكفار (الفتح ٢٩).
		شِداد	٣	عليها ملائكة غلاظ شداد (التحريم ٦).
٣٢	شافع	شفعاء	٥	أم اتخذوا من دون الله شفعاء (الزمر ٤٣).
		شافعين	٢	فما تنفعهم شفاعة الشافعين (المدثر ٤٨).

م	المفرد	الجمع	مرات الورود	أمثلة قرآنية
٣٣	شاهد	أشهاد	٢	ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم (هود ١٨).
		شهود	٣	ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا (يونس ٦١).
		شهداء	٢٠	وادعوا شهداءكم من دون الله (البقرة ٢٣).
		شاهدون/شاهدين	٩	أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون (الصافات ١٥٠).
٣٤	شهر	أشهر	٦	الحج أشهر معلومات (البقرة ١٩٧).
		شهور	١	إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا (التوبة ٣٦).
٣٥	شيعة	أشياع	٢	ولقد أهلكنا أشياعكم (القمر ٥١).
		شيع	٥	إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (الأنعام ١٥٩).
٣٦	صافّ	صوافّ	١	فاذكروا اسم الله عليها صواف (الحج٣٦).
		صافون	١	وإنا لنحن الصافون (الصافات ١٦٥).
		صافات	٣	والطير صافات (النور ٤١).
٣٧	ضعيف	ضعاف	١	لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا (النساء ٩).
		ضعفاء	٤	وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء (البقرة ٢٦٦).
٣٨	عبد	عباد	٩٧	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب (البقرة ١٨٦).
		عبيد	٥	وأن الله ليس بظلام للعبيد (آل عمران ١٨٢).
٣٩	عالم	علماء	٢	إنما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر ٢٨).
		عالمون/عالمين	٥	وما يعقلها إلا العالمون (العنكبوت ٤٣).
٤٠	أعلى	عُلَى	٢	فأولئك لهم الدرجات العلى (طه ٧٥).
		أعلَون	٢	ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون (آل عمران ١٣٩).

م	المفرد	الجمع	مرات الورود	أمثلة قرآنية
٤١	أعمى	عُمْي	٧	صُمٌّ بكم عمي فهم لا يرجعون (البقرة ١٨).
		عُميان	١	إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا (الفرقان ٧٣).
		عَمُون/عمين	٢	بل هم منها عمون (النمل ٦٦).
٤٢	عين	أعين	٢٢	ترى أعينهم تفيض من الدمع (المائدة٨٣).
		عيون	١٠	إن المتقين في جنات وعيون (الحجر٤٥).
٤٣	غُرْفة	غُرَف	٣	الذين اتقوا ربهم لهم غرف (الزمر ٢٠).
		غُرُفات	١	وهم في الغرفات آمنون (سبأ ٣٧).
٤٤	فتى	فتية	٢	إذ أوى الفتية إلى الكهف (الكهف ١٠).
		فتيان	١	وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم(يوسف ٦٢).
٤٥	فاجر	فُجّار	٣	أم نجعل المتقين كالفجار (ص ٢٨).
		فَجَرة	١	أولئك هم الكفرة الفجرة (عبس٤٢).
٤٦	قاعد/ قاعدة	قُعود	٣	الذين يذكرون الله قياما وقعودا (آل عمران ١٩١).
		قواعد	٣	والقواعد من النساء(النور٦٠)، وإذ يرفع إبراهيم القواعد (البقرة ١٢٧).
		قاعدون/قاعدين	٦	لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر (النساء ٩٥).
٤٧	أكبر	كُبَر	١	إنها لإحدى الكُبَر (المدثر ٣٥).
		أكابر	١	جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها (الأنعام ١٢٣).
٤٨	كافر/ كافرة	كفار	٢١	إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار (البقرة ١٦١).
		كَفَرة	١	أولئك هم الكفرة الفجرة (عبس ٤٢).
		كافرون/كافرين	١٢٩	والكافرون هم الظالمون (البقرة ٢٥٤).
		كوافر	١	ولا تمسكوا بعصم الكوافر (الممتحنة ١٠).

م	المفرد	الجمع	مرات الورود	أمثلة قرآنية
٤٩	كِنّ	أكنان	١	وجعل لكم من الجبال أكنانا (النحل ٨١).
		أكِنّة	٤	وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (الأنعام ٢٥).
٥٠	امرأة	نساء	٥٧	وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن (البقرة ٢٣١).
		نسوة	٢	وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها (يوسف٣٠).
٥١	ميت	أموات	٦	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم(البقرة ٢٨).
		موتى	١٧	كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته (البقرة ٧٣).
		ميتون/ ميتين	٣	ثم إنكم بعد ذلك لميتون (المؤمنون ١٥).
٥٢	نبيّ	أنبياء	٥	فلم تقتلون أنبياء الله من قبل (البقرة ٩١).
		نبيون/ نبيين	١٦	وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم (آل عمران ٨٤).
٥٣	نَصْب	أنصاب	١	إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس (المائدة٩٠).
		نُصُب	٢	وما ذبح على النصب (المائدة ٣).
٥٤	ناصر/ نصير	أنصار	١١	يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله (الصف ١٤).
		نصارى	١٤	وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى (البقرة ١١١).
		ناصرين	٨	وما لهم من ناصرين (آل عمران ٢٢).
٥٥	نعمة	أنعُم	٢	فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (النحل ١١٢).
		نِعَم	١	وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة (لقمان ٢٠).
٥٦	نفس	أنفس	١٥٣	وما يخدعون إلا أنفسهم (البقرة ٩).
		نفوس	٢	ربكم أعلم بما في نفوسكم (الإسراء ٢٥).

م	المفرد	الجمع	مرات الورود	أمثـــلة قرآنيـــة
٥٧	وارث	ورثة	١	واجعلني من ورثة جنة النعيم (الشعراء ٨٥).
		وارثون/وارثين	٥	رب لاتذرني فردا وأنت خير الوارثين (الأنبياء ٨٩).

وعلى الرغم من أن تعدد الجموع للمفرد الواحد ظاهرة شائعة في اللغة العربية، فإن استخدامها في نص واحد متجانس لا يمكن أن ينسب إلى اختلاف اللهجات، أو تعدد اللغات وحده، بل لابد أن يفتش وراء هذا الاستخدام عن أسباب فنية استوجبت اختيار الجمع المعين في الموقع المعين دون غيره، فما بالك إذا كان هذا النص قد استجمع كل مقومات البلاغة، وبلغ الذروة في إعجازه الفني، وهو القرآن الكريم.

وقد لفتت هذه الظاهرة نظر القدماء قبل أن تلفت نظر المعاصرين، وتناولها في ملاحظات سريعة قدامى المفسرين للقرآن، وبعض المؤلفين في علوم القرآن ، مثل الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، ولكن آراءهم خلت من الاستقصاء والتتبع من ناحية، ومن النظرة الكلية للموضوع من ناحية أخرى. كما تناولها بعض المعاصرين في عجالة سريعة، مثل إبراهيم السامرائي في كتابه "فقه اللغة"، وبعضهم في عرض شبه تفصيلي لكن دون استقصاء وتتبع، مثل فاضل السامرائي في كتابه "معاني الأبنية في العربية".

وقد سبق لي في كتابي "لغة القرآن" أن مسست القضية مسًّا خفيفا ضمن موضوع بعنوان "المفردة القرآنية" وقد شغلت خمس صفحات من الكتاب لا غير. أما الدراسة التي أقدمها للقارئ اليوم فأقل ما يقال فيها: إنها وضعت مادة الدراسة كلها أمام ناظريها، وإنها استفادت من علوم اللغة المختلفة في اكتناه أسرار النص القرآني، والتعرف على خصائصه الفنية واللغوية.

وينبغي أن أوجه النظر- أول الأمر - إلى أن ما جاء في القرآن من جموع تنتمي إلى جذر واحد ولكن تختلف مفرداتها- لا يدخل في اهتمام هذا البحث؛ لأن شرطه الأساسي اتحاد شكل المفرد مع تعدد الجموع. وعلى هذا لا يدخل في اهتمام البحث جموع، مثل: أتراب وترائب، لأن مفرد الأولى: تِرْب، ومفرد الثانية: تريبة، ولا مثل: حِداد وحُدود، لأن مفرد الأولى: حديد، ومفرد الثانية: حدّ، ولا مثل: جِنّ وجنة، لأن مفرد الأولى: جنّيّ، ومفرد الثانية: جانّ، ولا مثل: ظُلَل وظِلال، لأن مفرد الأولى: ظُلّة، ومفرد الثانية: ظِلّ، ولا مثل: أولاد ووِلْدان، لأن مفرد الأولى: وَلَد، ومفرد الثانية: وَليد، ولا مثل: حجارة وحجرات وحجور، لأن مفرد الأولى: حَجَر، ومفرد الثانية: حُجرة، ومفرد الثالثة: حِجْر.

أما الأسباب التي أدت إلى وجود هذه الظاهرة في القرآن الكريم فكثيرة ومتنوعة، كما أنها ليست أسبابا مانعة، فمن الممكن أن يجتمع أكثر من سبب في حالة واحدة. ويمكنني أن أبلور أهم هذه الأسباب فيما يأتي:

١ – التعبير عن القلة أو الكثرة

جاء اختلاف الجمعين – أحيانا – في القرآن الكريم للتعبير عن القلة، أو الكثرة. وقد سلك القرآن في ذلك أحد طرق ثلاثة هي :

أ – التعبير بجمع القلة في مقابل جمع الكثرة.

ب – التعبير بالجمع مقابل جمع الجمع.

ج – التعبير بالجمع السالم مقابل جمع التكسير .

وإليكم التمثيل والشرح :

أ- التعبير بجمع القلة في مقابل جمع الكثرة

١- *أَنْعُم ونِعَم*: وردت الأولى في آيتين هما : "فكفرت بأنعم الله" (النحل ١١٢)، و"شاكرًا لأنعمه" (النحل ١٢١)، ووردت الثانية في آية واحدة هي : "وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة" (لقمان ٢٠).

ويلاحظ أن الجمع "أنعم" جاء في سياق ملائم لمعنى القلة، لأنه يتحدث عن أهل قرية في إحدى الآيتين وعن شخص واحد هو إبراهيم عليه السلام في الآية الأخرى. والعدد المحدود من البشر يناسبه العدد المحدود من النعم. لأنه ليس في مقدور أحد أن يحصي نعم الله جميعا حتى يشكرها أو يكفر بها مصداقا لقوله تعالى "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" (النحل ١٨). وأما آية لقمان فالخطاب فيها عام لكافة البشر فجاء ذكر النعمة فيها في صيغة جمع الكثرة الذي يدل على كثرة نعمه تعالى وأفضاله على الناس[١٠].

٢- *آلاف وألوف* : وردت كلمة "ألوف" في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت" (البقرة ٢٤٣)، ووردت كلمة آلاف مرتين هما: " أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة" (آل عمران ١٢٤)، و"يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة" (آل عمران ١٢٥).

والفرق بين الاستعمالين واضح في الآيات، فقد استخدم القرآن عند إرادة الكثرة لفظ "ألوف" الذي جاء على وزن من أوزان جموع الكثرة، واستخدم عند إرادة القلة لفظ "آلاف" الذي جاء على وزن من أوزان جموع القلة. ومن المعروف عند النحاة أن القاعدة في تمييز العدد من الثلاثة إلى العشرة أن يأتي جمع قلة.

٣- *أبحر وبحار*: وردت الأولى تمييزا للعدد سبعة في قوله تعالى: "والبحر يمده من بعده سبعة أبحر" (لقمان ٢٧)، في حين وردت الثانية في مجال الدلالة على

الكثرة في آيتين هما: "وإذا البحار سجّرت" (التكوير٦)، و" وإذا البحار فجرت" (الانفطار ٣)[١١].

٤- *أشهر وشهور:* وردت الأولى في مجال الدلالة على القلة فجاءت تمييزا للعدد دون العشرة في أربع آيات منها: " فسيحوا في الأرض أربعة أشهر" (التوبة ٢)، وجاءت مرتبطة بالعدد القليل في آيتين أخريين هما: "الحج أشهر معلومات: (البقرة ١٩٧)، و "فإذا انسلخ الأشهر الحرم" (التوبة ٥). أما الثانية فقد جاءت في مجال الدلالة على الكثرة، وذلك في آية واحدة هي قوله تعالى: "إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا" (التوبة ٣٦).

٥- *فِتية وفتيان:* وردت الأولى في مجال الدلالة على القلة في سياق الحديث عن أصحاب الكهف، وذلك في قوله تعالى : "إذ أوى الفتية إلى الكهف" (الكهف ١٠)، وقوله : "إنهم فتية آمنوا بربهم" (الكهف ١٣). وقد اختلفت الآراء في عددهم بين ثلاثة أو خمسة أو سبعة (الكهف ٢٢). أما الثانية فقد وردت في سياق الحديث عن رجال يوسف عليه السلام ، وذلك قوله تعالى: " وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم" (يوسف ٦٢) وقد استخدم لفظ الكثرة إما لأنهم كانوا عددا غير محدد، وكان الأمر لهم على الشيوع دون تحديد. وإما لأن هناك فرقا آخر في المعنى سمح بهذه المغايرة دون ملاحظة قلة أو كثرة، وهو دلالة الفتية على معنى الصغار أو الأحداث، أما الفتيان فتدل على من بلغوا مبلغ الرجولة دون تقيد بسن معينة. ومما يدل على أن معنى القلة والكثرة غير ملحوظ في آية يوسف أن معظم السبعة قد قرأها : "لفتيته"، في حين قرأها حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: فتيانه [١٢].

٦- *ذُكْران وذكور:* وردت كلمة "ذُكْران" في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى : "أتأتون الذكران من العالمين" (الشعراء ١٦٥)، وقوله: "أو يزوجهم ذكرانا

وإناثا ويجعل من يشاء عقيما" (الشورى ٥٠). ووردت كلمة " ذكور" مرتين كذلك في قوله تعالى: "هذه الأنعام خالصة لذكورنا" (الأنعام ١٣٩)، وقوله: "يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور" (الشورى ٤٩).

أول ما يلفت النظر في الجمع "ذكران" أنه جاء على وزن قليل الاستخدام في القرآن الكريم؛ إذ لم يرد إلا أربع مرات في كلمات "ذكران"، و"ركبان"، و "رهبان"، و"عميان" في حين أن الجمع "ذكور" جاء على وزن شائع الاستعمال في القرآن الكريم ؛ إذ ورد إحدى وستين مرة وجاء ترتيبه الثاني في قائمة الجموع.

وهناك شيء ثان يلفت النظر عند التنقيب في المعاجم عن الفرق بين الجمعين هو قول كراع: "ليس في الكلام فَعَل يكسَّر على فُعول وفُعْلان إلا الذَّكَر"(١٣).

فوزن فُعْلان إذن يمكن أن يثير – في ذهن المتأمل – معنى الغرابة والندرة وقلة الحدوث بغض النظر عن اعتبار النحاة له من جموع الكثرة.

ولا شك أن معاني الغرابة والندرة وقلة الحدوث تتناسب مع سياق الآيتين المشتملتين على لفظ "الذكران". ففعل قوم لوط (آية الشعراء) أمر يثير الغرابة والاستنكار، فضلا عن قلة حدوثه لشذوذه، ومجيئه على خلاف الأصل إذا قيس بما يجيء على الأصل. وكذلك فإن تزويج الذكور والإناث أمر غريب قليل الحدوث، وبخاصة إذا علمنا أن أكثر المفسرين على أن المراد به أن تلد المرأة ولدا، ثم تلد بنتا، ثم تلد ولدا، ثم بنتا .. أو المراد به: ولادة التوائم(١٤).

وعلى هذا يكون القرآن قد اتبع طريقة خاصة – لم تذكرها كتب اللغة – في التعبير عن معنى القلة باستخدامه جمعا قليل الاستخدام.

ب - التعبير بالجمع مقابل جمع الجمع

١ - *أسورة وأساور*: وردت الكلمة الأولى في آية واحدة جاءت في سياق الحديث عن فرد واحد هو موسى عليه السلام، وهي قوله تعالى: "فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب"، (الزخرف ٥٣) والأسورة جمع القلة لسوار. أما الكلمة الثانية فقد جاءت في أربع آيات تتحدث عن مظاهر النعيم في الآخرة وهي " يحلون فيها من أساور من ذهب" (الكهف٣١، الحج ٢٣، فاطر ٣٣)، و"وحلوا أساور من فضة" (الإنسان ٢١). وسواء كانت "أساور"جمعا للجمع "أسورة"، أو كانت جمعا لإسوار بمعنى سوار فقد جاءت في سياق يقتضي الكثرة مما اقتضى مجيئها على أحد أوزان جموع الكثرة المعروفة باسم صيغة منتهى الجموع، أو مجيئها جمعا للجمع .

٢- *أسرى وأسارَى:* وردت كلمة "أسرى" في القرآن الكريم مرتين في قوله تعالى: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض" (الأنفال ٦٧)، وقوله: "يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم" (الأنفال ٧٠). أما كلمة "أُسارَى" فلم ترد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: "وإن يأتوكم أُسَارَى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم" (البقرة ٨٥).

وقبل أن نبين الفرق في الاستعمال القرآني بين الجمعين نحب أن نوجه النظر إلى ما يأتي:

١- أن آيتي الأنفال قد وردتا تعليقا على ما فعله المسلمون بعد انتصارهم في غزوة بدر، وقبولهم فداء الأسرى. أما آية البقرة فقد وردت في سياق الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل، والذي تضمن النهي عن سفك الدماء، والإخراج من الديار، وانتهى بلومهم للخروج على هذا الميثاق بقتلهم أنفسهم، وإخراج فريق منهم من ديارهم، وقبول الفداء من الأسارى[١٥].

٢- أن معنى "الأسير" مأخوذ من "الإسار" وهو القيد، ثم عمم المعنى فصار يطلق على كل من يؤخذ ويحبس في يد الغير حتى ولو لم يُشدّ بالقيد(١٦).

٣- أن وزن فَعْلى في الجمع من الأوزان القليلة الورود في القرآن الكريم؛ إذ لم يرد منه سوى: أسرى، وشتى، وصرعى، وقتلى، ومرضى وموتى، ومثله وزن فُعالى الذي ورد في القرآن في أربع كلمات هي : أُسارى وسُكارى وفُرادى وكُسالى.

٤- أنه لم يتم التبادل بين فَعْلى وفُعالَى في القرآن الكريم إلا في أَسْرى وأُسارى فقط.

٥- أن وزن فَعْلَى يكثر جمعا فيما يدل على هلاك أو توجع أو تشتيت كالقتيل، والمريض، والجريح، وقد حُمل عليه لفظ الأسير، لأنه لما أصيب بالأسر صار كالجريح واللديغ فجمع على فَعْلَى(١٧).

ونعود إلى الفرق في الاستعمال القرآني بين اللفظين فنجد خلافا بين العلماء في تحديد هذا الفرق على النحو التالي:

١- هناك من يرى أن هذا من تعدد الجموع دون فرق بين الجمعين(١٨).

٢- وهناك من يقول إن الأسرى للذين في اليد، والأسارى للذين في القيد.

٣- وهناك من يقول إن الأسرى الذين جاءوا مستسلمين، والأسارى الذين جاءوا مقيدين.

٤- وأقرب الأراء إلى القبول أن يكون لفظ "أسرى" جمعا لأسير، أما "أسارى" فهو جمع لهذا الجمع كما ذكر ابن منظور(١٩).

وسياق الموقف الذي ورد فيه الجمعان يؤيد الفهم الأخير، فقد كان أسرى بدر قلة لم يزيدوا على السبعين فناسب معه لفظ الجمع، أما خطاب بني إسرائيل فخطاب عام يشمل من يقعون في أسرهم على مر العصور فناسب معه جمع الجمع.

٣- *نِسوة ونساء:* وردت كلمة "نسـوة" فـي القـرآن الكريـم مرتيـن اثنتيـن فـي قصـة يوسف، وهما قولـه تعـالى : " وقـال نسـوة فـي المدينـة امـرأة العزيـز تـراود فتاهـا" (يوسف٣٠)، وقوله: "فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن" (يوسف ٥٠).

أما كلمة "نساء" فقد وردت سبعا وخمسين مرة، منها قوله تعالى : "يذبحـون أبناءكم ويستحيون نسـاءكم" (البقـرة٤٩)، وقولـه: "فـاعتزلوا النسـاء فـي المحيـض" (البقرة ٢٢٢)، وقوله: "للرجال نصيب ما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن" (النساء ٣٢).

والذي يتبين من مراجعة كتب التفسير واللغة أن النسوة والنساء جمع "المرأة" من غير لفظها[٢٠]. ولكن بالتدقيق يتبين أن لفظ "النسوة" هـو لفـظ الجمـع، أمـا لفـظ النساء فهو جمع "النسوة". فقد نقل ابن منظور عن ابن سيده قولـه : إن النسـاء جمـع نسوة إذا كثرن، ولذلك قال سيبويه إن النسبة إلى نساء: نِسْوِي[٢١].

والاستعمال القرآني يشهد لكلام ابن سيده، فقد كان عـدد النسـاء فـي قصـة يوسف قليلا ولذلك استخدم لفظ "نسوة". أما لفظ "النساء"، فقد جاء مطلقا وعامـا وشاملا للجنس تارة، وللزوجات تارة أخرى، بل جاء شاملا للبنات اللاتي عـبر عنـهن بالنساء في آية (البقرة ٤٩) على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون[٢٢].

كما أن الاستعمال في الحديث النبوي قد جـاء شـاهدا لذلـك. فلـم يـرد لفـظ النسوة في المعجم المفهرس لألفـاظ الحديـث إلا للدلالـة علـى العـدد القليـل، مثـل: "أتيت النبي في نسوة نبايعه"، ومثل: "مر رسول الله في نسـوة فسلم علينـا"، ومثـل: "فدعا عمر نسوة من نساء الجاهلية"، ومثل: وكان له يومئذ تسع نسوة"[٢٣].

ج- التعبير بالجمع السالم مقابل جمع التكسير

أما التعبير بالجمع السالم الدال على القلة مقابل جمع التكسير الدال على الكثرة فيمكن التمثيل له بالاستخدامات القرآنية الآتية:

١- *سنبلات وسنابل:* ورد الجمع "سنبلات" مرتين في القرآن الكريم في سورة يوسف، في قوله تعالى: "إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر"(يوسف ٤٣)، وقوله: " أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر"(يوسف ٤٦). أما الجمع "سنابل" فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى : " كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة" (البقرة ٢٦١).

فقد عبر القرآن بجمع المؤنث السالم الدال على القلة حين أراد معنى القلة، وعبر بجمع التكسير الدال على الكثرة حين أراد معنى الكثرة مع أن الجمعين جاءا في صحبة عدد واحد وهو سبع[٢٤]. وقد ناسب آيتي يوسف الدلالة على القلة، لأن الجمع جاء تمييزا للعدد "سبع"، وهو قليل، وناسب آية البقرة الدلالة على الكثرة من ناحيتين:

الأولى: أنها تتحدث عن زيادة الأجر ومضاعفة الثواب.

والثانية: أن العدد في الآية لا مفهوم له، إذ أريد به الكثرة وليس القيمة الحقيقية له، بدليل ما جاء في الآية بعد ذكر العدد من أن في كل سنبلة مائة حبة، مما يرتفع بالرقم إلى سبعمائة ضعف، وبدليل ختم الآية بقوله تعالى: "والله يضاعف لمن يشاء"، وبدليل ما جاء في مكان آخر من القرآن بأن الحسنة بعشر أمثالها (آية الأنعام ١٦٠).

٢- *خطيئات وخطايا:* إلى جانب أسباب أخرى قد تلمح في المبادلة بين هذين اللفظين، فقد تمثل معنى القلة والكثرة في قوله تعالى: "وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية

وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم" (الأعراف ١٦١) مع قوله تعالى: "وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم" (البقرة ٥٨).

ويبدو معنى الكثرة ملائما لآية البقرة من ثلاث نواح:

الأولى: أن المقام قد اقتضى ذلك لأن فعل القول في أول الآية قد جاء مسندا إلى الذات الإلهية، مما ينبئ عن معنى التفضل، بخلاف آية الأعراف التي بدأت بفعل مبني للمجهول[٢٥].

والثانية: أن هذه الآية قد اشتملت على نوع من التكريم خلت منه الآية الأخرى وهو الأكل الرغد، وليس مطلق الأكل، فناسب ذلك المزيد من التفضل المتمثل في العفو عن الذنوب صغائرها وكبائرها مما يستحضر في الذهن معنى الكثرة[٢٦].

والثالثة: أن آية البقرة قد أخرت الأمر بالحِطّة وهي حط الذنوب فجاءت مجاورة للنتيجة أو جواب الأمر وهو غفران الذنوب، فناسب ذلك إرادة الكثرة، والعفو عن جميع الذنوب.

٣- غُرُفات وغُرَف: ورد لفظ "غرفات" مرة واحدة في القرآن الكريم ، في قوله تعالى" وهم في الغرفات آمنون" (سبأ ٣٧). أما لفظ "غرف" فقد ورد ثلاث مرات هي قوله تعالى: "لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية" (الزمر ٢٠)، وقوله: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنهم من الجنة غرفا" (العنكبوت ٥٨).

وقد وقعت آية سبأ في سياق يتلاءم مع معنى القلة، ولذا استخدم فيه جمع المؤنث السالم. ووجه الملاءمة مع القلة أن الآية تتحدث عن الذين جمعوا بين ثلاثة أشياء هي: الأولاد والأموال والعمل الصالح، ولا شك أن هؤلاء قلة بالنسبة لسائر المؤمنين، خاصة إذا علمنا أن المال والرجال يؤديان إلى الغرور والبطر. وفي تفسير

القرطبي أن المؤمن إذا كان غنيا تقيا آتاه الله أجره مرتين بقوله تعالى: "فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا، وهم في الغرفات آمنون"[٢٧]. أما سائر الآيات وهي تلك التي اشتملت على لفظ "غرف" فهى تتحدث عن مجرد الاتصاف بالعمل الصالح أو تقوى الله، ولا شك أن المتصفين بذلك أكثر بكثير من الذين يجمعون النفوذ والغنى والتقوى، فناسب ذلك استخدام جمع التكسير الدال على الكثرة.

٢ – تخصيص معنى المفرد

كثيرا ما جاء تعدد الجمع للمفرد الواحد في القرآن الكريم للدلالة على تعدد معنى المفرد. وقد أخذ تعدد معنى المفرد في القرآن شكلين اثنين هما:

١- دلالة المفرد على أكثر من معنى باعتباره من ألفاظ المشترك اللفظي.

٢- دلالة المفرد على أكثر من معنى نتيجة تخصيص المعنى العام للفظ في اتجاهين مختلفين يراد بكل منهما نوع معين من أفراد هذا المعنى العام، وهو ما يمكن أن يسمى بالاختلاف في تطبيقات الاستخدام، لكن دون أن تختلف المعاني اختلافا كليا لتصير الكلمة من المشترك اللفظي.

فمن أمثلة النوع الأول ما يأتي :

ا – أعين وعيون: كلا اللفظين مفرده "عين" وقد ورد هذا المفرد في القرآن بمعنى آلة البصر كقوله تعالى: "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين" (المائدة ٤٥)، كما ورد بمعنى عين الماء، كما في قوله تعالى: "فيها عين جارية" (الغاشية ١٢).

فإذا نظرنا إلى الجمع وجدناه قد ورد في القرآن بصيغتين اثنتين هما: "أعين" و"عيون". وإذا تتبعنا جميع الآيات التي استخدم فيها الجمعان – وعددها اثنتان

وعشرون آية للجمع "أعين"، وعشر آيات للجمع "عيون"- اكتشفنا أن سرّ هذا التنوع هو تخصيص كل جمع لأحد المعنيين دون الآخر. فلم ترد أعين في القرآن الكريم إلا جمعا للعين الباصرة، مثل: "ترى أعينهم تفيض من الدمْع" (المائدة ٨٣)، و" سحروا أعين الناس" (الأعراف ١١٦)، و"لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها" (الأعراف ١٧٩). كما لم يرد الجمع "عيون" فيه إلا جمعا لعين الماء، مثل "جنات وعيون" (الحجر ٤٥، الشعراء ٥٧، ١٣٤، ١٤٧، الدخان ٢٥، ٥٢، الذاريات ١٥).

ولا يصح هنا أن يكون السبب هو إرادة القلة مع الجمع "أعين" ، والكثرة مع الجمع "عيون" كما يقول النحاة؛ إذ لا يستساغ معنى القلة في آيات ، مثل: "فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم" (الأعراف ١١٦)، ومثل: "وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين" (الزخرف ٧١)، لأن معنى الكثرة هو الأنسب والأكثر ملاءمة للسياق هنا.

٢- *عباد وعبيد:* كلا اللفظين قد استعمل في القرآن جمعا لعبد، والعبد في لغة العرب يطلق على الإنسان حرا كان أو رقيقا، كأنه لوحظ في معناه أنه مربوب لخالقه، كما يطلق على المملوك، خلاف الحر.

وقد ذكرت المعاجم العربية لهذا المفرد ثلاثة عشر جمعا أو اسم جمع بالإضافة إلى جمعه جمع مذكر سالما على "عبدون" ، وجمعه على صيغة منتهى الجموع "أعابد" التي عدها اللغويون جمعا للجمع "أعبُد"[٢٨]. ومع ذلك لم يرد من هذه الجموع في القرآن إلا الجمعان المذكوران.

وقد ورد لفظ "عباد" في القرآن سبعا وتسعين مرة في حين ورد لفظ "عبيد" خمس مرات فقط. ولم يلمح القرآن في هذا معنى الكثرة- مع أن كلا الجمعين كما يقول النحاة من جموع الكثرة- لأن المعنى السياقي هنا يتجه في استعمال كلمة "عبيد" إلى معنى القلة، وكلمة "عباد" إلى معنى الكثرة.

وإنما الذي لمحه القرآن في هذا تخصيص لفظ "العباد" لجمع العبد بمعنى الإنسان، ولفظ "العبيد" لجمع العبد بمعنى المملوك الرقيق. ولم يخرج القرآن عن ذلك بالنسبة للفظ "العباد" إلا في آية واحدة لفائدة بلاغية. فمن أمثلة ما جاء على الأصل قوله تعالى: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب" (البقرة ١٨٦)، وقوله :" وهو القاهر فوق عباده" (الأنعام ١٨)، "بل عباد مكرمون" (الأنبياء ٢٦). أما ما جاء على خلاف الأصل فهو قوله تعالى: " وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم" (النور٣٢)، وذلك لحكمة هي الإشارة إلى أنه يجب معاملة هؤلاء العبيد كبشر لهم كامل الحق في الحياة، وبخاصة لما يتميزون به من صلاح وطاعة لله.

أما لفظ "العبيد" فلم يرد في القرآن إلا جمعا للعبد بمعنى المملوك الرقيق، وإن أراد به القرآن معنى "العباد" لفائدة بلاغية. فقد ورد اللفظ في آياته الخمس في سياق نفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى في قوله : "وأن الله ليس بظلام للعبيد" (آل عمران ١٨٢، الأنفال ٥١، الحج١٠) ، وقوله: "وما ربك بظلام للعبيد" (فصلت ٤٦)، وقوله: "وما أنا بظلام للعبيد" (ق ٢٩). والفائدة البلاغية هنا أن نفي ظلم السيد لعبده نفي لصدور أقل ذرة من الظلم عنه، ونفي لصدور الظلم عنه لسائر الأجناس من باب أولى.

٣- *أشياع وشيَع:* كلا اللفظين مفرده "شيعة". وقد ورد اللفظ الأول في القرآن مرتين، أما الثاني فقد ورد خمس مرات.

والمتأمل للآيات المشتملة على الجمعين، يلاحظ أن القرآن الكريم قد استخدم الجمع الأول حين أراد معنى الاجتماع والتوحد، واستخدم الجمع الثاني حين أراد معنى الفرقة والاختلاف؛ لأن الشيعة في اللغة تعني الفرقة أو الجماعة، وكل فرقة تحمل معنى الاتفاق والتجانس إذا نظرنا إلى أفرادها، وتحمل معنى الاختلاف والتباين إذا نظرنا إليها بالنسبة لغيرها من الجماعات الأخرى.

وتأملوا الآيتين القرآنيتين الآتيتين تجدوهما تشيران إلى معنى الاتفاق والتجمع، وهما: قوله تعالى: "ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر" (القمر ٥١)، وقوله: "وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل"(سبأ ٥٤). أما الآيات الخمس التالية فكلها تشير إلى معنى الاختلاف والتفرق، وهي قوله تعالى: "أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض" (الأنعام ٦٥)، وقوله: "فرقوا دينهم وكانوا شيعا" (الأنعام ١٥٩، الروم ٣٢)، وقوله: "ولقد أرسلنا قبلك في شيع الأولين"(الحجر ١٠)، وقوله: "من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا" (الروم ٣٢).

ولا يصح التفريق بين الجمعين بإرادة القلة في الأول، والكثرة في الثاني - كما يقول النحاة- لأن "أشياعكم" في آية القمر مراد بها أمثالكم من الأمم الماضية، ومن كان مذهبه مذهبهم وهم كثر ولا شك.

ومن أمثلة النوع الثاني :

١- **حمير وحُمُر**: ورد لفظ "الحمير" في القرآن الكريم مرتين، هما قوله تعالى: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة" (النحل ٨)، وقوله: "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" (لقمان ١٩). أما لفظ "الحمر" فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى : "كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة"(المدثر ٥٠ ، ٥١).

وواضح من سياق الآيات أن القرآن قد استخدم لفظ "الحمير" حين أراد الأهليَّ منها فهي التي تستخدم للركوب. أما لفظ الحمر فالمراد به الحمر الوحشية بدليل السياق كذلك، لأن القسورة- سواء فسرت بالأسد أو بالرماة والصيادين- لا توجد عادة داخل المساكن والبيوت. ويدل على ذلك أيضا قول ابن عباس إن المراد في الآية الحمر الوحشية[٢٩].

٢- *أشدّاء وشداد:* الشدة في اللغة : القوة، والشديد: القوي. وهذه الشدة قد تكون معنوية، وقد تكون مادية. وقد وردت كلمة "أشداء" في القرآن مرة واحدة، أما كلمة "شداد" فقد وردت ثلاث مرات.

وقد حرص القرآن على التفرقة في جمع كلمة "شديد" بين تلك الدالة على القوة المعنوية فجمعها على أشدّاء، وتلك الدالة على القوة المادية فجمعها على شداد. وقد ظهر ذلك في قوله تعالى: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم" (الفتح ٢٩) فالشدة هنا معنوية تعني الغلظة والقسوة، كما قال ابن عباس في تفسيرها[٣٠]. أما الشدة في الآيات الأخرى فتعني القوة المادية، سواء جاءت وصفا للسنين المقحطة "ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد" (يوسف ٤٨) أو للأشخاص "عليها ملائكة غلاظ شداد" (التحريم ٦)، أو للمخلوقات غير الحية "وبنينا فوقكم سبعا شدادا"(النبأ ١٢). وقد جاء في تفسير القرطبي عند شرح آية التحريم: "أي شداد الأبدان"، ونقل عن ابن عباس أن "قوة الواحد منهم أن يضرب بالمِقْمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم"[٣١]. كما جاء فيه تعليقا على أية النبأ: "أي سبع سموات محكمات، أي محكمة الخَلْق وثيقة البنيان"[٣٢].

٣ -العموم والخصوص

كثيرا ما يستخدم القرآن في جمع المفرد الواحد أكثر من لفظ مع التفرقة بين الجمعين في المعنى بجعل أحدهما خاصا ، والآخر عاما يشمل المعنى الخاصّ كما يشمل غيره معه. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم:

١- *إخوة وإخوان:* كلا اللفظين جمع "أخ"، وقد ورد لفظ "إخوة" في القرآن الكريم سبع مرات، وردت ست منها في معنى الأخّوة في النسب، كقوله تعالى: " فإن كان له إخوة فلأمه السدس" (النساء ١١) ، وقوله : "وإن كانوا إخوة رجالا ونساء

فللذكر مثل حظ الأنثيين" (النساء ١٧٦)، وقوله: "يابنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك"(يوسف ٥). أما الآية السابعة فقد وردت بمعنى الصداقة والإخلاص، وهي قوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة"(الحجرات ١٠). وهذه الآية يمكن حملها على التشبيه البليغ الذي حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، وبذلك لا تخرج عن المعنى الخاص للفظ. ويمكن حملها على المبالغة في قوة العلاقة بين الأصدقاء التي تقربها من قوة العلاقة بين الإخوة لأب وأم، كما عبر القرآن عن الغير بالنفس في قوله تعالى:"فسلموا على أنفسكم"(النور ٦١)، وقوله:"ولا تلمزوا أنفسكم"(الحجرات ١١).

أما لفظ "إخوان" فقد ورد اثنتين وعشرين مرة شاملا المعنيين: أُخوَّة الدين والصداقة، وأخوة النسب. فمن الأول- وهو الأكثر- قوله تعالى: "فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا" (آل عمران ١٠٣)، وقوله: "والذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا" (آل عمران ١٦٨). ومن الثاني قوله تعالى: "ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن... أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن" (النور ٣١).

ولا يصح أن يفرق بين اللفظين بإرادة معنى القلة في الأول؛ لأنه على وزن فِعْلة وهو من أوزان جموع القلة -كما يقول النحاة- لأن هذا إن صح في بعض الآيات لا يصح في بعض آخر منها، كقوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة" (الحجرات ١٠)، كما لا يتحقق معنى الكثرة في آيات اشتملت على لفظ "الإخوان"، كما في قوله تعالى: "أو إخوانهن أو بني إخوانهن" (النور ٣١).

٢- *أنفس ونفوس:* كلا اللفظين جمع "نفس"، وقد ورد لفظ "أنفس" في القرآن الكريم ١٥٣ مرة، في حين ورد لفظ "نفوس" مرتين اثنتين.

وقد وردت كلمة "نفوس" بمعنى أرواح الأشخاص أو دخائل ذواتهم وبواطنها، في قوله تعالى: "ربكم أعلم بما في نفوسكم" (الإسراء ٢٥)، وقوله: "وإذا النفوس زوجت" (التكوير٧)، لأن الذي سيبعث يوم القيامة هي الأرواح وليست الأجسام.

أما كلمة "أنفس" فقد جاءت شاملة عامة تغطي المعنى السابق، كما في قوله تعالى: "واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم" (البقرة ٢٣٥)، وقوله: "الله أعلم بما في أنفسهم" (هود٣١). كما جاءت شاملة لمعنى الذوات والأشخاص، وهو أكثر ما ورد في القرآن، كقوله تعالى: "وما يخدعون إلا أنفسهم" (البقرة ٩)، وقوله : "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم" (البقرة ٤٤).

ولا يصح أن يحمل الفرق بين الجمعين على دلالة الأنفس على القلة والنفوس على الكثرة -كما يقول النحاة- لأن معنى الكثرة واضح في مثل قوله تعالى "أن الله يعلم ما في أنفسكم" (البقرة ٢٣٥)، وقوله: "وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله" (البقرة ٢٨٤). كما أنّ السياق واحد في الآيتين: "ربكم أعلم بما في نفوسكم" (الإسراء ٢٥) و"الله أعلم بما في أنفسهم" (هود ٣١).

٣- *ضعاف وضعفاء:* وردت كلمة "ضعفاء" في القرآن الكريم أربع مرات في قوله تعالى: "أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب... وله ذرية ضعفاء"(البقرة ٢٦٦)، وقوله: "ليس على الضعفاء ولا على المرضى ... حرج إذا نصحوا لله ورسوله"(التوبة ٩١)، وقوله: "وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا" (إبراهيم ٢١)، وقوله: "وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا" (غافر٤٧).

أما كلمة "ضعاف" فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: "وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم" (النساء ٩). وسياق هذه الآية المرتبط بأحكام المواريث والوصية يدل على أن الضعف هنا مادّي لأن الأموال هي التي تُورث أو يوصى بها. أما الآيات الأربع الأولى فقد حمل بعضها معنى الضعف المادي، مثل آية البقرة، وبعضها معنى العجز أو الضعف الجسدي ، مثل آية التوبة، وبعضها معنى القهر والتبعية، كما في آيتي إبراهيم وغافر.

٤ - إرادة الاسمية أو الوصفية

قد يأتي تعدد الجموع نتيجة إرادة الاسمية في موقع، والوصفية في موقع آخر، فيستخدم مع الأولى جمع التكسير، ومع الثانية الجمع السالم. وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها:

١- *رواس وراسيات:* وردت الأولى في القرآن الكريم تسع مرات مرادا بها المعنى الاسمي، ولذا وقعت موقع المفعول به. ومن ذلك قوله تعالى: "وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا" (الرعد ٣) ، وقوله: "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي" (الحجر ١٩). قال القرطبي في تفسير آية الرعد: "أي جبالا ثوابت، واحدها راسية".(٣٣)

أما الثانية فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: "وقدور راسيات" (سبأ ١٣)، وقد وقع الجمع هنا صفة للقدور "ومعنى راسيات: ثوابت لا تُحمل ولا تحرك لعظمها"(٣٤).

٢- *خزنة وخازنون:* وردت الأولى في القرآن الكريم في أربع آيات جمعا لخازن النار أو الجنة أي حارسها، وهو استخدام اسمي للّفظ يجعله قريبًا من أسماء الوظائف. ومن هذه الآيات قوله تعالى: "وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم" (غافر ٤٩)، وقوله: "وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم " (الزمر ٧٣).

أما الثانية فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: "فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه، وما أنتم له بخازنين" (الحجر ٢٢). وقد أريد بالجمع هنا معنى الصفة أو الحدث، فوقع خبرا (بزيادة الباء)، وتعلق به الجار والمجرور السابق: "له".

٣- *زراع وزارعون:* ورد كل من اللفظين مرة واحدة في القرآن الكريم هي قوله تعالى: "أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون" (الواقعة ٦٤)، وقوله: "يعجب الزراع ليغيظ

بهم الكفار" (الفتح ٢٩). وقد أريد بجمع المذكر السالم معنى الصفة أو إيقاع الفعل، أما جمع التكسير فقد أريد به من مهنته الزراعة فهو أدخل في باب الاسمية.

٤- *جَوارٍ وجاريات*: ورد لفظ "جوار" في القرآن الكريم ثلاث مرات مرادا به الاسم، وذلك في قوله تعالى: " ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام" (الشورى ٣٢)، وقوله: "وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام" (الرحمن ٢٤)، وقوله: "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس" (التكوير ١٦). والمراد بالجواري في آيتي الشورى والرحمن: السفن، ودليل اسميتها أنها وقعت موصوفة في آية الرحمن. أما آية التكوير فالمراد بالجواري فيها : الكواكب أو النجوم، وقيل: الظباء والبقر، وقيل:الملائكة[٣٥].

أما لفظ "جاريات" فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى : "فالجاريات يسرا" (الذاريات٣) ، والمراد به السفن التي تجري في البحر. ودليل وصفيتها إمكانية تعلق المفعول أو الجار والمجرور بها ، وقد تعلق بالوصف هنا المفعول المطلق الذي نابت عنه صفته.

٥- *حكام وحاكمون:* ورد لفظ "حكام" مرة واحدة في القرآن الكريم مرادا به جمع الحاكم بمعنى "القاضي"، في قوله تعالى: "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام" (البقرة ١٨٨). وواضح أن المراد بالجمع هنا المعنى الاسمي.

أما لفظ "حاكمون" وقد ورد بصورة الجر فقط، فقد ورد في القرآن الكريم خمس مرات: "خير الحاكمين"(الأعراف ٨٧، يونس ١٠٩، يوسف ٨٠) و"أحكم الحاكمين"(هود ٤٥، التين٨) فالمراد به معنى الوصفية.

٦- *رِعاء وراعون:* ورد لفظ "رعاء" في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: "قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء" (القصص ٢٣)، أما لفظ "راعون" فقد ورد مرتين في قوله تعالى: "والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون" (المؤمنون ٨، المعارج ٣٢).

وواضح أن "الرعاء" جمع "راع" لمن حرفته رعي الغنم، فهو معنى اسمي. أما الراعون فجمع "راع" الدال على الصفة.

٥ - إرادة التذكير أو التأنيث

قد يأتي تعدد الجموع نتيجة إرادة المفرد المذكر في موقع، والمفردة المؤنثة في موقع آخر. وقد شمل هذا النوع جموع التكسير والجمعين السالمين، وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم منها:

١- *قواعد وقعود وقاعدون:* ورد الجمع "قواعد" في القرآن الكريم جمعا للفظ "قاعدة" بمعنى المرأة التي قعدت عن الحيض والتزوج،(٣٦) في قوله تعالى "والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن" (النور ٦٠)، أو بمعنى أساس البناء "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت" (البقرة ١٢٧). أما "قُعود" و"قاعدون" فهما جمع "قاعد" وقد وردت الأولى ثلاث مرات في القرآن الكريم منها: "إذ هم عليها قعود" (البروج ٦)، و" الذين يذكرون الله قياما وقعودا" (آل عمران ١٩١). أما الثانية فقد وردت مرفوعة ومجرورة ست مرات منها : "فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون" (المائدة ٢٤)، و"فثبَّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين" (النوبة ٤٦).

٢- *كوافر وكفار وكافرون:* ورد الجمع "كوافر" في القرآن الكريم جمعا للفظ "كافرة" مرة واحدة في قوله تعالى" ولا تمسكوا بعصم الكوافر" (الممتحنة ١٠). أما كفار وكافرون فهما جمع "كافر"، وقد وردت الأولى إحدى وعشرين مرة منها قوله تعالى: "إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار" (البقرة ١٦١). ووردت الثانية مرفوعة

ومنصوبة ومجرورة ١٢٩ مرة منها قوله تعالى: "والكافرون هم الظالمون" (البقـرة ٢٥٤)، وقوله : "والله محيط بالكافرين" (البقرة ١٩).

٣- *عُلَى وأعلَوْن :* ورد الجمع عُلَى في القرآن الكريم جمعا لمؤنـث الأعلـى(عُليـا) مرتين، هما قوله تعالى: "تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العُلَـى"(طه ٤)، وقولـه: "فأولئك لهم الدرجات العُلَى"(طه ٧٥) أما كلمة "أعلون" فقد جاءت مرتين كذلك ، ولكـن جمعـا للمفـرد "أعلـى" ، فـي قولـه تعـــالى : "ولا تـهنوا ولا تحزنـوا وأنتـم الأعلون" (آل عمران ١٣٩)، وقوله: "فلا تهنوا وتدعوا إلـى السـلم وأنتـم الأعلـون" (محمد ٣٥).

٤- *صوافّ وصافّات وصافّون:* ورد اللفظان صوافّ وصافّات جمعين للمفردة المؤنثة "صافّة". وقد جاء اللفظ الأول مرة واحدة في القرآن الكريم هي قوله تعالى: "فاذكروا اسم الله عليها صوافّ" (الحج ٣٦) والمراد بها في الآيـة الإبـل التـي صفـت قوائمـها لنحرها، قال القرطبي: "وواحد صوافّ: صافّة"[٣٧].

أما لفظ "صافات" فقد ورد ثلاث مرات في القـرآن الكريـم وصفـا للملائكـة مرة، وللطير مرتين في قوله تعالى: "والصافات صفا" (الصافات ١)، قال الأصفـهاني : "يعنى به الملائكة"[٣٨]، ووصفا للطير مرتين في قوله تعالى: "والطير صافات" (النـور ٤١)، وقوله: "أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافـات" (الملـك ١٩)، والمـراد :باسـطات أجنحتهن.

أما لفظ "صافّون" فقـد ورد مـرة واحـدة فـي القـرآن الكريـم جمعـا للمفـرد "صافّ" فـي قولـه تعـالى: "وإنـا لنحـن الصـافون" (الصافـات ١٦٥). والمـراد بـهم: المنتظمون صفوفا في مواقف الطاعة والعبادة.

٦ - المواءمة اللفظية أو المعنوية

كثيرا ما جاء اختيار الجمع المعين في الموقع المعين في القرآن الكريم تحقيقًا لمبدأ المواءمة اللفظية، أو الحلية الكلامية، ومن ذلك:

١- *أنبياء ونبيون:* ورد لفظ "أنبياء" في القرآن الكريم خمس مرات منها: "وقتلهم الأنبياء بغير حق" (آل عمران ١٨١، النساء ١٥٥). كما ورد لفظ "النبيين" (في حالات الرفع والنصب والجر) ست عشرة مرة منها: "**ويقتلون** النبيين بغير الحق" (البقرة ٦١)، وكذلك: "ويقتلون النبيين بغير حق" (آل عمران ٢١). قال الكرماني[٣٩]: وجمع النبيين جمع السلامة في البقرة لموافقة ما بعده .. وهو الصابئين[٤٠]. وكذلك في آل عمران ، لموافقة إن الذين ، وناصرين، ومعرضون، بخلاف الأنبياء في السورتين.

٢- *كفرة وكافرون :* ورد لفظ "كفرة" في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: "أولئك هم الكفرة الفجرة" (عبس ٤٢). أما لفظ "الكافرون" (بأشكاله النحوية) فقد ورد ١٢٩ مرة منها : "والكافرون هم الظالمون" (البقرة ٢٥٤)، وكذلك: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (المائدة ٤٤). وجمع التكسير في سورة عبس جاء ليحقق الملاءمة اللفظية ليس فقط مع كلمة الفاصلة المجاورة لها ، وهي "الفجرة" بل مع فواصل أخرى سابقة مثل : مسفرة - مستبشرة - غبرة - قترة. أما آية البقرة فقد جاءت بلفظ "الكافرون" ليلائم "الظالمون". وجاءت آية المائدة لتلائم كلمة "الكافرون" فيها فواصل آيات تالية لها، وهي : الظالمون - للمتقين - الفاسقون - تختلفون - لفاسقون - يوقنون - الظالمين - نادمين - خاسرين. كما جاءت آية (المائدة ٥٤) مشتملة على لفظ الكافرين ليلائم مقابله المجاور له في الآية نفسها فيحقق بذلك تلاؤما لفظيا ومعنويا، وذلك قوله تعالى: "أذلةٍ على المؤمنين أعزة على الكافرين.

٣- *بحار وأبحر :* سبق أن ذكرنا هذين الجمعين تحت سبب "التعبير بجمع القلة في مقابل جمع الكثرة". ويمكننا كذلك أن نلمح سببا آخر اقتضى استخدام لفظ "بِحار" في السياقات التي ورد فيها، وهو تحقيق المواءمة اللفظية، في الحركات والسكنات مع الكلمات المجاورة. وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: " وإذا البحار سجرت" (التكوير ٦) فقد ورد اللفظ نائب فاعل بعد "إذا" ضمن منظومة متتالية بدأت بقوله تعالى: "وإذا النجوم انكدرت" ثم تتابعت هكذا: "وإذا الجبال سيرت. وإذا العشار عطلت. وإذا الوحوش حشرت. وإذا البحار سجّرت. وإذا النفوس زوجت" (التكوير ٢-٧). كما حقق اللفظ المواءمة كذلك في قوله تعالى: "وإذا البحار فجرت" (الانفطار ٣)، التي تلتها مباشرة : "وإذا القبور بعثرت" (الانفطار ٤).

٤- *حُمُر وحمير:* سبق أن ذكرنا هذين الجمعين تحت سبب "تخصيص معنى المفرد". وهناك سبب آخر اقتضى استخدام لفظ "حمير" في قوله تعالى: "إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" (لقمان ١٩)، وهو ملاءمته لفواصل الآيات السابقة واللاحقة، وهي على التوالي: خبير- الأمور- فخور - الحمير- منير - السعير - الأمور- الصدور.

٥- *أشدّاء وشِداد:* سبق أن ذكرنا هذين الجمعين تحت سبب "تخصيص معنى المفرد". وهناك سبب آخر اقتضى استخدام لفظ أشدّاء الذي ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، وهو الملاءمة اللفظية لكلمة مجاورة كونت معها تقابلا دلاليا كذلك. أما الآية التي ورد فيها اللفظ فهي قوله تعالى: "والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم" (الفتح ٢٩).

٦- *عُمْي وعُميان وعَمُون:* ورد لفظ "عمي" في القرآن الكريم سبع مرات منها قوله تعالى: "صم بكم عمي فهم لا يرجعون" (البقرة ١٨). أما لفظ "عميان" فلم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: "إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُمًّا وعميانا" (الفرقان ٧٣). أما لفظ "عمون" فقد ورد مرفوعا مرة في قوله تعالى: " بل هم في شك منها بل هم منها عمون" (النمل ٦٦)، ومنصوبًا مرة في قوله تعالى: "إنهم كانوا قوما عمين" (الأعراف ٦٤).

والذي يظهر من الاستعمال القرآني أن لفظ الجمع "عُمي" هو اللفظ الأساسيّ لمجيئه سبع مرات من ناحية، ولصياغته على وزن قياسي جمعا "لأفعل" الدال على عيب من ناحية أخرى.

أما اللفظان الآخران فقد استخدمهما القرآن لتحقيق التلاؤم اللفظي مع فواصل الآيات السابقة واللاّحقة. أما آية الفرقان فقد جاءت ضمن منظومة ضمت: سلاما - قياما - غراما - مقاما- قواما - أثاما- مهانا - متابا - كراما - عميانا - إماما..الخ.

وأما آية النمل فقد جاءت ضمن سورة يلفت النظر فيها بناء فواصلها جميعا على مد بالواو أو الياء متبوع بالنون أو الميم، وهو ما لاءم كلمة "عمون". ومثل هذا يقال عن سورة الأعراف التي تبلغ آياتها ٢٠٦ آيات بنيت فواصلها جميعا على مد بالواو أو الياء متبوع بالنون أو الميم (ماعدا آية واحدة بنيت على ياء المد المتبوعة باللام)، وهو ما ناسب كلمة "عمين".

٧- إرادة العاقل أو غير العاقل

قد يوجِّه النصُّ القرآني نحو الجمع المعين إرادة العاقل مرة وغير العاقل مرة أخرى فيستخدم في الحالة الأولى جمع المذكر السالم، وفي الحالة الثانية جمع التكسير، كما يبدو من الأمثلة الآتية :

١- *أخَر وآخرون:* جمع المذكر السالم لا يستخدم إلا مع العاقل، ولذا اطرد في الجمع "آخرون" مجيئه مع العاقل في جميع آيات القرآن، مثل: "وآخرون اعترفوا بذنوبهم" (التوبة ١٠٢). وقد ورد اللفظ في القرآن - في حالاته الإعرابية الثلاث - ثلاثا وعشرين مرة. أما لفظ "أخر" فقد ورد خمس مرات كلها للحديث عن غير العاقل، كقوله تعالى: "فعدة من أيام أُخر" (البقرة ١٨٤)، وقوله: "وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات" (يوسف ٤٣).

٢- *عُلَى وأعْلَوْن:* جاءت "عُلَى" في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: "خلق الأرض والسموات العلى" (طه ٤)، في حين جاءت "أعْلَوْن" مرتين في قوله تعالى: "وأنتم الأعلَوْن" (آل عمران ١٣٩، محمد ٣٥). وواضح من الآيات أن "الأعلون" جاءت وصفا للعقلاء، وهو ما ينبئ به جمع المذكر السالم. أما العُلَى فتأتي جمعا للأعلى وللعليا، وواضح أنها في الآية جاءت جمعا للعليا ووصفا لغير العاقل، وهو السموات .

كما قد يستعمل القرآن في الحالة الأولى جمع المؤنث السالم، وفي الحالة الثانية جمع التكسير، كما يبدو من المثال الآتي:

٣- *خبائث وخبيثات:* ورد لفظ خبائث في القرآن الكريم مرتين هما قوله تعالى: "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث" (الأعراف ١٥٧)، وقوله: " ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث" (الأنبياء ٧٤). كذلك ورد لفظ "خبيثات" مرتين في قوله تعالى: "الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات" (النور ٢٦).

والمراد بالخبائث في سورة الأعراف: المحرمات كلحم الخنزير والربا[٤١] ، وفي سورة الأنبياء : اللواط[٤٢].

أما الخبيثات في آية النور فالمراد بهن النساء المتصفات بهذا الوصف على ما قال ابن زيد[٤٣].

كما قد يلجأ القرآن للتعبير عن العاقل وغير العاقل - يلجأ إلى الانتقال من جمع تكسير إلى جمع تكسير آخر، كما يبدو من المثالين الآتيين :

١- *كُبَر وأكابر:* كلا اللفظين جمع لأفعل التفضيل، ولكن الأول جاء جمعا لغير العاقل، والثاني للعاقل. وقد ورد كل منهما مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: "إنها لإحدى الكُبَر" (المدثر ٣٥)، وقوله : "جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها" (الأنعام ١٢٣) .

قال القرطبي في آية المدثر إن المعنى أن هذه النار إحدى الدواهي، وقيل: الكبر من أسماء النار، وقيل: هي شاملة للعظائم من العقوبات، وهي جمع كُبرى مؤنث أكبر[٤٤].

٢- *كبراء وكبائر:* وردت كلمة "كبراء" مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: "إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا" (الأحزاب ٦٧)، أما كلمة "كبائر" فقد وردت ثلاث مرات في قوله تعالى: "إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم" (النساء ٣١)، وقوله: "يجتنبون كبائر الإثم والفواحش" (الشورى ٣٧، النجم ٣٢).

وواضح أن "كبراء" جمع "كبير" للسيد والرئيس، أما "كبائر" فهي جمع كبيرة للذنوب العظيمة، والآثام؛ مثل الربا، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، ورمي المحصنة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين[٤٥].

٨ - إثبات مجرد الصفة أو المبالغة فيها

يقرر علماء اللغة أن "كل زيادة في المبني تدل على زيادة في المعنى". وحين نطبق هذه القاعدة على أوزان الكلمات الواردة في القرآن الكريم نجدها تصدق على عدد من الجموع منها:

١- *فُجّار وفجرة:* وردت كلمة "فجار" في القرآن الكريم في ثلاث آيات كلها تدل على معنى المبالغة في الصفة، وذلك قوله تعالى : "أم نجعل المتقين كالفجار" (ص ٢٨)، وقوله: "وإن الفجار لفي جحيم" (الانفطار ١٤) ، وقوله تعالى: "كلا إن كتاب الفجار لفي سجين" (المطففين ٧). أما كلمة "فجرة" فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: "أولئك هم الكفرة الفجرة" (عبس ٤٢)، لمجرد إثبات الصفة.

٢- *سُجَّد وسجود:* جاءت كلمة "سُجَّد" في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة كلها تدل على معنى المبالغة في الصفة، كقوله تعالى: "وادخلوا الباب سجدا" (البقرة ٥٨، الأعراف ٦١)، وقوله: "يخرون للأذقان سجدا" (الإسراء ١٠٧)، وقوله: "إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا" (مريم ٥٨). أما كلمة "سجود" فقد وردت مرتين في القرآن الكريم جمعا لساجد، في ختام آيتين هما قوله تعالى: " والركع السجود" (البقرة ١٢٥، والحج ٢٦). وختمت الآيتان بهذه الصيغة مع توقع الصيغة الأخرى لملاءمة الفاصلة.

٣- *خُشّع وخاشعون:* وردت كلمة "خشع" في القرآن الكريم مرة واحدة دالة على المبالغة في الصفة، والإمعان في الذلة، وذلك قوله تعالى" خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر"(القمر ٧). أما كلمة خاشعون فقد وردت ست مرات كلها تدل على مجرد إثبات الصفة، كقوله تعالى: "قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون" (المؤمنون ١،٢)، وقوله: "ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين" (الأنبياء ٩٠).

٤- *رُكّع وراكعون:* ورد لفظ "رُكّع" ثلاث مرات في القرآن الكريم في سياقات تدل كلها على المبالغة في الصفة والمواظبة عليها، مثل قوله تعالى: "للطائفين والعاكفين والركّع السجود" (البقرة ١٢٥) وقوله: "تراهم ركعا سجدا" (الفتح ٢٩). أما لفظ

"راكعون" فقد ورد أربع مرات في سياقات تدل كلها على مجرد إثبات الصفة، كقوله تعالى: "وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين" (البقرة ٤٣)، وقوله: "يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين" (آل عمران ٤٣).

٥- *كُفّار وكَفَرة:* وردت كلمة "كفار" في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، منها قوله تعالى: "يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم" (التوبة ٧٣). أما كلمة "كفرة" فلم ترد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: "أولئك هم الكفرة الفجرة" (عبس ٤٢).وبالإضافة إلى ما يحققه لفظ "كفرة" في الآية من مواءمة لفظية مع الكلمة المجاورة لها ومع فواصل آيات أخرى، فإنه لا يدل على أكثر من مجرد الصفة. أما لفظ "كفار" فيدل على المبالغة في الصفة.

٩- حالات خاصّة

يجمع بين هذه الحالات أن كلا منها حالة مستقلة مما جعل من الأفضل تناول كل منها على حدة، وهي :

١- *شهداء وشهود وأشهاد وشاهدون:* وردت كلمة "شهداء" في القرآن الكريم عشرين مرة بمعنى واحد، منها قوله تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله" (البقرة ٢٣)، وقوله : " ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين" (النساء ٦٩).

قال أبو جعفر النحاس عن آية البقرة: جمع شهيد، يقال شاهد وشهيد، مثل قادر وقدير[٤٦]. وقال عن آية النساء: الشهداء: الذين قاموا بالقسط وشهدوا لله عز وجل بالحق، وقيل المقتولون في سبيل الله[٤٧] وقال النسفي: شهداءكم: جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة[٤٨]. ومع أن الجمع شهداء يحتمل أن يكون جمع

شاهد كما يحتمل أن يكون جمع شهيد بمعنى شاهد فإن الظاهر من الاستعمال القرآني أن مفرده "شهيد" حيث اجتمع المفرد والجمع في آية واحدة هي قوله تعالى : "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (البقرة ١٤٣). ومما جاء من فُعَلاء جمعا لفاعل: عاقل وعقلاء، وصالح وصلحاء، وباسل وبسلاء، وجاهل وجهلاء(٤٩).

فعلى احتمال كونه جمعا لـ"شاهد" يكون المعنى الخاص للجمع هو المبالغة في الصفة أو القول بثبوتها، وهو نفسه معنى الصفة المشبهة فيما لو قلنا إنه جمع لشهيد.

أما كلمة "شهود" فقد وردت ثلاث مرات جمعا لشاهد، في قوله تعالى: "وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه" (يونس ٦١)، وقوله: "وجعلت له مالا ممدودا. وبنين شهودا" (المدثر ١٢،١٣)، وقوله: "وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود" (البروج ٧). قال النسفي في آية يونس: أي شاهدين رقباء نحصي عليكم(٥٠)، وقال القرطبي في آية المدثر: أي حضورا لا يغيبون، وفي آية البروج : أي حضور.

وأما كلمة "أشهاد" فقد وردت مرتين جمعا لشاهد في قوله تعالى: "يعرضون على ربهم، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم" (هود ١٨) ، وقوله: "إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد" (غافر ٥١).

ولا يمكن تحديد العلاقة بين الجمعين "شهود" و"أشهاد" بدلالة الأول على الكثرة، والثاني على القلة، كما يقول النحاة؛ لأن معنى الكثرة غير متحقق في كل آيات النوع الأول، كآية المدثر: "وبنين شهودا" (المدثر ١٣)، ومعنى القلة غير متحقق في آيتي النوع الثاني .

والذي يبدو لي أن آيات النوع الأول يجمعها كلها الحضور المباشر والمعاينة البصرية، ولهذا يفسر أبو جعفر النحاس "شهود" بأنهم: ليسوا بغيّب[٥١] ، والقرطبي بأنهم حضور لا يغيبون[٥٢] أما آيات النوع الثاني فلا تفيد أكثر من التقدم بالشهادة نتيجة لتحقق العلم الأكيد ولو عن طريق السماع. ولهذا يقول القرطبي في تفسير الأشهاد في آية هود: يعني الملائكة الحفظة .. أو الأنبياء والمرسلين والعلماء .. أو الخلائق أجمع[٥٣] ويقول في آية غافر: الأشهاد أربعة : الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد. وشهادة الأجساد[٥٤] ستكون بلسان المقال، أو بلسان الحال، كما جاء في آية أخرى "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" (النور ٢٤). قال الألوسي: ومعنى شهادة الجوارح .. أنه عز وجل ينطقها بقدرته .. وجُوز أن تكون الشهادة بما ذكر على سبيل المجاز، بمعنى ظهور آثار أعمالهم على تلك الأعضاء بحيث يعلم من يشاهدهم بما عملوه[٥٥].

أما الجمع "شاهدون" فقد ورد في حالاته الإعرابية الثلاث تسع مرات منها قوله تعالى: "أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون" (الصافات ١٥٠)، وقوله: "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر" (التوبة ١٧).

والفرق بين هذا الجمع من ناحية والجمعين شهود وأشهاد من ناحية أخرى أن هذا الجمع يفيد المعنى الوصفي الذي يدل على التجدد والحدوث، والذي يعمل عمل الفعل، ولذا تعلق به الجار والمجرور، ووقع حالا في آية التوبة، بخلاف الجمعين الآخرين اللذين استعملا استعمال الأسماء .

٢- *أموات وموتى وميّتون:* الجموع الثلاثة جمع لمفرد واحد هو "ميّت". وقد ورد الجمع "أموات" في القرآن الكريم ست مرات مقترنة بلفظ "أحياء" في خمس منها، وبالفعل "أحيا" في آية واحدة. ومن أمثلته قوله تعالى: "كيف تكفرون بالله

وكنتم أمواتا فأحياكم" (البقرة ٢٨)، وقوله: "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء" (البقرة ١٥٤).

أما الجمع "موتى" فقد ورد سبع عشرة مرة، كقوله تعالى: "فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى" (البقرة ٧٣)، وقوله: "وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى" (البقرة ٢٦٠).

أما الجمع "ميتون" فقد ورد مرفوعا ومجرورا ثلاث مرات في قوله تعالى: "ثم إنكم بعد ذلك لميتون" (المؤمنون ١٥)، وقوله: "إنك ميت وإنهم ميتون" (الزمر ٣٠)، وقوله: "أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين" (الصافات ٥٨).

أما لفظ "أموات" فقد جاء لا للدلالة على معنى القلة – كما يقول النحاة – ولكن لملاءمة لفظ أحياء في الحركات والسكنات، بالإضافة إلى تحقيق التقابل الدلالي معه. وقد يجوز أن يكون جمعا للمفرد "مَيْت" لا "ميّت". والميْت كما يقول ابن منظور[٥٦]: الذي مات، وهو يختلف عن الميّت في أن الثاني يصلح لما قد مات ولما سيموت بدليل قوله تعالى:"إنك ميت وإنهم ميتون" (الزمر ٣٠)، وهو يصلح للموت الحقيقي كالآية السابقة وللموت المجازي كما في قوله تعالى: " إنك لا تُسمع الموتى" (النمل ٨٠). فالموت في الآية هو زوال القوة العاقلة وهي الجهالة[٥٧].

وأما لفظ "موتى" فهو جمع "ميت"، وهو جمع يطرد في وصف على وزن فعيل بمعنى مفعول وما أشبهه في اللفظ أو المعنى بدلالته على هلاك أو توجع أو تشتيت. وقد ورد من هذا الوزن في القرآن خمس كلمات جاء مفردها على فعيل هي : قتلى ومرضى وأسرى وشتى وصرعى بالإضافة إلى كلمة واحدة جاء مفردها على فيعِل هي "موتى"[٥٨].

أما لفظ "ميتون" فالمراد به إثبات طروء الصفة وحدوثها، ولذا قال القرطبي: "ويقال في هذا المعنى لمائتون"[٥٩].

٣- *أبرار وبررة:* وردت كلمة "أبرار" في القرآن الكريم ست مرات هي قوله تعالى: "وتوفنا مع الأبرار" (آل عمـران ١٩٣)، وقولـه: "ومـا عنـد اللـه خـير للأبـرار" (آل عمران ١٩٨)، وقوله: "إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا" (الإنســان ٥)، وقوله: "إن الأبرار لفي نعيم" (الانفطار ١٣، المطففين ٢٢)، وقوله: " إن كتاب الأبرار لفي عليين" (المطففين ١٨).

أما كلمة "بررة" فلم ترد إلا مرة واحدة في قولــه تعـالى: "بـأيدى سـفرة. كـرام بررة" (عبس ١٥،١٦).

وقد اختلف اللغويون والمفسرون في تحديد مفرد كل جمع، فالأكثرون على أن مفرد "أبرار" هو لفظ "بارّ" ، ومفرد "بررة" هو لفظ "برّ"، يقول الزركشي في البرهان نقلا عن الراغب الأصفهاني: البارّ فـي صفـة الآدميين جمـع علـى أبـرار.. وفـي صفـة الملائكة جمع على بررة. وبررة أبلغ من أبرار لأن بررة جمع برّ، وأبرار جمــع بـارّ، وبـرّ أبلغ من بار[٦٠].

وقد رجعت إلى عبارة الأصفهاني فوجدتــه قـد تنـاقض فـي عبارتـه ، فخـالف عجُزها ما جاء في صدرها. فبعد أن ذكر أن "جمع البار: أبرار وبررة" قال ما يفيد أن "أبرار" جمع بار، وبررة جمع برّ إذ قال بعــد أن استشـهد بآيـات الانفطـار والمطففيـن وعبس مانصه :" فبررة خص بها الملائكة في القرآن من حيث إنه أبلغ من أبــرار، فإنـه جمع بَرّ، وأبرار جمع بارّ، وبرّ أبلغ من بارّ كما أن عَدْل أبلغ من عادل"[٦١].

والذي أراه أن كلا من أبرار وبررة جمع لمفرد واحد هو "بَرّ"، وتعلّق الراغــب الأصفهاني بمقولة إن بررة أبلغ من أبرار لأن الأولى جمع برّ والثانيـة جمـع بـار، ولـذا خص الملائكة بالأولى والبشر بالثانية – لا معنى له، وقد شكك فيه الزركشي فعقب بعد أن نقل رأي الراغب- عقب بقوله: وهذا بنــاء علـى روايـة فـي تفضيـل الملائكـة علـى البشر[٦٢].

ودليلي على أن مفرد كلا الجمعين واحد وهو لفظ برّ ما يأتي :

١- أن لفظ "بارّ" لم يرد في القرآن ولا حتى في القراءات القرآنية، وإنما اقتصرا على المفرد "بر"، الذي جاء ثلاث مرات منها: "وبرا بوالديه" (مريم ١٤) ولو كان ما يوصف به البشر أقل مما توصف به الملائكة لقال تعالى: وبارًّا بوالديه، وهو ما لم يرد حتي في القراءات القرآنية الأخرى.

٢- أن القاعدة الصرفية تقول باطراد "أفعال" في جمع اسم ثلاثي لم يطرد فيه "أفعُل"، ومما لم يطرد فيه "أفعُل" وزن "فَعْل" المضعف(٦٣) وتقول القاعدة الصرفية كذلك أن مما يحفظ ولا يقاس عليه جمع "فاعل" على أفعال(٦٤). فلماذا نكسر القاعدة، ونخالف الاستعمال القرآني، وندعي أن مفرد أبرار هو بارّ؟

٣- أنه ليس في سياق النص القرآني ما يدل على أبلغية "بررة" على "أبرار" وإنما هو مراعاة التلاؤم بين الفواصل القرآنية الذي حتم استخدام "بررة" في آية عبس التي سُبقت وتُليت بفواصل مثل : تذكرة – ذكره – مكرّمة – مطهَّرة – سفرة – بررة – ما أكفره – خلقه – فقدّره.. الخ.

وهناك تفسير آخر يستفيد من فكرة دلالة الأوزان على القلة والكثرة، ذكره فاضل السامرائي، حيث رأى أن " الأبرار" في الناس وإن زادوا على العشرة فإنهم بالقياس إلى الفجار قلة، ولذا استخدم معهم جمع القلة. أما الملائكة فقد استخدم معهم الجمع "بررة" الدال على الكثرة، لأنهم كلهم كذلك بخلاف البشر.(٦٥)

٤- *أنصار ونصارى وناصرون:* وردت كلمة "أنصار" في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة منها قوله تعالى: "وما للظالمين من أنصار" (البقرة ٢٧٠، المائدة ٧٢)، وقوله " قال الحواريون نحن أنصار الله" (آل عمران ٥٢، الصف ١٤)، وقوله: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار" (التوبة ١٠٠).

أما كلمة "نصارى" فقد وردت أربع عشرة مرة منها قوله تعالى: " وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى" (البقرة ١١١).

وأما كلمة "ناصرون" فقد وردت ثماني مرات في صيغة الجر فقط، منها قوله تعالى: "وما لهم من ناصرين" (آل عمران ٢٢، ٥٦، ٩١، النحل ٣٧، الروم ٢٩)، وقوله: "بل الله مولاكم وهو خير الناصرين" (آل عمران ١٥٠).

وواضح أن مفرد الجمع السالم هو "ناصر" حيث أريد به المعنى الوصفي الذي يدل على تجدد الفعل وحدوثه، أما جمعا التكسير فقد اختلف في مفرد كل منهما على النحو التالي:

١- قال السيوطي: مفردهما نصير، مثل شريف وأشراف، في الجمع أنصار، ومثل نديم وندامى، في الجمع نصارى[٦٦].

٢- وورد في تاج العروس أن مفرد أنصار ونصارى هو نصرانيّ بياء النسب(٦٧).

٣- وورد في لسان العرب أن "أنصار" جمع نصير. أما "نصارى" فقد ذكر فيها رأيين هما:

أ - رأي الخليل أنها جمع نصريّ أو نَصْران، كما قالوا ندمان وندامى. ولكن لم يستعمل نصران إلا بياء النسب فقيل : نصرانيّ. وشبه ابن بَرّي جمع نصريّ على نصارى بقولهم: بعير مَهْريّ، وإبل مَهَارَى.

ب- رأي بعضهم أنها جمع نصرانيّ، نسبة إلى قرية بالشام اسمها نَصْران أو نصرونة، أو نَصَرَى، أو نَصْرى، أو ناصرة، أو غير ذلك. وللمؤنث يقال: نصرانة ونصرانية كما ورد في تاج العروس[٦٨].

أما رأينا فيتلخص فيما يأتي :

١- أن الراجح في كلمة أنصار أن يكون مفردها نصير، مثل شريف وأشراف، وأصيل وآصال، ويتيم وأيتام. ويجوز أن تكون جمعا لناصر، مثل شاهد وأشهاد، وصاحب وأصحاب.

٢- أن كلمة أنصار استخدمت استخداما خاصا في آية التوبة فعني بها الأنصار وهم أهل المدينة الذين نصروا النبي وقومه حين هاجروا إليهم. وقد جاء في تفسير القرطبي أن هذا اللفظ إسلامي، وأنه لم يكن معروفا في الجاهلية، وإنما سماهم الله به في القرآن[٦٩]. فأصبح علما عليهم. ولأنه صار علما جاز النسب إليه على لفظه فقيل أنصاريّ.

٣- أن الأرجح في كلمة نصارى أن تكون جمعا للفظ نصراني الوارد في القرآن بهذه الصورة في قوله تعالى: "ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا" (آل عمران ٦٧). ولم يرد لفظ النصارى في القرآن إلا مرادا به أتباع الديانة المسيحية .

ولم يرد في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لفظ "نصارى"، وإنما ورد لفظ "الأنصار" مرادا به أهل المدينة الذين نصروا الرسول وصحبه بعد هجرتهم : "فانصر الأنصار والمهاجرة"، ومرادا به كذلك مطلق الناصرين والمؤيدين : "فيأخذ الرجل أنصاره فيبثهم" (مادة نصر).

الحواشي

(١) جمع القلة : يدل على العدد من الثلاثة إلى العشرة، وأوزانه أربعة هي: أَفْعِلة، أَفْعُل، أفعال، فِعْلة.

(٢) جمع الكثرة : يدل على ما فوق العشرة. وقال بعضهم : إنه يتداخل مع جمع القلة في بدايته فيدل على العدد من الثلاثة إلى ما لا نهاية .

(٣) صيغة منتهى الجموع: كل جمع بعد ألف جمعه حرفان، أو ثلاثة أوسطها ساكن، مثل جواهر، ومساجد، ومصابيح وأباريق.

(٤) جمع الجمع : مثل "أساور" جمعا "لأسورة" التي هي جمع "لسوار"، و"أُسارى" جمعا "لأَسْرى"، التي هي جمع "أسير".

(٥) جمع المذكر السالم: كل جمع انتهى بواو ونون أو ياء ونون زائدتين. ولا يجمع هذا الجمع إلا أعلام الذكور وأوصافهم بشروط معينة. ويلحق بهذا الجمع عدد من الألفاظ لم تحقق الشروط، مثل أولو، وأهلون، وعالَمون، وبَنُون.

(٦) جمع المؤنث السالم: كل جمع انتهى بألف وتاء زائدتين، مثل مسلمات، وملحقه مثل عرفات.

(٧) اسم الجمع: ما يدل على أكثر من اثنين، وليس من أوزان الجموع، مثل ركب (جمعا لراكب)، أو ليس له واحد من لفظه كقوم وخيل وإبل.

(٨) اسم الجنس الجمعي: ما يدل على أكثر من اثنين، ويفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء المشددة كنحل، ونخل، وإنْس.

(٩) اسم الجنس الإفرادى: ما يدل على القليل والكثير، مثل بَرَد، وتُراب، وحرير.

(١٠) وانظر التعبير القرآني لفاضل السامرائي ص٤٠.

(١١) وانظر المواءمة اللفظية أو المعنوية.

(١٢) السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٩.

(١٣) لسان العرب – تاج العروس: ذكر.

(١٤) تفسير القرطبي ٤٨/١٦، والبحر المحيط ٥٢٦/٧.

(١٥) تفسير القرطبي ١٢/٢ وما بعدها، ٤٥/٨.

(١٦) اللسان: أسر.

(١٧) اللسان: أسر، الفيصل في ألوان الجموع ص٥٦.

(١٨) المفردات ص٧.

(١٩) اللسان : أسر.

(٢٠) تاج العروس: نسو.

(٢١) اللسان : نسو.

(٢٢) انظر القرطبي ٣٨٥/١.

(٢٣) المعجم المفهرس :نسوة.

(٢٤) انظر: البرهان ٢٢/٤، والتعبير القرآني ص٣٩.

(٢٥) انظر: أسرار التكرار في القرآن للكرماني ص٢٩.

(٢٦) انظر: معاني الأبنية في العربية ص ١٤٠.

(٢٧) ٣٠٦/١٤.

(٢٨) انظر: الفيصل في ألوان الجموع ص ٢٣٥،٢٣٦.

(٢٩) القرطبي ٨٨/١٩.

(٣٠) القرطبي ٢٩٢/١٦.

(٣١) ١٩٦/١٨.

(٣٢) ١٧٢/١٩.

(٣٣) ٢٨٠/٩.

(٣٤) القرطبي ٢٧٩/١٤.

(٣٥) القرطبي١٩/٢٣٦-٢٣٨.

(٣٦) المفردات للأصفهاني ص ٤٠٩.

(٣٧) ٦٢/١٢.

(٣٨) ص ٢٨٢.

(٣٩) أسرار التكرار في القرآن ص ٣١.

(٤٠) ليس موافقة الصابئين وحدها، ولكن عشرات الكلمات الأخرى التي بنيت على الواو والنون أو الياء والنون قبلها وبعدها.

(٤١) القرطبي ٣٠٠/٧.

(٤٢) القرطبي ٣٠٩/١١.

(٤٣) القرطبي ٢١١/١٢.

(٤٤) ٨٥/١٩.

(٤٥) القرطبي ١٦٠/٥.

(٤٦) إعراب القرآن ١٩٩/١.

(٤٧) السابق ٤٦٩/١.

(٤٨) تفسيرالنسفي ٣١/١.

(٤٩) انظر: الفيصل في ألوان الجموع ص ٧٣.

(٥٠) تفسير النسفي ١٦٨/٢.

(٥١) ١٩٣/٥.

(٥٢) ٧٢/١٩.

(٥٣) ١٨/٩.

(٥٤) ٣٢٢/١٥.

(٥٥) روح المعاني ٣٢٤/٩، ٣٢٥.

(٥٦) اللسان: موت.

(٥٧) المفردات ص ٤٧٦.

(٥٨) انظر الفيصل ص٥٧.

(٥٩) ١١١/١٢.

(٦٠) البرهان ١٨/٤.

(٦١) المفردات ص ٤١.

(٦٢) البرهان ١٨/٤.

(٦٣) الفيصل ٣٤.

(٦٤) السابق ص ٤٠.

(٦٥) معاني الأبنية ص ١٤٣.

(٦٦) الإتقان ١٩٣/١.

(٦٧) تاج العروس: نصر.

(٦٨) مادة (نصر).

(٦٩) ٢٣٦/٨.

مراجع البحث

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي – مكتبة الهلال – بيروت.

٢- أسرار التكرار في القرآن للكرماني – تحقيق عبد القادر أحمد عطا – دار الاعتصام- ط ثانية ١٩٧٦.

٣- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس- تحقيق زهير غازي زاهد- عالم الكتب - بيروت – ط ثالثة ١٩٨٨ .

٤- البحر المحيط لأبي حيان – دار الفكر – ط ثانية ١٩٨٣.

٥- البرهان في علوم القرآن للزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل – بيروت ١٩٨٨ .

٦- تاج العروس للزبيدي .

٧- التعبير القرآني – فاضل السامرائي – جامعة بغداد ١٩٨٧/٨٦.

٨- تفسير النسفي – دار الكتاب العربي – بيروت .

٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٨٥.

١٠- روح المعاني للألوسي – تحقيق علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٤.

١١- فقه اللغة – إبراهيم السامرائي.

١٢- الفيصل في ألوان الجموع – عباس أبو السعود – دار المعارف ١٩٧١.

١٣- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد –تحقيق شوقي ضيف –دار المعارف –ط ثانية.

١٤- لسان العرب لابن منظور.

١٥- لغة القرآن- أحمد مختار عمر – مؤسسة الكويت للتقدم العلمي – ط أولى ١٩٩٣.

١٦- معاني الأبنية في العربية – فاضل السامرائي – ط أولى ١٩٨١.

١٧- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث – أ . ي . ونسنك – ليدن ١٩٣٦.

١٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن – محمد فؤاد عبد الباقي – دار المعرفة – بيروت.

١٩- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني- تحقيق محمد سيد كيلاني- دارالمعرفة – بيروت.

كتب أخرى للمؤلف

١- تاريخ اللغة العربية في مصر- الهيئة العامة للتأليف والنشر- القاهرة ١٩٧٠م.
٢- النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي-الجامعة الليبية ١٩٧١م.
٣- البحث اللغوي عند العرب- سبع طبعات- عالم الكتب ١٩٧١- ١٩٩٧م.
٤- البحث اللغوي عند الهنود- دار الثقافة بيروت ١٩٧٢م.
٥- أسس علم اللغة- ترجمة عن الإنجليزية- عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٣، ١٩٨٣م.
٦- من قضايا اللغة والنحو- عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٤م.
٧- ديوان الأدب للفارابي-تحقيق ودراسة-مجمع اللغة العربية بالقاهرة في خمسة أجزاء ١٩٧٤- ١٩٧٩م.
٨- المنجد في اللغة لكراع- تحقيق بالاشتراك- عالم الكتب بالقاهرة- ١٩٧٦، ١٩٨٨م.
٩- دراسة الصوت اللغوي- ثلاث طبعات- عالم الكتب بالقاهرة- ١٩٧٦- ١٩٩١م.
١٠- العربية الصحيحة- عالم الكتب بالقاهرة- ١٩٨١، ١٩٩٨م.
١١- اللغة واللون- دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٨٢م، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٧م.
١٢- علم الدلالة- دار العروبة بالكويت ١٩٨٢م، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٨م.
١٣- معجم القراءات القرآنية (بالاشتراك) ثمانية أجزاء- جامعة الكويت- طبعة أولى ١٩٨٢- ١٩٨٥م، وطبعة ثانية ١٩٨٨م، وطبعة ثالثة- عالم الكتب ١٩٩٧م.
١٤- النحو الأساسي(بالاشتراك)- ذات السلاسل بالكويت ١٩٨٤- دار الفكر بالقاهرة ١٩٨٨، ١٩٩٦م.
١٥- المعجم العربي الأساسي (تأليف بالاشتراك) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٩م.
١٦- أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين- عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩١م.
١٧- تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى- عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٢م.
١٨- لغة القرآن- مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- الكويت ١٩٩٣م.
١٩- معاجم الأبنية في اللغة العربية- عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٥م.
٢٠- اللغة واختلاف الجنسين- عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٦م.
٢١- التدريبات اللغوية والقواعد النحوية- تأليف بالاشتراك- ذات السلاسل بالكويت ١٩٩٦م.
٢٢- أسماء الله الحسنى: دراسة في البنية والدلالة- عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٧م.
٢٣- صناعة المعجم الحديث- عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٨م.
٢٤- المكنز الكبير: معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات- شركة سطور ٢٠٠٠م.

رقم الإيداع : ١٤٧٢١/ ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N

977 - 232 - 233- 1

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٢٠٥٥٦٨٨-٤٣٠٧٥٢٦ القاهرة


Bibliotheca Alexandrina
1185108